الحركة والنشاط ، والحركة هى أمارة الحياة الخصبة المتجددة ، ولهذا نرى الموت هو السكون التام . إنه ينتقل من بلد إلى بلد ، ومن قطر إلى قطر من بلاد الإسلام ؛ وفى كل من هذه البلاد والأقطار نراه يلابس أهله ، ويتعرف إليهم من كثب ، ويقف على محاسنهم ومساويهم ، ثم يعمل على العلاج والدعوة إلى ما نصب نفسه له .

وقد كان من ثمرات بعض هذه الرحلات المباركة ، هذه المذكرات التى يسعدنا تقديمها بهذه الكلمة . فقد جشم نفسه عناء الانتقال والعيش فى ربوع الشرق العربى والاسلامى ، فى مصر والسودان والشام والحجاز ، وهو راض بهذا العناء سعيد به ؛ إذ يرى أنه بهذه الرحلات يسير فى الطريق المستقيم الذى سار فيه أسلافنا العلماء الأمجاد حينما كان الواحد منهم يعتبر كل الأرض الاسلامية وطناً له ؛ فهو يتنقل فى ربوعها من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب ، دارساً فاحصاً داعياً إلى الله ودينه والإسلام وعزته ومجده .

وبهذا اللون من الدرس والبحث والدعوة ، تتميز هذه الرحلات ومنها رحلات صديقنا الفاضل الأستاذ أبو الحسن الندوى . فهى ليست رحلات للنزهة أو الاستجمام ، وليست رحلات جغرافية مثلا ، وإنما هى رحلات دينية إسلامية ؛ بها يقف على الإسلام وما صار إليه فى هذه البلاد ، ويكشف عن الأدواء التى جعلت المسلمين فى هذه الأوضاع التى نراها ونحسها آسفين متألمين ، ويحاول أن يدفع المسلمين إلى اليقظة والحياة العزيزة الكريمة من جديد .

والقارئ لهذه المذكرات القيّمة ، يجد فيها حيوية دافقة ، وروحاً قوية متحررة من أوهام الماضى والحاضر ، ودعوة قوية لإعادة بناء الأمة

الاسلامية على أسس متينة من الاسلام وتقاليده الصحيحة . كما يجد فيها رأيه واضحاً صريحا فى كل ما رأى وشاهد ، ورأيه واضحاً صريحاً كذلك فيمن التقى بهم من الجماعات ورجال الفكر والدعاة إلى الإصلاح .

ومصر ، وهى إحدى البلاد التى زارها وعاش فيها مدة غير قصيرة ، غنية برجالها الذين يتزعمون حركات الاصلاح فى مختلف نواحى الحياة ، إلا أن كثيراً منا لا يلتفت إلى ما يلابس هذه الحركات ـ فى أسسها وفى القائمين عليها وفى مناهجهم ـ من عيوب وأخطاء ، وذلك للتقارب بين المصريين جميعاً فى العادات والتقاليد وطرق الدعوة إلى ما تراه إصلاحا . ولذلك ، كان لا بد أن نسمع آراء الغير فينا وأحكامه علينا ، ونقدر ذلك حق قدره . والأمر كذلك بالنسبة إلى غير مصر من بلاد الشرق العربى الاسلامى .

ومن أجل هذا كله ، تغتبط « جماعة الأزهر للتأليف والترجمة والنشر » بنشر هذه المذكرات ، وتدعو العرب والمسلمين جميعاً إلى تدبّرها والافادة منها ، وتسأل الله تعالى أن يزيد كاتبها توفيقاً ونجاحاً مؤزراً فى جهاده المتواصل فى سبيل الإسلام والمسلمين ؟

الدكتور

محمد يوسف موسى

فهرس الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

السبت ١٢ ربيع الثاني ١٣٧٠ هـ — ٢٠ يناير ١٩٥٠ م

وداع الحجاز ـ أهداف الرحلة ورسالتها

توجهت بنا باخرة « اوندا » الايطالية من جدة إلى السويس مساء السبت بعد غروب الشمس ، ألقيت نظرة الوداع على ميناء جدة وقلت : وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة ، فليست هذه الرحلة إلا في سبيلك والاتصال بأسرتك العزيزة المنتشرة على ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط ، أبلغها تحياتك ، وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها عنك ، وما فعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم ، والأمانة التي تقلدتها ، ثم أعود إليك إن شاء الله أحكي لك قصة هذه الأقطار الإسلامية العربية ، وما شاهدت في هذه البلاد من خير وشر ، وما رأيت لأبنائك من وفاء لك وجفاء ، بكل أمانة وصراحة ، فالرائد لا يكذب أهله ، ومن الكذب المهلك والخيانة المردية المجاملة في الأحمار والمبالغة في التفاؤل .

زملائي في الرحلة

يصاحبني في هذه الرحلة الأخوان العزيزان محمد معين الندوي وعبد الرشيد الندوي ، وقد كانا في الحجاز من العام الماضي ينشران الدعوة الدينية ، ويذكران العرب برسالتهم التي اختارهم الله لها ، ويقابلان في الموسم رجال العالم الإسلامي ووفود العالم العربي مقابلة شخصية ، ويحادثانهم في الموضوع ، ويقدمان إلى المثقفين منهم رسائل ومحاضرات في اللغة العربية . لفتت نظرهم إلى ذلك وتوقظ فيهم

الشعور الديني ، وتنتقد الحالة الحاضرة ، ويشتركان زملاءهما الدعاة الهنديين والباكستانيين في التجول في البادية والقرى ، وإلقاء الدروس الدينية والاتصال بطبقات الشعب واستنهاض هممهم لخدمة الدين ومعرفته ودراسته ونشر دعوته ؛ وسيصاحبانني إن شاء الله إلى الهند .

أبرقنا في جدة صباح يوم السبت إلى الشيخ المحترم الحاج جلال حسين عضو مجلس الشيوخ المصري (١) نخبره بتوجهنا إلى مصر بباخرة « اوندا » وقد جاءنا كتابه قبل مدة يرحب بقدومنا إلى مصر ، وقد أخبر بسفره إلى لندن وأنه سيعود قريباً ، وقال إنه كلف سكرتيره الأستاذ حسني صقر أن يتولى أمر المسكن .

المودعون

ودعنا على الميناء الإخوان الأعزاء السيد عبد الله ، ورضوان ، وطاهر ، وابن أختي العزيز محمد بن رشيد الحسني ، وسيقيمون في الحجاز مدة عامين يشتغلون فيها بالدعوة ، ويتوسعون في دراسة اللغة والأدب ، ويتمرنون على الإنشاء والكلام ، ويتصلون بطلبة الكليات والمدارس ، ولا أزال أذكر المحروس محمد بن رشيد في هذه الرحلة لأنه كان رفيقي في السفر والحضر ومساعداً كبيراً في أشغالي العلمية ، جمعنا الله بالإخوان جميعاً في أشرف البقاع وفي أسعد الأوقات

الأحد ١٣ / ٤ / ٧٠ هـ — ٢١ / ١ / ٥٠ م

الأذان قد فقد شيئاً كثيراً من السلطان

قضينا ليلة هادئة ونمنا نوما لا بأس به مع هبوب الرياح الشديدة طول الليل . أصبحت نشيطاً مسروراً وأذن أخ مصري لصلاة الصبح ، فكان هو الصوت الوحيد

---

(١) قد كتب اليه صديقه الحاج عبد الجبار الدهلوي يخبره بقصدنا مصر ويعرفه بنا ، فكتب إليه الشيخ جلال حسين يرحب بقدومنا .

والصوت الحق الذى دوى فى هذا السكون المخيم على البحر والباخرة ، هذا هو النداء الذى أيقظ العالم بالأمس ، واضطرب له البر والبحر ، ولكنه لم يستطع أن يوقظ جميع المسلمين فى الباخرة على قلة عددهم ، إنه مع الأسف قد فقد شيئاً كثيراً من قوته وسلطانه على القلوب، وأكثر ما أضعف سلطانه الروحى هى المادية الغربية التى تعتقد الفلاح فى غير الصلاة وفى غير العبادة والدين ، ولا تصدق بأن الصلاة خير من النوم، وعلى كل فقد استيقظ من أراد الله به الخير، وصلينا جماعة وجلست فى مكان أتفرج على البحر وهو هادىء ساكن ، والباخرة ليست لها حركة عنيفة تزعج الركاب ، وقد كنت تخوفت جداً بحديث الأستاذ احمد عبد الغفور عطار والأستاذ عبد القدوس صاحب « المنهل » ؛ فقد لقيا تعباً عظيما فى سفرهما إلى مصر ، و بقيا عدة أيام لا يأكلان ولا يبرحان مكانهما للدوار ، وقد وقع لى مثل هذا أو أشد فى كلتا الرحلتين للحج ، فقد بقيت نحو أسبوع لا أستسيغ طعاما ولا أشتهى أكلا ، وأنا أجتزىء ببعض المشروبات أو الحوامض والفواكه ، ولكن الله سبحانه وتعالى قد لطف بنا هذه المرة فلم يقع لنا شىء من هذا إلى الآن ، ونرجو من الله الخير ونسأله السلامة والعافية .

باخرتنا سفينة شحن فى الحقيقة كأكثر البواخر التى تسافر بين جدة والسويس ، وأكثر حمولتها على الظاهر خشب البناء والنارجيل الذى حملته من كولمبو وجزر الهند ، وقد حملت من جدة نحو خمسين راكبا أكثرهم مصريون وحجازيون وستة من هنود وغيرهم وعدد قليل من السودانيين والتكارنة

ركاب الباخرة

قابلت شابا سوريا أبوه تاجر فى جدة وقد سافر إلى الهند وهو شاب مثقف مهذب قدمت إليه رسالتى « بين الصورة والحقيقة » و« بين الهداية والجباية » فقرأهما وأبدى إعجابه وموافقته لما جاء فيهما ، وهو متذمر من طغيان المادة فى البلاد

العربية والتحلل الخلقي العام الذى أصيبت به هذه الأقطار ، صلينا الصلوات كلها بجماعة ، وأكثر من يحضر الجماعات مصريون وهم أكثر الركاب اهتماما بالصلوة والمواظبة عليها ، وأكثرهم عملة ، صناع كانوا يشتغلون فى الحجاز وهم مسافرون إلى وطنهم ، رأينا فيهم خفة روح ودماثة خلق وإكراما العلم والدين وتألفاً أكثر من غيرهم

وجدنا عند العصر تغيراً فى الطقس وشعرنا بقربنا من منطقة باردة ونظن أننا نواجه البرد غداً .

الاثنين ١٤ / ٤ / ٢٠ هـ — ٢٢ / ١ / ٦١ م

أصبحنا والحمد لله على الصحة والنشاط وصلينا بجماعة ، وتمشيت على ظهر الباخرة كما يتمشي الإنسان على البر لا أشعر باضطراب أو حركة مزعجة، ثم أفطرنا وشربنا الشاى .

الحياة فى الباخرة

لاحظت على هذه الباخرة التى جمعت بين أهل بلاد مختلفة ، ورفعت حواجز كثيرة حرية زائدة فى النساء وقلة احتفال بالتستر والاحتشام والحجاب الشرعى ، فكنت أسمع مناقشتهن وحديثهن فى كل موضوع كأنهن فى مساكنهن ، وأراهن سافرات فى كثير من الأحيان أما الرجال فلم أر فيهم رغبة فى التعارف الإسلامى أو شعوراً بالجوار أو أثرا للحياة الاجتماعية ، وكل ذلك يدل على أن الحياة الاسلامية قد تضعضعت فى بلادنا الإسلامية ، وحلت محلها حياة لا يهم فيها الإنسان إلا نفسه وعياله وبطنه وراحته ، إننا فى بلادنا إذا أردنا أن نعبر عن غاية القرب والمشاركة فى الحياة والزمالة قلنا : « نحن ركاب سفينة واحدة » لكننا هنا متباعدون مع غاية القرب ، وكأن كل واحد منا راكب فى سفينة خاصة .

ظللنا النهار كله نتفرج على الجبال على بر إفريقيـة ، وعلى يميننا — إذا استقبلنا السويس — رأينا سـلسلة جبال كذلك ولعل منها جبل الطور ولكن لم نجـد من يخبرنا بالضبط أنه طورسيناء ، ولم يزل المضيق ينحصر والبران يتقاربان حتى كنا نرى الشاطئين عن يمين وشمال ، ومرت بنا بواخر كثيرة كأننا على جادة برية تمر بنا المراكب والسيارات عليها .

التشوق إلى مصر وأسبابه

قضينا الليل ونحن نعرف أننـا نصبح فى السويس ، وأعترف بأنه كان يخامرنى سرور غريب رغم كثرة أسفارى ذكرنى بسرور أيام الصبا وأسفاره الأولى ، وما ذاك إلا أن مصر قد حلت فى نفسى وعقليتى محل البلاد التى يألفها الإنسـان من الصغر ، لـكثرة ما سمعت عنها وقرأت عنها ، وعرفت من أخبارها ورجالها ، وقرأت من كتبها وصحفها ومجلاتها ، بل وأنا مدين لمصر فى دراستى للغة العربية ، وفيها أدباء تأثر بهم أدبى وأعجبت بأسلوبهم وقلدتهم فى الإنشاء زمناً غير قصير ، وبقيت متصلا بالمـكتبة العربية المصرية ونتاجها ، كأى عربى خارج مصر ، أقرأ مجلاتها الشهرية والصحف السيارة على اختلاف سياستها ونزعاتها ، وأقرأ كل ما تصدره المطبعة العربية فى مصر فى الدين والأدب والتاريخ والسياسـة ، وأعرف أدباءها وكتابها وطبقاتهم ومنازلهم ، كما أعرف أدباء بلادى وكتابها ، إذن فلا غرابة إذا تطلعت إلى مصر وسررت بقرب زيارتها .

الثلاثاء ٥ / ٤ / ٢٠ هـ / ٢٣ / ١ / ٥١ م

على ساحل مصر !

وطلع الصباح والسويس معاً ونحن لـكل منهما منتظرون ومتشوقون ،

ورست السفينة فجاءت من الساحل زوارق بخارية تحمل رجالا يرتدون الزي المصري الرسمي وعلى رأسهم الطرابيش الحمراء الجميلة التي ألفنا رؤيتها في بلادنا ، وكانت شعاراً للمسلمين المثقفين المدنيين (الأفنديه) رمزاً للولاء لتركيا الإسلامية في الهند ، وقد حيانا بعضهم بالتحية الاسلامية ورحب بنا ، فشعرت بالفرق بين بلاد المسلمين وبلاد غير إسلامية ، الفرق الذي لا يشعر به مسلم نشأ في بلاد الإسلام ، وتمت الاجراءات الرسمية فنزلنا مع الحوائج على البر ونحن لا ندري ماذا سنستقبله من تحقيقات وتفتيشات وتسجيلات وتقييدات يفرضها النظام المدني التقليدي على كل أجنبي ، بل وعلى كل وارد وصادر ! وقد تطوع رجل أفندي وقدم إلينا نفسه كساعد ووكيل ، وقبلنا مساعدته فذهب بنا إلى إدارة ضابط المرور ، وهنا واجهنا أستاذاً يظهر أنه من طبقة الموظفين الكبار وسألني عني فلما أخبرته عن اسمي قال إن جلال (بك) في القاهرة أرسل إلي برقية يكلفني استقبالكم في السويس ومساعدتكم ، وتوسط الأستاذ فتمت الاجراءات بسهولة وسرعة .

وساعدنا الوكيل في نقل الحوائج والاتفاق مع سيارة توصلنا إلى مكتب جلال بك بالقاهرة ، وقدمنا مبلغاً محترماً إلى الوكيل كأتعاب .

من السويس إلى القاهرة

وأخذنا في طريق الصحراء إلى القاهرة فإذا هي فاحلة مجدبة لا نبات فيها ولا بناء ، وفي الطريق أوقف السائق سيارته وقال هنا نصلي الظهر وأسجل هنا أني رأيت السائق المصري ممتازاً في أخلاقه وعفة لسانه ودينه عن السائقين الهنديين الذين هم مضرب المثل في بذاءة اللسان ، وشذوذ في الأخلاق والمماكسة ، والذي يهتم فيهم بالصلاة والواجبات الدينية نادر جداً ، أو لا أدري هل الذي

رأيت فى هذا السائق المصرى عام فى السواق أو كان شاذاً فى طبقته. تجيب عن ذلك تجارب كثيرة.

وبعد ساعة مررنا بثكنة الجيش المصرى وكانت أول ثكنة رأيتها فى بلاد المسلمين، فشعرت بغبطة وسرور، وجرى على اللسان بعض كلمات الدعاء، ودخلنا مصر الجديدة فما شعرنا إلا ونحن فى عاصمة من عواصم أوربا الوسطى، إلا أنه كان يتخللها طراز شرقى مزيج من الشرقية والغربية، ولم نزل نتوغل فى القاهرة، المدينة التى امتدت على ساحة واسعة حوت أكثر من مليونى نفس حتى وصلنا إلى مكتب جلال بك فاستقبلنا الأستاذ حسنى صقر سكرتيره ورحب بنا، وبعد قليل جاء الشيخ أحمد عثمان وحيانا تحية الإخوان، وجلسنا نتحدث ونتعرف واتصل جلال بك بسكرتيره واعتذر عن القدوم لشغل حصل له، وأوصاه أن ينزلنا هذه الليلة فى فندق فى سيدنا الحسين، ولكن مديرها اعتذر عن قبول الأجانب لما يحصل من تشويش فى مسئلة جوازات السفر والتأشيرات وغيرها، فخرجنا إلى فندق مصر فى العتبة الخضراء، ووقع لنا هنا ما وقع فى الأولى، وهنا شعرت بما يسمونه «الأجنبية»، وعزز ذلك عقيدتى أن هذه المدنية لم ترفع الحواجز بل زادتها وقوتها، وأن السفر أصبح رغم كثرة المواصلات أصعب وأكثر متاعب ومشاكل مما كان فى السابق، وأصرح بأنى شعرت بشىء من الامتعاض من هذه المعاملة القاسية وشعرت بشىء من الاهانة؛ وقلت للشيخ أحمد عثمان لا لزوم أبداً لفندق، فنحن ننزل فى أى محل أو غرفة مهما كانت متواضعة، ولكن الشيخ أبى وأخذنا إلى فندق البرلمان فى العتبة نفسها وقبلنا المدير بعد كلام وإقناع، وجلسنا نتحدث وحضر الأخ على الشريف وسررت كثيرا بمقابلته بعد ثلاث سنوات؛ وجلسنا نتذكر تعارفنا فى المدينة المنورة واجتماعاتنا التى كنا نشترك فيها وناقي الخطب، وتفرقنا على وعد الاجتماع عند الظهر.

الأربعاء ١٢/٤/٥٠ هـ ٢٣/١/٥١ م

خرجنا بعد الفطور إلى مكتب جلال بك واجتمعنا بسكرتيره وبعد انتظار شرف الشيخ جلال وقابلنا بحفاوة وحرارة وجلسنا نتحدث؛ وقال لم أزل متتبعا لأخباركم، وقد ساءتني معاملة أصحاب الفنادق لكم وأنكرتها.

حفلة في رواق الهنود

وذهبنا إلى الأزهر ولا أعلم إلا أن هنا مجلسا لايضم إلا بضع طلبة من الهند والباكستان فاذا بي في قاعة قد غصت بالطرابيش الحمراء والعمائم البيضاء، وإذا بي أمام فتية وشباب ينشط الخطيب رؤيتهم للكلام؛ وعلمت أن معظم الحاضرين هم أعضاء البعثة التركية إلى الأزهر وازددت بذلك سرورا واغتباطا، وكان يليهم في العدد والأهمية طلبة سوريون وفلسطينيون، وتقدم السكرتير وهو شاب سوري اسمه محمد توفيق الكنجي فرحب بي على عادة الحفلات؛ وقام الشيخ لقمان الندوي والأزهري وهو الآن شيخ رواق الهنود فقدمني إلى الحاضرين وألقيت كلمة مرتجلة فيض الخاطر.

كلمتي في الحفل

وكان خلاصة ماقلت وروح « كلمتي » أن الاسلام رسالة خالدة ليس فيها قديم وجديد، إنما القديم والجديد في الحضارات والأدب وغيرها وكل جماعة تدمج نفسها وشخصيتها في هذه الرسالة وتربط حياتها بها يكتب لها الخلود والبقاء، وتخرج من سلطان الأزمنة والأمكنة الخاضعة لناموس التغير والانقلاب وتنتصر على القوى المادية وعلى جميع المعارضات والمنافسات، وكان هذا سر انتصار الصحابة رضي الله عنهم وسر عظمتهم، فقد قدروا قواهم ومواهبهم تقديرا صحيحا ووزنوها وزنا دقيقا فرأوا أنهم لايستطيعون أن يجاروا الفرس والرومان في مدنيتهم وماديتهم وقوتهم

الحربية فأدمجوا أنفسهم فى هذه الرسالة الخالدة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم والتى قضي الله بظهورها وانتصارها وذيوعها فى العالم وأخلصوا لها وربطوا حياتهم ومستقبلهم بها، بحيث أصبحوا والإسلام شيئا واحداً، لايعيش إلا بهم ولا يعيشون إلا به، فلما كان ذلك وامتحن الله قلوبهم للتقوى استحقوا النصر من الله، وقضي الله بظهورهم وغلبتهم وتمكينهم فى الأرض، وكذلك إذا أخلصتم ياطلبة الأزهر لرسالة الاسلام وأدمجتم أنفسكم فيها وربطتم حياتكم ومستقبلكم بالقيام بها والدعوة لها وقامت هذه الرسالة بكم وقمتم بها لانتصرتم وخضع لكم الزمان وأطاعكم ولما فرغت من كلمتي قام الأستاذ محمد توفيق الكنجى وشكرنى ورجانى أن ألقى محاضرات فى قاعة جمعية الشبان المسلمين أوجه الخطاب فيها إلى البعوث الاسلامية فى الأزهر فقبلت اقتراحه، وبعد ذلك رغبت إليه أن يعرف الطلبة الحاضرين بعرف بعضهم وسأل الباقين أن يعرفوا أنفسهم، فتعرفنا بالتركى والسورى والفلسطينى والمصرى، وقلت للطلبة الأتراك إنى أريد مقابلتهم والتحدث اليهم بصفة خاصة ويسرنى أن ألقاهم فى مقرى، أو يدعونى إلى مجالسهم ومنازلهم، وانفض المجلس على ذلك .

الخميس ١٧ / ٤ / ٧٠ هـ ٢٥ / ١ / ٥١ م

جاء الشيخ عبيد الله والسيد على أكبر والشيخ أحمد عثمان، وعلى أثره جاء الأستاذ حسنى صقر ليأخذنا إلى المحل الذى اختاره جلال بك لاقامتنا، فذهبت معهم ورأيت المحل ووافقت عليه، وتقرر أن ننتقل إليه اليوم أو بكرة .

مقابلة الأستاذ أحمد أمين بك

وفى الطريق اتصلت بالدكتور أحمد أمين بالتليفون، وقد كنت أخبرته من مكة بقصدى لمصر وسألته متى يمكننى أن أجتمع به وأين أزوره؟ فقال إنه يكون فى الادارة الثقافية بالجيزة إلى الساعة الثانية عشرة وتوجهنا إليه ولم أكن قد رأيته من قبل ولكن درست كتبه دراسة عميقة وأعجبت بأسلوبه في الكتابة العلمية

بالبحث والتحليل وبحسن ملاحظته فى التاريخ واتزان فكره ، وذلك ما حملنى أن أسأله أن يقدم لكتابى « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » معتقدا أنه من أحق الكتاب والأدباء فى مصر وأولاهم بكتابة هذه المقدمة لهذا الكتاب ، وأن موضوع الكتاب وفكرته توافق ذوقه وعقيدته فيكتب عن هوى ونشاط وعقيدة وبدافع نفسى ، ولكن لم ترض هذه المقدمة كثيرا من الأصدقاء ، ويعتقدون أنها لم تحسن إلى الكتاب ولم تخدمه ، بل قللت من قيمته ، ولكن ليس الذنب على الاستاذ أحمد أمين فان الكاتب والأديب لا يكون نشيطا فى كل وقت ومتحمسا فى كل موضوع ، إنما الذنب على من يؤمل من بعد آمالا كبارا ، إذن فلا شكوى ولا عتاب ، وإنى لا أزال على رأيى فى الأستاذ أحمد أمين رغم هذه المقدمة ، والحاصل أنى ذهبت إليه وأنا أفكر أنى سأرى وأسمع رجلا عرفته بمؤلفاته ومقالاته وبحوثه ورأيت صورة فكره وأدبه وشخصيته العلمية ، وسأرى وجهه وأسمع كلامه فهل يطابق هذا ذاك أو يكون غير ذلك ؟ لا أدرى ، وطالما كان الخيال أوسع وأجمل من الحقيقة وطالما كان المؤلف والكاتب أروع وأملك للاعجاب فى مؤلفاته ومقالاته منه فى مجلسه وحديثه ، ولا أستغرب وقوع شيء من هذا فاني رأيت لكل من هذا أمثلة وجربت فى كل نوع رجالا .

وهكذا دخلت من باب الادارة الثقافية ؛ وسألت عن الأستاذ فأشاروا إلى البستان ، وإذا بشيخ يستقبلني ويرحب بى فارع القد نحيف الجسم ؛ قد أثر فيه المرض وأنهكته كثرة المطالعة والكتابة وأضعفت بصره ، وخلع أسنانه باشارة طبيب فأثر ذلك فى صوته وأدائه ، وتدل السحنة والهيئة على أن النحافة طارئة أو أثر من آثار الشيخوخة والمرض ، وأن الرجل كان جسيما وسيما فى شبابه ، ثم جرى ذكر الكتاب فقلت يعتقد بعض الناس أنى أرهقتكم بكتابة المقدمة فقال أبدا وقد استفدت من الكتاب واطلعت على بعض المصادر الأجنبية وطالعتها

بعض آراء الأستاذ الشاذة
فى التاريخ الاسلامى والتشريع

ثم بدء يذكر تأليفه الجديد الذى لم يطبع بعد وهو «الإسلام ماضيه وحاضره» وقال قد ذكرت فى هذا الكتاب نقطا قد تثقل على كثير من الناس منها أنى قلت إن الاسلام لم ينفذ تماما إلا فى عصر الرسالة ، ومنها أن الستة الذين وكل اليهم عمر اختيار الخليفة اختاروا أخيبهم (كذا) وهو عثمان، وذلك لأنهم أرادوا أن يستريحوا من شدة عمر إلى لين عثمان ، ومنها أن لابد من فتح باب الاجتهاد فقد تجد من الأحوال والحوادث والمشاكل ما ألزم الاجتهاد وإبداء الرأى فى كثير من المسائل الدينية ، مثلا أصبحت الحياة مشغولة جدا فينبغى أن نسمح بالجمع بين الصلاتين فى فى الحضر وكذلك يسمح للعملة فى المصانع وغيرها أيام الصيف بالافطار والفدية عن الصوم ، وكذلك قد يقع بسبب بعض الأصول المقررة فى الفقه أن الغنى يسقط عنه الزكاة والفقير تجب عليه الزكاة، فيجب أن ينظر فى ذلك من جديد كذلك نشير على بعض المضحين فى الحج أن يتصدقوا بالتمر بدل الأضحية ، لأن لحوم الأضاحى تضيع وتفسد الجو وتسبب الأمراض : وأبديت عدم إرتياحى لهذا التفكير والآراء التى لا تتفق وأصول الدين ، إلا إنى لم أرى أن أناقشه فى أول مقابلة .

الفكر العربى والفكر الأوربى فى نظر الدكتور

ثم تكلم فى الفكر العربى والفكر الأوربى فقال إن الفكر العربى يمتاز بالتحليل لذلك ظهر وفاق فى القصص ، وتكلم عن الفكر الألماني ومدح عمقه وأنه أقرب إلى التصوف ، وأبدى إعجابه بكتاب « الاسلام على مفترق الطرق » وكان مجلسا علميا تناول جوانب العلم والدين ، ودعا إلى الغداء معه فقلت نؤجله إلى يوم آخر وكان قد أحضر خمس نسخ من كتاب « ماذا خسر العالم » وأهداها إلى فقلت له أنا كنت حريص على مطالعة كتابكم « حياتى » ولم أجده فى الهند ولا فى الحجاز ، فدعا بنسخة من الكتاب وأهداها إلى .

خطبتى فى مسجد الجمعية الشرعية

ذهبنا إلى مسجد الجمعية الشرعية وخطب الشيخ أحمد عثمان ، وكانت خطبة لائقة فى ساعتها ومحلها وصلى بالناس ، وأعلن الحاج على أن ضيفا من علماء الهند سيلقى كلمة ، وارتقيت المنبر وقلت ما فتح الله به على ، ذكرت غربة الاسلام فى هذا العصر فى كل مصر وغربة القائمين على الدين والمتمسكين به وهنأت الجماعة على استقامتها وعدم اندفاعها مع التيار ، وذكرت بين المتبعين للسنة فى الهندوبين المتبعين لها فى مصر ، وقلت ولكن لا بد من الجهاد لتغيير هذا الوضع وتحويل التيار من شر إلى خير ودفع غربة الاسلام فى وطنه وأهله وذلك لا يكون إلا بالحركة والتنقل وتحمل المشاق ونشر الدعوة والجهاد فى سبيلها . وقلت إن الاسلام ليس تراثا يتوارثه ابن عن أب وجيل عن جيل كما يعتقد كثير من الناس ، فاستهانوا بقيمة هذا الدين لأنه انتقل إليهم عفوا من غير تعب ومجانا من غير ثمن ، فاذا أصيب برزيئة أو هدده الخطر لم يحرك ذلك منهم ساكنا ، بالعكس من الصحابة رضى الله عنهم الذين عبروا الى الاسلام نهرا من دم وقنطرة من متاعب وصنوف العذاب ، فكان الاسلام أغلى عندهم من نفوسهم ونفائسهم وأهليهم وأموالهم ، وارجع إلى تاريخنا وحياتنا الماضية فلننظر هل نجد فيها صفحة مشرقة من جهاد أو حسن بلاء فى دين الله ، أو صبر على المكروه أو رباط فى سبيل الله ، أو غربة فى دين الله فاذا وجدنا فلنحمد الله على ذلك ولنقر بها عينا ، أولا فنتهم نفوسنا ونستقل أعمالنا (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) .

ولما فرغت من خطبتى قام فضيلة الشيخ أمين خطاب ابن مؤسس الجماعة والمصلح العظيم الشيخ محمود خطاب وخليفته ورئيس الجماعة الحالي وعلا المنبر وشكر الخطيب الأول ، وخطب خطبة مسهبة استغرقت أكثر من ساعة وتكلم فى موضوع الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتناول كثيراً من الأحكام الفقهية

ومسألة الصفات وتأويل المتشابهات ، والخطبة تدل على اطلاعه واستحضاره متون الحديث ونفوذه فى جماعته فان أكثر الناس صبر لهذه الخطبة على طولها ولم يقم من المجلس إلا أفراد أرهقتهم الحاجة .

مسجد الجمعية

وكان المسجد فى غاية البساطة ، ليس فيه شىء من البدعة والزينة ، وكذلك الخطبة والصلاة لم يكن فيها شىء مما يؤاخذ عليه ، إلا أن الخطيب لم يترحم على الخلفاء الراشدين ولم يذكرهم ، ولم نسمع الآذان الأول وكانت الصلاة تمتاز بكمال الطمأنينة وتعديل الأركان خصوصاً فى القيام من الركوع ، ولقد سرتنى هذه الصلاة السنية ونظام المسجد وهدوء المصلين ، وأتمنى أن أعود إليه ، ولما نزل الشيخ عن المنبر تهافت الناس علينا يصافحون ويسلمون ، ولم أر الناس بعد ميوات فى الهند يصافحون بهذه المحبة والاخلاص ويطلبون الدعاء إلا فى هذا المكان .

كلمة عن الجمعية ، مؤسسها

أسس هذه الجمعية الشيخ محمود السبكي ، وقد ولد هذا الإمام سنة ١٢٧٤ بسبك البلد بمديرية المنوفية ، ونشأ نشأة أبناء الفلاحين فرعي الغنم لأبيه وحرس حديقته . ولم يتعلم شيئاً واتصل بعد بلوغه بالشيخ أحمد بن محمد جبل السبكى الخلوتى فاشتغل بذكر الله وجد فى الطاعة وأذن له شيخه أن يرشد المريدين ويعاهد الطالبين ، ثم ألهمه الله أن يتعلم وقذف فى قلبه حب العلم والحرص عليه وقد جاوز العقد الثانى من عمره وهو أمى ، لا يعرف الكتابة والقراءة ، فتعلم الخط وقصد الأزهر وتلقى العلم فيه حتى قرأ الدروس فى الأزهر الشريف للطالبين ، كل ذلك فى نحو سنة كما حكي هو عن نفسه فى كتابه « فتاوى أئمة المسلمين » وكان يتلقى العلم فى الأزهر ويرشد أبناء الريف إذا مارجع إليهم فكان أزهريا بين أزهريين ، وواعظاً مرشداً بين

الريفيين ، وبدأ يطارد أدوات الملاهى والراقصات فى الأعراس وينكر منكرات المآتم ، وينحى باللائمة على أرباب الطرق المؤلفين ، ويحارب البدع الفاشية فى الأزهر والمساجد الأخرى ، وأحرز الشهادة العالمية من الأزهر بتفوق واشتغل بالتدريس ، وأخذ يبين البدع والخرافات الفاشية فى القطر المصرى فى دروسه ويجاهد بقلمه ولسانه ، وفى سنة ١٣٠٠هـ كون جمعية أسماها « الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية » وكان من أعمال الجمعية إرسال الدعاة والوعاظ وبناء المساجد على طريقة السنة والمنسوجات الوطنية .

وقد كان لاخلاصه وجهاده أثر ظاهر ملموس فى القطر المصرى ، يشاهد فى صحة الاعتقاد والرجوع إلى التوحيد ، والتطهر من الشرك والبدع ، والمحافظة على آداب الشريعة وشعائرها ، وتعرف هذه الجماعة وأفرادها بلحاهم الشرعية التى كادت تكون نادرة غريبة فى مصر ، حتى فى جماعة العلماء ورجال الدين وبالعمائم ، وانتقل الشيخ الى رحمة الله سنة ١٣٥٢هـ ، وخلفه ابنه الشيخ أمين محمود خطاب الذى سبق ذكره .

وإنى كلما اتصلت بأعضاء هذه الجمعية تمثل لى علماء (ديوبند) وأتباعهم فى الهند بين الجماعتين شبه عظيم فى العقيدة والتمسك بالدين والحرص على اتباع السنة والمحافظة على آدابها وشعائرها وفى علم التوحيد ومسئلة الصفات وتأويلها ، ولولا هذه النقطة الأخيرة لاتحد الاخوان الشرعيون مع الاخوان أهل نجد فى مسئلة الصفات وتأويل المتشابهات .

حياة الجمعيات والدعوات متوقفة على الزيادة فى ثروتها
والتطبيق بينها وبين روح العصر

ويظهر لى أن هذه الجمعية لاتزال على خير فى هذه الديار التى استسلمت للمدنية الغربية ووسائلها وحيل المادية ، وأنها لاتزال محافظة على تراثها الذى ورثته

من مؤسسها العظيم ، ولكن هل تحتفظ الجمعية بحياتها ونشاطها فى المستقبل وتتمتع بنفوذها الروحى فى أعضائها ولسائر هذا العصر ؟ إن ذلك راجع إلى الاجتهاد والتفكير وتجديد الدعوة والرسالة لهذا العصر والجيل الجديد ، وقد رأينا كثيراً من الجمعيات والجماعات يؤسسها رجل مخلص عبقرى صاحب تفكير وشخصية قوية ثم يخلفه رجال لايزيدون فى ثروتها ولا يجمعون بين دعوتها وروح العصر ولايفكرون فى زيادة شىء وتغيير أسلوب بأسلوب أقوى أو أنفع فلا تلبث أن تضمحل هذه الجماعة أو المؤسسة بالتدريج أو تبقى جسداً بلا روح أعاذ الله هذه الجمعية من هذا المصير .

و بعد صلاة الجمعة جلسنا مع فضيلة الشيخ رئيس الجمعيــة وهو رجل منور الشيبة يلوح على محياه آثار العبادة والزهد . أعجبنى وقاره مع خفــة روحه وكان يدخل على السامعين شيئاً من التنوع ويداعبهم فى اللهجة المصرية واللغة الريفية فينشطون .

انهيار العالم العربى :

كان الإخوان أخبرونى بوجود الاستاذ سعيد رمضان فى القاهرة وأخبرونى بنشاطه فى العاصمة والأرياف وتنقلاته واتصاله بزملائه وأعضاء جماعة (الإخوان المسلمين) ، وكنت حريصاً جداً على الاجتماع بالأســتاذ وأنى لأعد الاجتماع برجال الدعوة والحركة الاسلامية من أكبر حسنات هذه الرحلة وأطيب ثمراتها ولما طالت إقامتى فى الحجاز درست أحوال البلاد العربية عن كثب ، وعرفت ماهنالك فى العالم العربى من تفسخ فى الأخلاق واستبداد فى الحكومات وتخرب فى السياسة ، وانصراف بالــكلية عن الدين ، وعبادة المادة وضيــاع الشعوب العربية بين حكومات مستبدة ورجال يعبثون بأموال الدولة والأمة عبث الأطفال بالحصا والخزف وأحزاب سياسية تتلهى بالشعب وتسخر منه وتضرب

بعضه ببعض لمصلحتها وسياستها وبرجال لم تنشرح صدورهم للاسلام ولكن يصرون على أن يحكموا شعبا يؤمن بهذا الدين ، وعرفت أنه لا يغير هذا الوضع ولا ينقذ العالم العربى من الانهيار الذى يهدده إلا حركة شعبية قوية أساسها الايمان والتقوى والجهاد لإعلاء كلمة الله ، ومن أهدافها تطهير المجتمع من الأدواء الخلقية والاجتماعية وتطبيق نظام الحياة الاسلامى في الأقطار الاسلامية ورأيت أن الشر قد تفاقم وأن الأمر أعظم من أن يتدارك بجهود فردية ودروس دينية وإلقاء مواعظ وخطب أو نشر مؤلفات وكتب أو الجمعيات تسير سيراً وئيداً

السيل لا يمسكه إلا سيل مثله

إن السيل لا يمسكه إلا سيل مثله ، والتيار لا يدفعه إلا تيار أقوى منه ، وقد سمعت ممن اتصلت بهم من أدباء الحجاز ومن قابلتهم من الإخوان فى الحج . وأن حركة الاخوان تحقق هذه الأمنية فقد أثرت فى حياة البلاد تأثيراً قويا واجتمع عندها من قوة وإيمان وعمل ، وعلم ، وحماسة ، وتنظيم ، ودعوة ، ما يستطيعون به — لو أذن الله بذلك — أن يغيروا اتجاه البلاد من اللادينية إلى الدين ، ومن الاستهزاء بالدين إلى التمسك والتفاخر به ، ووقع بعد ذلك من قتل النقراشي باشا واغتيال المرشد العام وحل الجمعية ومطاردة الاخوان واغتيالهم وتعذيبهم ما يعلمه الجميع ، وتلك مأساة البلاد العربية وكارثة العالم الاسلامى ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ويعود الإخوان الآن إلى نشاطهم ويصدرون صحيفتهم .

وقد كنت كتبت من مكة إلى الأستاذ صالح عشماوى أخبره بسفرى إلى مصر ورغبتى فى الاجتماع به ، ومكثت فى مصر عدة أيام لا أعرف أحداً من الإخوان البارزين ولا أحداً يرشدنى إلى الأستاذ عشماوى حتى علمت بوجود الأستاذ سعيد رمضان ، فأبديت رغبتى فى الاتصال به ؛ وفى ليلة السبت شرفنى بزيارته مع رهط من الإخوان الشبان من طلبة الكليات وتلاقينا كأصدقاء يجتمعون بعد فراق ، وعلمت منه أن صديقنا الأستاذ محمد ناظم الندوى كان يذكرنى له وقدم إليه بعض رسائلى ، وجلس الأستاذ سعيد بجانبى يتكلم كصديق قديم وأخ حميم ، وأعجبنى منه نشاطه وخفة روحه التى كانت تبدو فى حركات يده وأسارير وجهه ، وإقباله على الجالسين كلهم بالفكاهة والخطاب ، وأعجبنى ذهنـــه المتوقد وقلبه المتفتح ، وبعد حديث تناول بعض البلاد الإسلامية والشخصيات الإسلامية والصراع بين العاطفة والعقل وطغيان العقل على العاطفة فى هذا العصر ؛ إلى غير ذلك مما يتصل بالمسلمين والعالم الإسلامى ، وقام الأستاذ سعيد ، ووعد بأنه سيجمع غداً بينى وبين الأستاذ عشماوى .

السبت ١٩ / ٣ / ٧٠هـ — ٢٧/١/٥١ م

مقابلة الشيخ حامد الفقى

وانتقلنا إلى محلنا الجديد فى سوق الصيارف فى شارع الموسكى وخرجنا بعد الظهر نقابل الشيخ محمد حامد الفقى فى دار جمعية أنصار السنة المحمدية وقابلنا فى مكتبه ببشاشة وحفاوة وعتب على تأخير مقابلته فأجبت بما يليق ، قال: وقد كنت أخذت نسخة من كتابكم وطالعتها وكنت أريد أن أكتب عن هذا الكتاب ، ولكنى وجدت أنه يحتاج إلى قلم أكبر من قلمى فإنى متكلم أكثر وأقدر منى كاتباً ، قلت: العفو يا سيدى ، كنت مسروراً لو كتبت عن

الكتب ، وأخبرته برغبتي في مقابلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر ، والشيخ أحمد محمد شاكر صاحب المؤلفات الكبيرة ، وفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ نزيل مصر الآن ، فأبدى الشيخ محمد حامد استعداده لذلك ، وبعد قليل أخذنا معه إلى مطبعة أنصار السنة .

زيارة فضيلة شيخ الأزهر

وبعد صلاة المغرب خرجنا إلى دار الأستاذ الأكبر ، ولما دخلت في داره لم أشعر إلا وأني في مقر رئيس وزارة في دولة كبيرة ، ودخل الأستاذ محمد حامد في غرفة الشيخ ، ويظهر أنه كثير التردد إلى منزله قديم التعارف والصداقة معه ، لأنه لم يحتج إلى تعيين وقت للمقابلة والاستئذان ، ووجدنا مع الشيخ جماعة من كبار الأساتذة الأزهريين ورجال الوزارة ، منهم الشيخ عبد اللطيف دراز مدير الأزهر . قام الشيخ ورحب بنا ، وقدمني الشيخ محمد حامد إلى فضيلته ، وذكر صلتي بندوة العلماء ومعهدها دار العلوم ، فقلت : أبلغكم تحيات علماء الهند وهم يحملون أعظم تقدير للأزهر ، فأجاب فضيلته جواباً لائقاً وقدمت إلى الشيخ نسخة من كتابي « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وجلسنا نتكلم

الوضع التعليمي الديني في الهند وفضله في تربية العلماء

قلت : إن الوضع التعليمي الديني في الهند يختلف عن الوضع التعليمي في هذه الأقطار التي تتمتع فيها دور التعليم بمساعدة الدولة وحمايتها ، فإن المدارس الدينية عندنا ينفق عليها الشعب المسلم ، ويعلم فيها علماء متطوعون ، ويلتحق بها من يعتقد أنه لا نصيب له في وظائف الحكومة ومناصبها ، فلا يتقدم إليها إلا من يضحي بمستقبله الاقتصادي ، وذلك الذي يثير في علماء الهند الهمة وروح المقاومة والجهاد وروح التطوع والاحتساب .

قال الأستاذ الأكبر : كذلك كان الأزهر في عهده القديم . قلت : وكان ذلك اليوم عهد السعادة للأزهر . قلت : ومدرستنا دار العلوم التابعة لندوة العلماء من

كبريات المدارس الدينية فى الهنــد ، ومركز ثقافي عظيم المسلمين ، وهنا تــكلم الأستاذ محمد حامد وأثنى على دار العلوم وأعمالها وخدمتها للدين والعلم . قال الشيخ : ورئيسها . . وبدا كأنه يتذكر اسماً غاب عن فـكره الآن ، فقلت : الأســتاذ السيد سليمان الندوى فعرفه ، ولعل الشيخ قابله فى مكة العام الماضي . قلت وعميدها الآن أستاذ قد تخرج من الأزهر وهو الشيخ عمران الندوى والأزهري .

وسأل الحاضرون عن مسلمي الهند وأحوالهم الدينية وشئونهم . فقلت إنهم : متمسكون معتزون بدينهم مصممون على الإقامة فى الهند ، ومراكز الثقافة والتعليم الـكبيرة المسلمين لا تزال فى الهند وذكرتها . وقام الشيخ محمد حامد وودع فضيلته فشيعنا الأستاذ الأكبر إلى الباب وودع الزوار بكل تواضع وإكرام .

الأســتاذ الأكبر

يبدو لى أن فضيلة الأستاذ الأكبر على جانب عظيم من الصلاح والتواضع ، وهو رجل وقور يزينه الشيب والعلم ، وتزدان به مشيخة الأزهر ، وسألت الشيخ محمد حامد ونحن عائدون من داره عن علم الشيخ ، فقال لا يدانيه فى العلم أحــد اليوم فى مصر ، وأنا أعرفه منــد كان إماماً الملك فؤاد ، ثم كان نائب المحــكمة الشرعية ، ثم كان مفتى الديار المصرية ، ثم أحيل إلى المعاش ثم اختير شيخاً للجامع الأزهر فـكان اختياراً موفقاً ، قلت : وما رأيك فى إضراب أساتذة الأزهر ؟ قال : إن الدافع هو طلب الزيادة فى المعاش والحرص على المــادة . وسألنى أن أكتب لمجلة « الهدى النبوى » مقالا عما ذكرته فى مجلس الشيخ باختصار وعن الوضع التعليمى وأخلاق العلماء فى الهند .

فى درس الشيخ حامد الفقى

وعلمت فى الطريق أن له درساً فى الليـــــل بعد العشاء فاستأذنته فى الحضور ، وصحبناه إلى دار الجمعية وكان درس الليلة في القرآن فى سورة مريم :

« يا يحيى خذ الـكتاب بقوة وآتيناه الحــكم صبياً » .

وكان درساً طيباً في حسن الإلقاء وبلاغة الأمثلة ، وتناول الحياة العامة وانتقاد وضع المسلمين الديني الحاضر واشتغالهم عن اللباب بالقشور ، وعن الحقيقة بالأشكال ، وأصرح بأني لم أكن أعرف للشيخ محمد حامد هذه الخطابة الطيبة والتصرف في الكلام ، والنفوذ في العقول ، ولكن لم يعجبني كلامه في أهل المذاهب ، فقد كان كلاماً لاذعاً وتهكماً ساخراً ، فقد ذكر أنهم عمي وصم وبكم في الدنيا والآخرة إلى غير ذلك ، وهذا كلام لا يليق لمصلح مخلص ، وهو كلام منفر لا يخدم مصلحة من مصالح الدين ، وكذلك أتمنى أن يكون في درسه نصيب للقلب مثل نصيب العقل أو أكثر فذلك الذي يزكي النفوس ويولد الخشوع والإنابة إلى الله وانهام النفس وهو مما لابد منه لجماعة تنهض لإصلاح المسلمين وخدمة الدين .

وبعد الدرس أعلن الشيخ من غير أخذ رأيي عن محاضرتي يوم الثلاثاء فوافقت عليه لأني كنت أتمنى فرصة للتحدث إلى أعضاء هذه الجمعية وأصدقائها .

وبعد الدرس قابلني الأستاذ علي عدلي المرشدي سكرتير فرع تام من فروع الجمعية بحفاوة ومحبة عظيمة ؛ وهو الذي طبع رسالتي (من الجاهلية إلى الإسلام) العام الماضي ونشرها ، وأخبرني أن الرسالة كان لها رواج وذيوع في مصر والسودان وكثر الطلب من السودان فبحث عن نسخها وأرسلها ووعد بأنه سيحضر نسخاً منها يوم الثلاثاء .

الأحد ٢٠/٤/٧٠ هـ — ٢٨/١/٥١ م .

مع شباب الإخوان

جاءنا في الصباح الأخ يوسف القرضاوي والأخ محمد الدمرداشي من طلبة الأزهر ومن الإخوان المسلمين ، يتوقدان حماسة وغيرة وذكاء . وهما من الشباب الذين تقر بهم العين ويقوى الأمل في مستقبل الإسلام في هذه البلاد ، وكم في الإخوان من أمثال هؤلاء الشباب ، ولو لم تكن للإخوان حسنة غير بعث

الحياة الدينية و إشعال العاطفة الإسلامية فى الشباب الإسلامى وتوجيههم إلى الدين لـكفاها فخراً وغبطة ، وقد قرأ الإخوان كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟) ، وقد نال رواجاً فى أوساط الإخوان وأقبلوا على قراءته واقتنائه . وذلك بتوجيه مراقبهم الثقافى الأستاذ عبد العزيز كامل و إشارته على الإخوان بقراءته ، وقد طلبا منى إلقاء محاضرة فى حفلة خاصة بطلبة كلية أصول الدين وقبلت اقتراحهما بكل سرور ، لأنه من مقاصد هـذه الرحلة ، وأطلعتهما على حديثى (من العالم إلى جزيرة العرب) و (من الجزيرة العربية إلى العـالم) فأخذاهما ليطبعاهما فى بعض المطابع التى يتصلان بها . وجاء بعدهما الشاب عبد الله عقيل العقيل ، وهو شاب عراقى مسلم نشيط متتبع لمبادىء الإخوان متحمس لها ، يتعلم فى كلية الشريعة ، تذكرت أن الأستاذ مسعود الندوى ذكره هو و بيته فى رحلته « فى ديار العرب » جاء ليأخذنا إلى مكتب الأستاذ عشماوى فخرجت معه ؛ وظل طول الطريق يتحدث عن حركة الإخوان ورجالها البارزين و يثنى بصفة خاصة على الشيخ محمد الغزالى الواعظ ؛ والأستاذ عبدالعزيز كامل ، والأستاذ بهى الخولى . وقد جاء ببعض مؤلفات الأستاذ الغزالى هدية لى .

وقابلت الأستاذ صالح العشماوى وكلانا مشتاق إلى صاحبه ، وتعانقنا وتعانقت القلوب الخفاقة مع الأجسام ، وكأننا أصدقاء من زمن طويل .

مع الأستاذ سعيد رمضان

وخرجنا بعد الظهر إلى منزل الأستاذ سعيد رمضان ، جلسنا قليلا نتحدث عن شئون المسلمين فى الهند وحركة الدعوة الدينية والجماعة الإسلامية فيها ، ثم تغدينا وصلينا العصر وذهبنا بعد المغرب إلى دار أنصار السنة

و بعد العشاء خرجنا مع الشيخ محمد حامد الفقى إلى حفلة افتتاح لفرع فى الجمعية

حي بولاق، وكانت حفلة مشهودة فيها أنوار كثيرة مثل حفلات المولد في الهند وغيرها، وكانت حفلة زاهية بالطرابيش الزاهية الحمراء؛ وخطب الأستاذ محمد حامد خطبة طويلة تأثر بها الناس، ورجعنا بعدها إلى المنزل.

(الاثنين ٢١/٤/٧٠هـ — ١٠/١/٥١ م)

كنا قررنا أن نجتمع اليوم بالدكتور أحمد أمين، ولكن مع الأسف وجدنا الدكتور قد خرج من الإدارة قبل عادته، وقابلنا الأستاذ رشاد عبد المطلب الذي يشتغل في الإدارة بقسم المخطوطات وهو مطلع فاضل فسأل نسخنا وجلس معنا، وتكلمنا في الكتب الخطية والآثار العلمية.

مقابلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

رأينا أن نزور اليوم فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ في منزله بالجيزة، فذهبنا إليه وقد جاء إلى مصر يتعالج واستأجر بيتاً في الجيزة، دخلنا بيته فوجدناه لائقاً بالأمراء وكبار الأثرياء وقد نظم تنظيماً عصرياً، سلمنا على الشيخ وقدمنا إليه كتاب قريبه أخينا في الله الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ، والشيخ محمد إبراهيم مكفوف البصر، فدفعه إلى بعض حواشيه ليقرأه عليه وبعد ذلك جلسنا نتكلم، وسألته عن عبيد الله الدرويش الزاهد المهاجر الهندي الذي يثني عليه أهل نجد كثيراً ويذكرونه بخير. فذكر عبد الكريم الدرويش وعبد الله الدرويش. وبمناسبة هذين الرجلين جاء ذكر الشيخ المجاهد إسماعيل الشهيد الدهلوي والسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد فعرفت أن الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ محمد حامد لا يعرفان عنهما وعن حركتهما وجهادهما شيئاً، وكان من حسن المصادفة أني كنت اصطحبت كتاب «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» خلاصة نزهة الخواطر فقرأت ترجمة الشيخ الإمام إسماعيل

الشهيد ، وأبدى الشيخ محمد رغبته فى مطالعة هذا الكتاب فتركته عنده ، والشيخ له اطلاع واسع على ما قيل عن جده الكبير ومن طعن فيه ومن دافع عنه وكتب أجداده وعلماء نجد ، وقد ذكر صديقنا الفاضل الأستاذ مسعود الندوى الذى اجتمع به فى الرياض وذاكره فى بعض ما يتصل بشيخ الإسلام . ورجعنا إلى مقرنا .

٢٢/٤/٠٧٠هـ — ٣٠/١/٠٥١م

بقيت اليوم فى غرفتى أشعر بشيء من الفتور والبرد ، واشتغلت بتصحيح رسالتي (المد والجزر فى تاريخ الإسلام) التى أقصد طبعها فى مصر والزيادة فيها وإعدادها للمطبعة .

فى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين

ذهبنا من إدارة الجمعية إلى مركز جمعية الشبان المسلمين، ودخلنا قاعة الدكتور عبد الحميد سعيد فتذكرت ذلك الرجل المؤمن الذى كان مركز الشبان فى مصر وروح الشبان المسلمين وترحمت عليه ، وليس بناء الجمعية بشعبه ونواحيه إلا أثراً من آثاره الجليلة الخالدة ، وكان فى هذه الليلة محاضرة للأستاذ أحمد الشرباصى أحد علماء الأزهر ورائد الشبان المسلمين ولم يكن حضر بعد

مقابلة اللواء محمد صالح حرب

وذهبنا إلى غرفة سعادة اللواء محمد صالح حرب باشا الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين ، وكان معتكفا فى غرفته فى دار الجمعية لمرض ؛ فعدناه وسلمنا عليه ، وقدمنا إليه كتاب الشيخ محمود شويل في التعريف والتوصية ؛ وكان قد سمع بقصدى لمصر ، والرجل مهذب لطيف الحديث دمث الخلق .

زيارة دار الجمعية

ورغب إلينا سعادة الباشا أن نزور شعب الجمعية ونشاهد نشاطها ، فذهبنا مع أحد الموظفين أو الأعضاء ؛ ودخلنا فى دار الجمعية وجلنا فى غرفها وشعبها جولة ورأينا الأعضاء مشتغلين بالألعاب الرياضية والملاكمة والمصارعة ، أعجبنا نشاطهم وحرصهم على الرياضة البدنية وتربية الأجسام وتقويتها ، وسررنا بما رأينا فيهم من صحة وشباب ؛ وتذكرنا بنجاب وشبابها القوى النشيط ؛ ومررنا بمجموع كبير من الصور الفوتوغرافية لبعثات الجمعية وأعضائها فى مختلف شؤونهم . وما شعرنا إلا ونحن في جمعية أهلية من الطراز العربى وناد راق من نوادى الرياضة والكشافة ودخلنا مكتبة الجمعية ، فرأينا الصالح والطالح من الأدب والمجلات والروايات . وذلك داء عم البلاد والعباد ، وشمل الوهاد والأنجاد .

محاضرتى فى دار أنصار السنة

وكانت الليلة محاضرتى فى دار جماعة أنصار السنة فبادرت إليها .

تقدم الشيخ محمد حامد الفقى رئيس الجمعية وألقى كلمة ، ثم تكلمت عن مهمة الدعوة إلى الله وجلالتها وخطورتها وضخامة مسئوليتها ومؤهلاتها وشروطها وذكرت أن كثيراً من الناس الذين لا يحسنون صناعة أو حرفة يحترفون صناعة الدعوة ، ويظنون أنها أسهل شىء فى الحياة ، مع أنها أوسع وأعقد وأجل خطراً من مهمة الدعوات السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية ؛ فقد تكون ثورة وتغيير وضع ونسخ نظام بنظام من غير تعرض للأخلاق والروح الإنسانية ، وقد يكون قادتها ورجالها مع إخلاصهم لدعوتهم وجهادهم فى سبيلها رجالا منحطين فى الأخلاق والإنسانية متلوثين بالأشياء الفظيعة ولا يعد هذا تناقضاً ومنافاة لروح

الدعوة ، ولـكن الدعوة إلى الله تتناول الأخلاق والروح والفضـائل وجميع المؤهلات الدينية والإنسانية ، وتستلزم إيمانا راسخا و يقينا صادقا وتضحية فائقة و إيثاراً نادرا وشجاعة بارزة وعقلا واعيا وعلما صحيحا ولسانا ذاكرا وقلبا منيبا، وتستلزم العبودية والخشوع والابتهال فى الدعاء والاطراح على عتبة الربوبية وأنها ليست مجرد تبليغ ولا تعليم ، بل هي مجموع تبليغ وتعليم وتربية وتزكية، وخلافة الذى بعثه الله إلى الأميين « يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الـكتاب والحكمة » صلى الله عليه وسلم .

أمثلة من الدعاة إلى الله والمجاهدين فى سبيل الله فى الهند

ثم ذكرت لهم أمثلة رائعة من الدعاة إلى الله فى العصور الإسلامية الأولى وفى القرون الأخيرة ، وحكيت لهم بعض أحاديث الدعاة إلى الله المجاهدين فى سبيل الله فى الهند كالشيخ يحيى على ومحمد جعفر وغيرهما الذين كانوا مصداق قوله تعالى: « الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى » وكيف تلقوا الحكم بالإعدام فرحين مستبشرين، وكيف كان الواحد منهم ينشد فى السجن :

فلست ابالى حين أقتل مسلما　　على أى شق كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ　　يبارك على أوصال شلو ممزع

وكيف كان مولانا يحيى على يخاطب زبانية السجن القائمين على رأسه بالبندقية والسلاح : « ياصاحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر أن لاتعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولـكن أكثر الناس لايعلمون » وكيف كان هؤلاء الـكفار يبكون ولا يرضون أن يتحولوا من مكانهم

وكيف أبدل الحكم بالإعدام بالنفى المؤبد ، لأن هؤلاء المؤمنين قد اشتد فرحهم بالشهادة وأبى الانجليز سادة البلاد أن يدخلوا عليهم السرور ويحققوا أمنيتهم من الشهادة

الدعوة المادية هى المنافسة الوحيدة فى هذا العصر للدعوة الإسلامية

ثم ذكرت لهم تفصيل الدعوة فى بلادنا ، وصورت لهم اجتماعنا الأسبوعي فى مسجد الندوة وخروج الناس من كل طبقة إلى الضواحى والبوادى والمدن وإنفاقهم على أنفسهم ، وتأثير هذه الدعوة العامة الشعبية المتطوعة وثمراتها ، ثم قلت لهم لقد خفتت الدعوات كلها وماتت ووهنت إلا الدعوة المادية فهى أقوى وأنشط ماتكون وهى المنافس الأكبر للدين والمعسكر المعادى للاسلام ، فيجب أن نستجمع قوانا ونحد أهبتنا وعدتنا لمحاربتها ونستعد لمناضلتها استعدادا علميا فكريا روحيا خلقيا ، ولا يمكننا أن نؤثر التأثير المطلوب ونخرق الحجاب المادى الصفيق الذى حجب القلوب والأبصار إلا بشخصية دينية مؤثرة وقوة روحية مسخرة .

ورأيت الأثر باديا في وجوه السامعين ، وأظن أن التأثير إنما كان بسببه حكايات المخلصين والمجاهدين والقصص وشكر الشيخ محمد حامد الخطيب ، وعلق على المحاضرة وقال تواضعا منه : إنه انتفع كثيرا بهذه الكلمة .

الأربعاء ٢٣ ربيع الآخر ٧٠ هـ — ٣١/١/٥١ م

حديث مع الدكتور أحمد أمين

قابلنا الدكتور أحمد أمين وقدم إلى هدية من الكتب فيها العقد الفريد فى ستة أجزاء اشترك الأستاذ أحمد أمين فى شرحه وضبطه وتصحيحه ، وطبعته لجنة التأليف والترجمة ، ونسخة من كتابه « حياتى » وقلم حبر تذكارا له فشكرته على هذا الجميل وقبلته ممنونا متشكرا وجلسنا نتحدث ، قلت له أتمنى أن تتوفر حضرتكم الآن على دراسة القرآن وخدمته ، قال قد شغلنى كتاب « الإسلام ماضيه وحاضره » وسوف أنتهى منه ، قلت أرجو من الأستاذ الكبير أن لا يصدر

من قلمه مايتشبث به الشباب المتهور فإن لكتاباته وأفكاره وقعا كبيرا فى النفوس ، قال هذه حكاية حال أم مجرد تنبيه ؟ قلت إنما هو رجائى وطلبي ا قل ولا بد من نقد وصراحة ، قلت من غير شك ولكن الناس فى هذا العصر يقبلون المساوى ويتركون المحاسن ، قال هذا صحيح .

ملاحظاتى عن كتابه « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث »

قلت قد طالعت فى الحجاز كتابكم « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » وأعجبني هذا الكتاب جدا وأفدت منه خصوصا ما كتبتم عن السيد عبد الرحمن الكواكبي وخير الدين باشا التونسي ومدحت باشا ، وأطلعت على ما كتبتم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عالما جليلا من آل الشيخ فوافق عليه واستحسنه قال الحمد لله . ولكن بعض أهل العلم نفوا ماجاء فى هذا الكتاب من سفر الشيخ إلى بغداد ، قلت نعم وهذا كان رأى الشيخ عمر ،قال : إنى رجعت إلى بعض المصادر الأجنبية فوجدتها توافق على ماذكرت ، قلت ومن رأيى أن السيد أمير على ليس حيث وضعتموه من الزعامة والإصلاح وأنه كان من كبار المؤلفين الذين ألفوا كتبا قيمة في الإنجليزية فى بيان محاسن الإسلام وأن السيد أحمد خان كذلك ليس فى المنزلة العالية من الزعامة الإسلامية والإصلاح؛ وأن عقله كان أكبر من علمه ، وقد صدرت منه غلطات أضرت بالمسلمين وكان فى الهند من هو أحق بالذكر منه في هذا الكتاب ، قال ومن هم ؟ قلت السيد أحمد الشهيد والشيخ إسماعيل الشهيد ، قال: ومع الأسف لانعلم عنهم كثيرا ، قلت وقد ذكرتم السيد أحمد الشهيد فى كتابكم ولكن اعتمدتم علي المصادر الأجنبية وهى لاتخلو من تحريف ومغالطات وتشويه للحقائق — قلت وكذلك الدكتور محمد إقبال يستحق أن ينال موضعا لائقا فى كتابكم ، قال ولكنى لم أعثر على المعلومات الكافية عنه ، وإنما نشر صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام نتفا له ، وقد قابلته فى القاهرة وكان له قلب حى ، قلت

وقلبه مصدر شعره وفكرته وقد كتبت ترجمة ضافية له وأذعتها على محطة الاذاعة العربية السعودية وأطلعكم عليها .

رأى الدكتور أحمد أمين فى الأزهر وجامعة فؤاد

بعد ذلك خرجنا إلى موضوعات أخرى. قال قد قابلني عالم هولندى وقال: هل لكم أمل فى الأزهر ؟ قلت لا ! ! .

وذلك لأن الأزهر يتزعم الحركة الرجعية ، وحركة الشباب قوية عنيفة (أو كما قال) ، وثانيا لأن السراى تحتضنه ، والسراى تريد أن ينام وينيم ، قال وهل لكم أمل في الجامعة ؟ قلت لا ! قال لماذا ؟ قلت لأن الجامعة مدنية محضة ليس لها اتجاه دينى .

رأيه في فصل الدين عن الدولة

قال : هل توافق على رسالة الأستاذ على عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) قلت : لا ، لأن الأستاذ على يرى أن الإسلام رسالة روحية فقط ، لا اتصال لها بالسياسة والحكم ، مع أنى أرى أن الإسلام يتناول الحياة الاجتماعية ويشرع البيع والإجارة وغير ذلك ، وإنما أراد الأستاذ علي تحرير الفكر الإسلامى فى السياسة والاجتماع ، وذلك يحصل بفتح باب الاجتهاد ولا يحتاج إلى فصل الدين عن السياسة .

هل فشل المسلمون فى الجمع بين المدنية العصرية والروح الدينية

قلت : لقد قلت ببعض المناسبات فى الحجاز إن المسلمين فشلوا فى الجمع بين المدنية العصرية والروح الدينية ، فقد كان المدنى يطغى على الجانب الدينى في غالب الأحيان ، وذلك لضعف الرجال الذين كانوا يمثلون الناحية الدينية .

أسبابه وعلاجه فى رأى الدكتور

قال الدكتور إن هذا الفشل له سببان ، أولا أن العالم الإسلامى ينقصه علماء

عرفوا مقاصد الشريعة الكلية ، ويواجهون المدنية الحديثة بغربلة ما ينفع وما يضر ، ثانيا ما تفضلت به فى كتابك من شعور المسلمين بمركب النقص أمام المدنية الحديثة ، وعلاج ذلك إيجاد الحلقة المفقودة من علماء جمعوا بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ثم حقن نفسية المسلمين تفهمهم أن ليست المدنية الغربية خيراً محضاً ولاماهم عليه شر محض ، بل فى كل خير وشر ، وانتقلنا إلى موضوع آخر ، قال الدكتور فى أثنائه إن الحضارة الغربية تبنى على العلوم أكثر مما تبنى على الآداب؛ وأن الشرق أفرط فى الآداب وفرط فى العلوم .

ملاحظتي عن كتاب ضحى الإسلام ورأيي فى المعتزلة

قلت : لى بعض ملاحظات في كتابكم ضحى الإسلام منها أنكم أعطيتم المعتزلة أكثر من حقهم ، ومن رأيي أن المعتزلة كانوا فى دور الطفولة العقلية وأن آراءهم لم تنضج بعد ، قال: نعم ولكنهم كانوا أوسع فكراً من المحدثين، وكان أبقاؤهم خيراً للاسلام ، ولكنى أنتقد دخولهم فى السياسة قلت : وعلى أنفسهم جنوا كما تفضلتم فى الكتاب ، قال: قد ضاعت كتبهم وقد عثرت على كتاب القاضى عبد الجبار المعتزلى وسأنشره ، وبه نعلم كثيراً من آرائهم الدينية[1] .

زيارة الشيخ أحمد محمد شاكر

خرجنا فى العصر نقابل الأستاذ المؤلف المشهور الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى الشرعى سابقاً ، فوجدنا داراً أشبه بدار العلماء ، أستغفر الله إن للعلماء فى مصر شأناً غير شأن العلماء فى الهند ، فقد بارك لهم الله فى أموالهم وبسط لهم فى الحياة

---

(١) لا يخفى أن ما نسب الى الأستاذ أحمد أمين فى هذا الحديث ، إنما هو رواية بالمعنى ، لأنه دون بعد يوم وبالاعتماد على الذاكرة فقط ، ولكن مع ذلك جاء كثير من كلمات الأستاذ فى هذا الحديث .

تجددوا عهد القضاة فى العصر العباسى ، اجتمعنا فى غرفة منورة منظمة تنظيما عصريا وتجاذبنا أطراف الحديث منها ما يتناول الأزهر ، ومنها ما يتناول الجمعيات الدينية فى مصر . ويظهر أن الشيخ له اطلاع واسع وأكسبته الدراسة والاحتكاك بالمصر مرونة وتوسعاً فى الخلافات الكلامية والفقهية ؛ قدمتُ إليه المحاضرات والرسائل وذكرت كتاب (ماذا خسر العالم) فقال بادرت إلى اقتنائه أول ما ظهر إلى السوق ولا يزال أمامى فى المكتب ولكنى لم أنته منه بعد ، وكلمته فى نشر كتاب الوالد رحمه الله فى تاريخ الهند العلمى؛ وأردته على أن يحادث بعض المطابع والمكتبات فى نشره ، فاعتذر عن ذلك وقال : إن هؤلاء الناشرين تغلب عليهم النزعة التجارية ، ولا أرجو أنهم ينشرون شيئاً لوجه العلم فليس لى أمل فى أحد منهم ولكنى سأطالع الكتاب وأتكلم معك ، واستأذنا ؛ لأننا كنا على ميعاد مع طلبة كلية الشريعة بعد المغرب .

مع شباب الأزهر والجامعة

ذهبنا بعد المغرب إلى شبرا ورأينا مجموعة طيبة من الشبان ولفيفا من طلبة كلية الشريعة وكلية أصول الدين للأزهر وكلية الهندسة وكلية التجارة لجامعة فؤاد الأول ، قالوا لى تكلم طول الليل فلا نسأم ولا نمل ، وجدتهم متعطشين جداً لسماع ما يلقى عليهم فى الدين وفى الحركة الدينية ، وتقدم طالب ذكى من طلبة كلية أصول الدين وهو الأخ يوسف القرضاوى فألقى كلمة طيبة مفعمة بالإخلاص والحماسة ، ورحب بخطيب الليلة وقدمه إلى زملائه ورفاقه .

كلمتى أمام الشباب

العالم به طوران : طور لا نكلف به ولا نسأل عنه وهو طور الخلق

وتكلمت بعده ، وقلت إن هذ العالم له طوران طور يتعلق بالخالق تبارك وتعالى لا دخل لنا فيه ، ولسنا مسئولين عنه فى قليل ولا كثير ، وهو طور الخلق والإيجاد ، فقد خلق الله هذا العالم كما يشاء وهو العلم الخبير صنع الله الذى أتقن كل شيء ولسنا مكلفين إلا بالتدبر فيه والاهتداء بالخلق إلى الخالق كما قال : الذين

يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا (الآية) ولكن إذا كنا لسنا مسئولين عن وضع هذا الخلق لماذا فرق النجوم ونثرها نثراً ، ولماذا تطلع الشمس من مشرقها وتغرب فى مغربها ؛ والجبال لماذا وضعها هنا ولم يضعها هناك ، إلى غير ذلك من تفاصيل هذا الخلق .

وطور نكلف به ونسأل عنه ، وهو تنظيم هذه الدار الواسعة التى بناها الله سبحانه وتعالى وشيدها لأجلنا ، تنظيما ينسجم ويتسق مع غاية الخلق وحكمته ، والكليات التى تسمى الشريعة الإلهية ، فقد كلفنا بهذا التنظيم والترتيب والقيام على شؤون الدار ، وذلك باستخلافه لنا فى هذه الأرض: « إنى جاعل فى الأرض خليفة » وجاء الأنبياء بعضهم على أثر بعض لينظموا هذه الدار ، ولينظموا الحياة فيها على إرادة الله سبحانه وتعالى ومرضاته ، وكان كل واحد حريصاً على إصلاح هذه الدار ، والمحافظة على نظامها ، حتى إذا حاول بعض المفسدين فى الأرض إفساد هذا النظام ، وإحباط جهود المصلحين والعبث بالحياة ، قالوا : « ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها » وإذا أصرت أمة أو أسرة أو جماعة على هذا الإفساد وإيذاء هذه الدار ، استأصل الله شأفتها ولم يبال ، فكانت هذه الدار التى جعلها قراراً للأولين والآخرين ، وبقاء النظام الذى يسود فيها أهم وأعز عنده أهم من الأمم والجماعات والملوك ، فقال: « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » . وتقدمت أمم وحضارات فنظمت هذه الدار على فكرتها وعقيدتها وتربيتها وعلمها ، والله سبحانه وتعالى يمنحهم هذه الفرصة والحرية ليبلوهم أيهم أحسن عملا : (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع الحساب وإنه لغفور رحيم ...)

فشل المنظمون الآخرون وانتهى دورهم

ومن هنا كان دور الإغريق والرومان ، ثم المسلمين ثم الأوربيين وكل أبرز

أحسن ما عنده ولم يدخر شيئا ، وهذا دور الحضارة الغربية والفلسفة الأوربية وقد نثرت كنانتها ، وأفرغت جعبتها ، وأبرزت أجمل ما عندها ، ولا تستطيع أن تأتى بأحسن مما جاءت به ، لقد منحت فرصة طويلة وحرية كاملة في إبراز ما عندها وقد فشلت فشلا تاماً وأفسدت فى الأرض ، بل أفسدت الأرض وأفسدت هذه الدار .

لا يصلح هذه الدار ولا يبنيها من جديد
إلا اليـد التي بنت الحرم ، والأمة التي تحتضن الحرم

وقد ظهر أنه لا يصلح هذه الدار ولا يبنيها من جديد إلا اليد التى بنت الحرم والأمة التى تحتضن الحرم ، وتولى وجهها شطره ، وقد أصبح الصراع منحصراً بين الحضارة الغربية وفلسفة حياتها بمعسكريها الديمقراطى والشيوعي وبين الدين الإسلامى والأمة الإسلامية ، وعلى الشبان أن يجاهدوا فى هذا السبيل ، فعلى أكتافهم قامت كل حركة ودعوة حقاً ، ويتصور بعض الناس أبطال الصحابة الذين على عواتقهم قام الإسلام ودعوته ، كانوا شيوخا معتزلين عن الحياة ؛ وأن الحياة زهدت بهم فأقبلوا على الإسلام ، لا بل كانوا رجال الحياة ودعائم المجتمع ، لذلك فزعت قريش وحسبت للاسلام كل حساب وقالت لما رأت إقبال العقلاء وخيار الشبيبة إلى الإسلام : إن هذا لشيء يراد .

أمثلة من الشباب المجاهدين

ثم ذكرت لهم بعض حكايات الشبان الذين ضحوا بحياتهم و بمكاناتهم ومستقبلهم الاقتصادى ونعيمهم وترفهم فى سبيل الدعوة إلى الشيوعية ونشر مبادئها ، وكيف كان الواحد منهم وهو ربيب نعمة وسليل مترف يهجر الجامعة والوظيفة ويقوم على قارعة الطريق يبيع المجلات الشيوعية ويصرخ ، ويمر به

زملاؤه أو أبناء أسرته ولا يستحى ولا يخجل ، وذكرت لهم ما فعله الشباب اليابانيون فى سبيل وطنهم ومبدأهم .

وذكرت لهم أمثلة جميلة للتضحية والبطولة لبعض الشبان الذين صحبوا السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد من الهند إلى أفغانستان إلى حدود الهند الشمالية .

وحكيت لهم قصة السيد موسى الذى جرح فى وقعة مهيار وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، وقد غطى دم رأسه عينيه ووجهه ، وهو يلحس شفتيه ، ويحمد الله سبحانه وتعالى .

وطلب منى أحد الإخوان الحاضرين أن أحكي لهم حكاية مولانا يحيي على العظيم آباوى ومحمد جعفر التهانيسرى فحكيتهما ، قلت : لا بد من الاستعداد والتربية الدينية والخلقية والروحية والعلمية ، فإن الإسلام لا تقوم له قائمة إلا بالجمع بين العاطفة القوية والعقل الصحيح ، وأن النقص فى الاستعداد والتربية يظهر فى صورة مكبرة فى المستقبل ، واستغرق كلامى نحو ساعة ، واستزادونى فزدتهم ، ثم طلبوا منى شرح منهاج الدعوة والحركة فى الهند فصورت لهم الدعوة وشرحت تفاصيلها ومناهجها واستأنسوا كثيراً ، وأبدو إعجابهم وإخلاصهم ، وكان كثير منهم قد قرأ كتاب (ماذا خسر العالم) .

الخميس ٢٤ / ٤ / ٧٠ هـ — ١ / ٢ / ٥١ م

حديث مع الدكتور أحمد أمين
فى موضوع (يوك) والتصوف

كتبت فى الصباح مقدمة رسالة (بين العالم وجزيرة العرب) ، ثم توجهنا إلى الجيزة ، ووجدنا الدكتور أحمد أمين بك فى انتظارنا ، وسألنى الدكتور عن

(بوك) فقلت: هو علم ذائع فى الهند، وعندهم تجارب طيبة فى الرياضة البدنية، والمحافظة على الصحة وتقوية الجسم؛ أما الروحانية فهم يعتمدون فى ذلك على تعذيب الجسم وتصفية النفس وقهر الشهوات والخروج من سلطان الطبيعة، ويحبسون النفس لمدة طويلة إلى غير ذلك، ولكن أغنانا الله عن هذا ومثله باتباع الشريعة والعمل بالسنة . ولا شك أن تصفية النفس لها آثار وعجائب، وقد يتغلب الإنسان على الطبيعة، ولكنها بالصناعة والبهلوانية أشبه منها بالولاية، ولذلك آثر السادة الصوفية المتبعون للسنة تصفية القلب على النفس، وتطرق الكلام إلى التصوف والصوفية، فعلمت أن الدكتور كانت له مشاركة فى هذا العلم، وقد تلقى دروساً من شيخ نقشبندى كان صيدلياً، قلت: لا شك أن القوم لهم أذكار قلبية تفيدهم السكينة وقوة القلب .

بين حكيم وعارف !

قال الدكتور. قرأت فى بعض الحكايات أن الشيخ الرئيس ابن سينا صادف مرة سلطان أبا سعيد أبا الخير الصوفى المشهور على الباب فأقاما معاً ثلاثة أيام، فلما افترقا سأل رجل ابن سينا عن أبا الخير فقال: هو يرى ما أعرفه، وسئل أبو الخير عن ابن سينا فقال: هو يعرف ما أراه، قلت: إلى هذا المعنى أشار الدكتور محمد إقبال بقوله عن العارف المحقق: إن سر الدين لنا خبر وله نظر؛ هو داخل البيت ونحن خارجه

من الكثرة إلى الوحدة

قلت لا شك أن لباب التفكير والعلم وغايته الانتقال من الكثرة إلى الوحدة، وهو قوة عظيمة وعلم عظيم إذا فتح على رجل نجا من تشتت الفكر والتحير فى الكون وعبادة المادة والأسباب، وتوصل من الأسباب إلى المسبب

قال : وكنت أقول فى مجلس أصدقائى وزملائى إن العقل ليس هو المصدر الوحيد للعلم ، بل القلب كذلك مصدر من مصادر العلم ، و يلح بعض زملائى على أن العقل هو المصدر الوحيد للعلم ، قلت: للشيخ المجدد الشيخ أحمد السرهندى كلام جميل فى نقد العقل ، فمذهبه أنه لا يوجد ما يستحق أن يسمى العقل البرىء الخالص، ولا الكشف المعصوم عن الخطأ، فكلاهما يتأثر بالخارج والمسلمات عند القوم والعادات والأهواء ، و يمتزج الباطل والحق من حيث لا يشعر الإنسان، كالمرآة ينعكس عليها أشياء كثيرة .

المصدر الصحيح الذى يوثق به هو (الوحي) والعلم الذى جاء عن طريق الأنبياء

والمصدر الصّحيح الذي يوثق به هو الوحى والعلم الذى جاء عن طريق الأنبياء عليهم السلام .

ولم نزل نتكلم ونتذاكر ونحن نتمشى فى حديقة الحيوانات حتى وصلنا إلى جزيرة الشاى، ودعا سعادة الدكتور بالغداء وجلسنا على شاطىء البركة تحت شمسية نتفرج على البط السابح والماء الصافى ونتمتع بالمنظر الجميل ونستفيد بحديث الأستاذ الدسم ، قال : لاشك أن الإنسان يستطيع بالتصوف أن يقاوم مغريات المدنية الحاضرة . .

معلومات عن السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده

قلت : أظن إن السيد جمال الأفغانى كان عنده شيء من هذا وأنه كان يشتغل بذكر القلب ، قال: وأظن أن الشيخ محمد عبده كان كذلك فكلاهما كانا زاهدين فى الدنيا وماتا ولم يخلفا ثروة ، قلت: أو قد قرأت على الشيخ محمد عبده ؟ قال: حضرت له درسين ، وكان الشيخ محمد عبده عنده إيثار وسخاء ينفق ما يأتيه

على أصحابه والفقراء ، وكان يسكن فى بيت مبنى من طوب نىء ، قال: وما تقول فى وحدة الوجود؟ قلت: المسألة عملية أكثر مما هى نظرية قال: وهو كذلك ، قال: قد يحصل للانسان لحظات طيبة ، ولكنها لا تبقى ولا تدوم ، قلت: لو دامت لانقطع الإنسان عن الحياة ولم يعد يقدر على معالجتها ، قال: قد سمعت الناس تدوم لهم هذه اللحظات ، قلت: قد يكون ذلك إذا حصلت لهم ملكة راسخة.

الفرق بين القضاء والتعليم

وتنوع الحديث قلت : هل كانت لكم رغبة فى القضاء ؟ قال : أبداً ، ولذلك اخترت التدريس فى آخر يوم من أيام القضاء ، وذلك لأن القضاء تأتى فيه عائلات متخربة ، وفى التدريس تأتى أزهار تريد أن تتفتح.

وقال : كان لى أستاذ يقول إنما عقلك رياضى فكيف تشتغل بالأدب ؟ قلت : نعم ، ولذلك كان أدبكم متركزاً . قال: إنما أحب الترتيب المنطقى فى الأدب ولذلك لا أتذوق الشعر لأنه لا يخضع المنطق .

فى قاعة الدكتور عبد الحميد سعيد بجمعية الشبان المسلمين

وفى الليل حضرنا محاضرة للأستاذ سعيد رمضان فى قاعة عبد الحميد سعيد فى دار جمعية الشبان المسلمين ، وكانت محاضرة حماسية طويلة استغرقت ساعتين وكان الموضوع «الجامعة الإسلامية» ، ومما لاحظته فى هذه المحاضرة الطابع الدينى للمحاضرة ، وكان أبرز وأجلى من الطابع العلمى ، وبذلك استدللت على أن الحياة فى مصر تطورت تطوراً عظيما ، وأصبحت الكلمة الدينية سائغة مقبولة بعدما كانت ثقيلة ، كذلك إقبال الشباب المتعلم على الدين ، فقد استمعوا إلى الخطبة زمناً طويلا وكثير منهم واقفون ، وكان يقاطع الخطبة هتافات عالية بالتكبير والتحميد وتصفيقات حارة .

الجمعة ٢٥ / ٤ / ٧٠ هـ - ١ / ٢ / ٥١ م

وصادفنا صديقنا الشيخ أحمد عثمان ، قال : قد نزلت صاعقة فى مصر. قلت: وكيف كان ذلك ؟ قال : طالب طلبة الجامعة بإعادة البغاء الرسمى الذى كان ألغى ومنع ، لأنه كثر تعرض الشباب للفتيات فى الشوارع والطرق ولا علاج له إلا السماح بالبغاء ، وقدم إلى « آخر لحظة » ، وكان الصديق متأثراً جداً قد أخذته الحمية الدينية والثورة الإسلامية ، فصار يندد بعلماء الأزهر وقل: ألا يضربون فى سبيل الدين والفضيلة كما أضربوا للدرجات والمساواة ؟ ألا يغضبون لله ولرسوله كما غضبوا لأنفسهم قلت : مهلا ياسيدى الأستاذ فإن هذه المحاربات للاسلام والعبث بالأخلاق والوقاحة والتطرف ستدوم وتستمر وتتجدد مالم يوجد عند الشعب روح دينية قوية وإباء ثائر من هذه المضحكات المبكيات .

يقظة الوعى الدينى ووجود الروح الدينية فى الشعب

علاج حاسم للوقاحة والتطرف والمحاربات للاسلام

ومالم يستيقظ الوعى الدينى فى نفوس الجماهير وأفراد الشعب ومالم تصبح الأمة رقيبة للحكومة محاسبة لتصرفاتها وميولها الخلقية فكل علاج تلتجىء إليه هو علاج مؤقت قاصر ، ونحن نسمع تلاوة القرآن من محطة الإذاعة المصرية ونحن فى السيارة فقلت: ما أعم القرآن وما أخصه وما أكثر سماعه ، وما أقل الانتفاع به والاهتزاز له ، وقد توجهنا اليوم إلى بلدة أوسيم بالريف

زيارة الريف المصرى

وكانت هذه أول مشاهداتى للريف المصرى فما شعرت إلا وأنا فى الهند ، وكأن الحياة التى كنا نشاهدها والأرض التي كنا نقطعها ليست لها صلة بالقاهرة ، هذه فى غاية المدنية والرفاه والترف والنظام وتلك فى نهاية الفقر والبؤس والإهمال .

وجود التفاوت العظيم فى درجات المعيشة خطر عظيم . . . .

إن وجود هذا التفاوت العظيم فى درجات المعيشة والمدنية والثقافة فى شعب واحد وفى مسافة قريبة — بل تلاحظه فى مدينة واحدة بل في حي من أحياء البلد — خطر عظيم على الأمة والبلاد ، وهو الذى يمهد الأرض ويفتح الطريق لثورات اقتصادية وموجات شيوعية ، ووصلنا إلى منزل الحاج عطية الهوارى فإذا هو قصر فخم جديد سمعت فى القاهرة أنه أنفق عليه خمسة وعشرين ألف جنيه ، وخرجنا إلى المسجد وصلينا الجمعة ، وقد خطب وصلى بالناس صديقنا السيد على محمود الشريف وأعلن عن خطبتى فقمت وتكلمت بما حضرنى وفسرت سورة العصر ولم أنته من خطبتى إلا وانهال الناس على وتدافعوا ، وكل يريد أن يصافحنى حتى خفت أن أسقط من الزحام .

الاحتفاء بالضيف المسلم فى الريف

ودعوت الله أن يحقق ظنهم ولا يخزينى فى الآخرة ، وآمنت بنفوذ الدين وقوة سلطانه على القلوب والأرواح ، فأنا من الهند وهؤلاء من مصر لا تربطنى بهم إلا رابطة الدين ، ولكنهم كانوا يقابلوننى بإخلاص وروح لا يقابل بها غريب فى بلاد على هذه الكرة الأرضية ، وماذاك إلا بدافع الدين وقوته

مواد خامة ضائعة

وخرجت متأثراً بما رأيت من احتفاء الناس بأخيهم المسلم وسلامة طبقتهم وحسن نياتهم ، فحدثت الجماعة بهذا وقلت : أيها السادة عندكم مواد خامة من أحسن ما توجد فى الدنيا ولكنها ضائعة مهملة ، لا تجد من يوجهها توجيهاً صحيحاً ، وينتفع بها ، وأيدنى الأستاذ جلال بك وقال : تجولت فى بلاد الشرق والغرب وكانت لى جولات فى أوربا ، ولكن ما رأيت أحسن وألطف وأصلح وأقوى روحاً

وإيمانا من الشعب الذى يسكن فى الأرياف ، ولكنا مصابون بمركب النقص وقد فقدنا الثقة بأنفسنا وأمتنا ، فلا نزال نستهين بقيمتها ونحتقرها ونجل الشعوب الأوربية ، والله ما رأيت عندها من النظافة وسلامة الطباع وقوة الإيمان والمواهب الفطرية مارأيت عند المسلمين الفقراء والطبقات العامة فى أريافنا ، وذكره بتفصيل ودليل ، ثم تكلمنا فى طرق الانتفاع بالشعب والجمهور ، فشرحت لهم طريق الدعوة الدينية فى الهند والاتصال بطبقات الشعب وتعاون الطبقة المثقفة والمرفهة فى سبيل نشر الدعوة والمبادىء الدينية فى القرى والمدن وتخصيصهم بعض الأيام فى الشهر والأسبوع للخروج فى الرحلات الدينيـة ؛ وعزز الأستاذ جلال بك ما قلت فذكر مشاهداته فى الهند والباكستان وما أثمرت هذه الدعوة فى المدن . ووجدت فى الحاضرين رغبة فى اتباع هذه الخطة فى هذه البلاد ؛ ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً

السبت ٢٦ / ٤ / ١٣٧٠ هـ — ٣ / ٢ / ٥١ م

زيارة الجامع الأزهر

رأينا من الجفاء أن لا نزور الأزهر ونحن جيرانه فى السكنى ؛ وإن كان هنالك إضراب عن التعليم ، ولكن نتشرف وتقر عيننا بزيارة الجامع الأزهر وما تيسر لنا زيارته من الأروقة والكليات والإدارة ، فذهبنا أولا إلى الجامع ، ودخلنا فى هذا المسـجد التاريخى والمعهد العظيم الذى خرج من الأئمة والمحدثين ، والفقهاء والمؤلفين ، والصـالحين والدعاة إلى الله ، مالم يخرج معهد آخر وجامعة أخرى فى العالم الإسلامى ، فأنعم وأكرم بهذا المسجد الشريف وهذا المعهد العظيم دخلنا فى المسجد فتجددت لنا ذكرى العلماء السلف المخلصين ، الذين كانوا يجلسون على الحصير وعلى البساط المتواضع ، ويحكمون على الملوك ، وكانوا مخلصين لدينهم وعلمهم وأمتهم مجاهدين فى سبيل الحق ، فما دخلت فى المسـجد إلا وشممت رائحة العلم ، وهبت علينا نفحة من نفحات الماضى السـعيد تحمل معها أريج العلم والإخلاص.

والخشوع والزهد ، وسيرجع إن شاء الله إذا انتهى الإضراب وشرع فى التعليم .

في إدارة الأزهر

خرجنا إلى إدارة الأزهر فإذا بها تشبه إدارة لدولة مستقلة، فلم نزل ننتقل من غرفة إلى غرفة، ونتصفح لوحا بعد لوح، حتى مررنا بلوح كان مكتوبا عليه «إدارة مجلة الأزهر »

حديث مع الأستاذ محمد فريد وجدى

وهنا وقفت وتذكرت الأستاذ محمد فريد وجدى الذى عرفته من أيام طلبي للعلم ، وقرأت له دائرة المعارف الإسلامية ومقالات كثيرة ، فأرسلت بطاقة زيارة ودعينا على أثرها ، قابلنا الأستاذ محمد فريد وجدى ورحب بنا ، ولما علم أننا من الهند ولنا اطلاع على مؤلفاته ومقالاته هش فى وجوهنا وفرح بلقائنا ، وأخبرته أن كتابه القديم (المرأة المسلمة) الذى ألفه فى الرد على كتاب قاسم أمين (المرأة المصرية) قد نقل قديما إلى الأوردية وقد نقله مولانا أبو الكلام آزاد وزير المعارف فى الحكومة الهندية فى شبابه، والترجمة تعد مثالا جميلا للترجمة وقطعة أدبية ، قلت: نعرف لكم فضل الجمع بين الثقافة العصرية والثقافة الدينية والدفاع عن الإسلام بسلاح العلم العصرى والفلسفة الأوربية ،قال: هى الطريقة الصحيحة لخدمة الإسلام فى هذا العصر و بيان فضله ومحاسنه

الفرق بين الثقافة الفرنسية والثقافة الإنجليزية

قلت: وثقافتكم إنجليزية أو فرنسية؟ قال: فرنسية لكنى أفضل اللغة الإنجليزية على الفرنسية ، قلت : لعل الإنجليزية أقوى فى العلم والفرنسية أقوى فى الأدب والمعانى الشعرية قال: هو كذلك ، قلت: والشعب الإنجليزى شعب واقعى وشعب جد وصرامة ، قال: وعند الإنجليز إقبال أعظم على الجانب الروحى ودراسة له وسيشرق منهم النور فى المستقبل ، قلت: لا مؤاخذة إنهم يعنون بالجانب الروحى

كفن وصناعة ، وليسوا مخلصين جادين فى دراستهم وفحصهم عن الحق ، وكأن الأستاذ وافق على ذلك .

ثم تحادثنا عن المسلمين فى الهند ومستقبلهم قال: أرجو أن يوجد عند الهندوس إقبال على الإسلام فى المستقبل ، قلت .أرجو ذلك .

وصادفنا عنده الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ناقل كتاب مفتاح كنوز السنة عن أصله الهولندى إلى اللغة العربية ؛ وسأل عن الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوى وأثنى عليه خيرا وقال: تلقيت منه ردا لطيفا على رسالتى وهديتى وشكر وأثنى على جهدى وأهديته كتابى ورحب بالكتاب ووعد بالاجتماع بنا يوم الاثنين فى نفس الإدارة وإهداء بعض مؤلفاته

« ملاحظتى عن أروقة الأزهر

وصادفنا كذلك الأستاذ على فكرى أمين دار الكتب المصرية سابقا مؤلف (السمير المهذب) وتعرفنا به ، وبعد الخروج من الإدارة زرنا كلية الشريعة ومكتبتها بصحبة الأخ محمد الدمرداشي المتعلم فى كلية الشريعة ، وزرنا أروقة الأزهر وساءنا عدم النظافة فيها وقلة النظام ، ومن رأيى أن هذه الأروقة تحدث فى ساكنيها شعوراً بضعفهم وفقرهم وإجلالا زائداً لحياة الكليات المدنية والجامعة ونظامها وأبنائها ، وذلك الذى يسمى بمركب النقص ، وليس هنا من روح الاعتزاز بالدين والعلم مايقاوم هذا الشعور ، فأحسن أن تبني إدارة الأزهر أروقة لاتقل فى نظافتها ونظامها عن الكليات العصرية والجامعة المصرية .

وفى العصر ذهبنا مع الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب لزيارة فضيلة الشيخ مصطفى صبرى أفندى شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقا ، ولكن لم نتمكن من زيارته فقد كان مريضاً ، فأرسلنا إليه نسخة من كتاب «ماذا خسر العالم» هدية وللرسائل

زيارة الشيخ محمد زاهد الكوثري

ومن هناك توجهنا إلى زميله وصديقه الأستاذ الكبير والمؤلف المشهور الشيخ محمد زاهد الكوثري فقابلنا بحفاوة وتواضع ، وذكرنا بتواضعه وانبساطه بعلماء الهند ، جلسنا نتحدث وكان الحديث معظمه يدور حول « سيرة النبي » للشيخ شبلي النعماني والأستاذ السيد سليمان الندوي وترجمتها التركية وعن الأستاذ يوسف البنوري والمخطوطات في الهند وأهدى إلينا مجموعة صالحة من مؤلفاته ومنشوراته ، ومع الأسف ما بقي لي ذوق ورغبة في المناقشات المذهبية والردود والمباحثات وليس لي إطلاع واسع على ما كتب وقيل عن الأئمة وتهوين شأنهم والمنافحة عنهم ، وإلا كان مجلساً لطيفاً ممتعاً ، واستأذناه وأعجبنا من الأستاذ تواضعه و بساطته وسعة اطلاعه ونشاطه واشتغاله بالمطالعة والتأليف في هذه السن العالية والزمن الذي لا يقدر هذه الجهود العلمية .

الأحد ٢٧ / ٤ / ٧٠ هـ — ٤ / ٢ / ٥١ م

زيارة محكمة الجنايات وشهود قضية الإخوان

جاء الأخ عبد الله عقيل العراقي وذهبنا معه على حسب ما كان تقرر قبل إلى محكمة الجنايات ، وفيها اليوم مرافعة الأستاذ سعيد رمضان عن المتهمين في قضية الإخوان المسلمين ، وقد أحببت أن أشهد قضية في محكمة مصرية فإنها ناحية من نواحي الحياة والوضع الإداري في البلاد ، وصلنا إلى المحكمة ففتش الحرس جيوبنا وأذنوا لنا بالدخول ، ورأينا في غرفة المحكمة جماعة كبيرة من الطلبة والشبان والسيدات والمحامين ، وسمعنا من الضباط والحرس من كلمات الترحيب ما لا يمكن أن نسمعها في محاكم بلادنا التي لا بد أن يكون جوها رهيباً كالحاً ، بالعكس من ذلك سمعنا بعض الحرس يقولون : « حلت البركة » ويقولون : هؤلاء ضيوفنا ،

ولا شك أن الطبيعة العربية فيها شيء من المرح وخفة الروح لا يفارقها ، ورفعنا أبصارنا فرأينا لوحة على الجدار على رأس من يجلس على المنصـــــة من القضاة والمستشارين فيها قوله تعالى: «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل». فقلت: ياليت كان هذا أساس الحـكم وشعار الحاكم ودستورها فى الأقطار الإسـلامية ، وليت كان هذا نصب عين القضاة والحاكمين لا خلاف قضاتهم كما هو الواقع ، وجاء حضرات المستشارين وهم ثلاثة فجلسوا على المنصة وهم فى بذلتهم القضائية ، وجاء المتهمون فدخلوا فى قفص الجناة والمتهمين .

مرافعة الأستاذ سعيد رمضان وتأثيرها

جلس ممثل النيابة فى جانب ، ووقف الأستاذ سعيد رمضان موقف المرافع وأدلى بقضيته فى خطابة مؤثرة وشجاعة نادرة ، وذكر قصـة استخلاف آدم وخروجه من الجنة والصراع القديم بين الحق والباطـل وتعاليم النبوة ونزغات الشياطين ، ثم ذكر الخلافة الإسلامية وشبابها ثم وهنها وشيبها والزحف التتارى والغارة الصليبية ، ثم ذكر الصليبية الأوربية فى القرن التاسع عشر والاحتلال الأوربى ، ثم تدرج إلى ذكر الصليبية اليهودية ونواياها وخطرها على الإسلام ثم نهضة الإخوان المسلمين ورباطهم أمام هذا الخطر الداهم ووقوفهم موقف المجاهدين لا موقف الثائرين المجرمين معززا ذلك كله بالآيات والأحاديث الـكثيرة التى كان يستشهد بها فيتحول الجو القضائي الى الجو الدينى وترق القلوب وتخشع ، وينسى الناس أنهم فى محكمة ويتصورون وكأنهم فى وعظ دينى أو حفلة سياسية ، وذلك يدل على قوة المحامى وإيمانه وتقلب الجو وتأثره بحركة الإخوان ، ولما خاطب المحامى العدل والرحمة فى نفوس حضرات المسـتشارين وأراد أن يحرك الإيمان والشعور الدينى بهم — وهم طبعا مسلمون — تأثر الناس وتحركت النفوس حتى إذا وجه خطابه إلى المتهمين وأوصاهم بالاستقامة والصبر وتلا عليهم الآيات والأحاديث

فى هذا المعنى فاضت العيون وعلا النشيج فى بعض الجوانب خصوصا السيدات وخرجنا من المحكمة متأثرين متعجبين مما رأينا وسمعنا .

مع الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا والد المرشد العام

وكان من لطيف المصادفات أنا ذهبنا بعد زيارة المحكمة إلى الشيخ أحمد ابن عبد الرحمن البنا الساعاتي والد فضيلة الأستاذ حسن البنا ، وكنا نعرفه فى الهند كمؤلف « الفتح الربانى » وخادم للحديث الشريف ؛ ثم سمعنا أنه والد الأستاذ البنا ، وإذا كان كثير من الناس اشتهروا بآبائهم فمنهم من اشتهر بابنه ، ووصلنا إليه وطرقنا بابه فخرج الشيخ وقد نالت منه السن والحوادث وأضنته المطالعة والتأليف ، وأخذنا فى حجرة مكدسة بالكتب ، ثم اطلعنا على ترتيبه لمسند الإمام الشافعي كترتيبه لمسند الإمام أحمد بن حنبل وخدمته لمسند أبى داوود الطيالسي وقد حصلت له نسخة مطبوعة فى الهند ؛ وأطلعنا على كلامه فى علماء الهند واعترافه بجهودهم وإخلاصهم للعلم وثنائه العاطر عليهم وتفضل فقدم إلينا القهوة العربية وشربناها

والد المرشد العام يحكى قصة ولده العظيم

قلت لفضيلته : نريد أن نسمع منكم شيئا عن فقيد الإسلام ولدكم الشيخ حسن البنا رحمة الله عليه وكيف كان فى صغره وشبابه وقد قال الله تعالى : « ولا ينبئك مثل خبير » فقال حبا وكرامة ، ثم أفاض فى سيرته وأجال ، قال : لم يولد لى ولد مدة حتى اشتقت إلى الولد فدعوت الله سبحانه وتعالى أن يرزقنى ولدا ذكرا صالحا ورأيت ولدا صغيراً يصلى فأعجبنى فقلت : ويصلى كما يصلى هذا الولد ، وأن ينبته الله نباتاً حسنا ، فولد لى ولد ذكر وسميته الحسن لأنى لما تزوجت خاطبت والدتى زوجى بقولها : يا أم الحسن ، ولما بلغ الرابعة من عمره أدخلته فى كتاب ، ولم يزل

ينتقل من كتاب إلى كتاب حتى حفظ القرآن إلا ثلاثة أجزاء بقيت له، وأردت أن أدخله فى مدرسة المعلمين الأولية فى دمنهور ، وهى لا تقبل إلا من حفظ القرآن فدعوته يوما وكان ولدا بارا طيعا ، فقلت :ياولدي قد عزمت على أن أدخلك فى مدرسة المعلمين ولكنك لم تكمل حفظ القرآن بعد فماذا ترى ؟ قال. يا أبت افعل ماتريد وأنا طوع أمرك ، فقلت هات اللوح وبدأت أكتب له القرآن وهو يحفظ حتى حفظ الثلاثة أجزاء فى مدة قريبة ودخل المدرسة، وكان مقبلا على العبادة وهو لم يبلغ الحلم يصوم ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان ، فقلت له : ياولدى إنك لم تبلغ بعد ولم يفرض الله عليك الصوم ، فلماذا تجهد نفسك ؟ فقال يا أبى إن لى رغبة في الصوم ولا يشق على فتركته ، وكان يحضر درسي فى المسجد وكان نشطا للعبادة وأقوى عليها من كثير من الكهول والشيوخ ، وكانت له رغبة في بذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومن غريب ما وقع له أنه كان يتفرج مرة على نهر فى المحمودية فرأى سفينة فيها تمثال لامرأة عارية فذهب إلى رئيس الشرطة وقال لا يليق هذا التمثال ويتفرج على النهر كثير من الشبان والفتيات ، فلا بد من كسره وإزالته فضحك الرئيس وأراد أن يتخلص فأرسل معه شرطيا وقال له إذا اقتنع صاحبه ورضي بكسره فاكسره وهو يعلم أنه لا يرضى فذهب وأفهم صاحب التمثال وأقنعه بأنه حرام وغير لائق فكسره ، وكان هنا رجل صالح من مشايخ الطرق ومن العلماء المتبعين فأوصيته بمجالسته فكان يجالسه حتى تشبع بحبه وانتفع به ، ولما كان فى السنة الأخيرة من المدرسة انتظمت دار العلوم فى القاهرة وأدخلت فيها العلوم العصرية مع العلوم العربية التى كانت دار العلوم ممتازة فيها ؛ فرأيت أن أحوله إليها لمكانتها العلمية وشهرتها وكلمته فى ذلك ، فاستقر الرأى على أن يتم هذه السنة فى مدرسة دمنهور ويستعد لدار العلوم ، فقال: عليك يا أبى أن تمدنى فى العلوم النقلية من الحديث والفقه

وغيرها ، وعلى أن أستعد بنفسي في العلوم الرياضية ، وهكذا كان، وسافر إلى القاهرة وفي ليلة الامتحان كان خائفاً جداً من جهة علم الجبر (١) ، فكان يشعر بضعف فيه ويخاف أنه إذا اختبر فيه فإنه يرسب . وغلبته عينه فرأى شيخاً يقول له: هون عليك يا حسن فإني أخبرك ما ستختبر فيه وأخذه وذهب إلى نهر وعبر به إلى شاطىء آخر ، وعين له صفحة من الكتاب ، وقال عليك بحفظها وفهمها ، قال الشيخ أحمد عبد الرحمن: كان ولدي حسن يحلف بالله أنه لما استيقظ وجد أنه قد حفظ هذا الدرس، وذهب إلى الاختبار فوجد نفس الدرس فنجح بسهولة ولم يزل يطلع الأول ويبرز في كل امتحان حتى حسده وحقد عليه زميل له كان من نفس بلدته وهو أكبر منه بعشر سنين ، فجاء بالنفط والسم وأراد أن يلقي النفط في عينيه ليعمي والسم في فمه ، ولكن طاشت يده فوقع النفط على جبهته وأخطأ السم موضعه كذلك ، فقام الحسن مذعوراً جريحاً متألماً وتحقق بعد ذلك أنه عمل زميله فلان ووصلت القضية إلى الشرطة ، ولكن اشفع للمجرم بعض الشيوخ فعفا عنه حسن؛ قال أريد أن أؤخر هذه الحسنة عند الله وأسامح المجرم شكراً لله تعالى على خلاصي من مكيدته

ومر حسن في الامتحان ونجح بتوفق وامتياز وعين مدرساً في الإسماعيلية وقام بالدعوة هناك وأسس جمعية الإخوان المسلمين، وكان يزور المساجد والقهوات فيلقي محاضرات وخطباً دينية ، ويدعو إلى الدين وينكر على المناكير ، ونشطت الدعوة واتسعت دائرتها حتى خصصوا لها داراً واسعة وانتقل من الإسماعيلية إلى مديريات أخرى فكان في الإسكندرية وفي السويس بل وفي كل مكان موضع داعية نشيطاً يؤسس جمعيات الإخوان وينظم الدعوة ويلقي محاضرات حتى انبثت فروع الجمعية في القطر المصري، وكان لها من النفوذ والشوكة والتأثير في الحياة والأخلاق ما تعلمونه

---

(١) قد ذكر الشيخ الشهيد عليه رحمة الله في مذكراته أنه كان علم النحو والصرف

ثم عنى ولدى حسن بالصناعات والتنظيم ورأى من احتلال الأجانب الاقتصادى فى هذه البلاد وامتصاصهم لدم الشعب واحتكارهم للصناعات والتجارة والمناجم ما دفعه إلى تأسيس مصانع وشركات ، ودرب المهندسين الذين يشتغلون فى المناجم ويغنون الشعب عن الأجانب ، حتى أفزع ذلك الجاليات الأجنبية والشركات الأوربية فأصبحت تدبر له المكيدة وتبييت الخطط لإسقاط جمعية الإخوان المسلمين وحلها ، ووقع خلاف بين الجمعية والنقراشى باشا رئيس الوزارة فى ذلك الحين وعارضه الإخوان حتي طالب منه الملك أن يقدم استقالته فاستقال ، فكان ذلك من أقوى الأسباب فى حقد النقراشي علي حسن وجمعيته ، ثم جاءت هذه الوزارة مرة ثانية حين جاءت حرب فلسطين وحلت الجمعية، ووقع ما وقع من اغتيال النقراشى وشهادة حسن مما تعلمونه ويعلمه الجميع.

قص الشيخ قصة ولده العزيز وفلذة كبده بكل وقار وسكينة ، كأنه يحكي قصة من قصص التاريخ، وعجبنا لهذه الرجولة والإيمان، فقد احتسب ولده فى سبيل الدعوة والجهاد وتحمل هذه الفاجعة في صبر المؤمن وجلادة المجاهد ؛ وتذكرت بيتين تمثل بهما أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى مثل هذه المناسبة :

فإن تسأليني كيف أنت فإننى ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز على أن ترى بى كآبة ... فيشمت عاد أو يساء حبيب

حديث مع علوبة باشا

وفي الساعة الرابعة توجهنا إلى معالى محمد على علوبة باشا وقد اجتمعت بمعاليه فى سنة ٣٣ م فى لكنو ، وقد جاء فى زيارة للهند مع سماحة المفتى أمين الحسينى وزار دار العلوم التابعة لندوة العلماء، وكنت أتردد عليه في لوكاندة « برانجتن » وأنا شاب فى العشرين سنة من عمرى ، زرناه فى منزله فى مصر الجديدة ، فرأيته أقوى صحة

وأكثر نشاطاً مما رأيته قبل ثمانية عشر عاماً فلا أدرى هل أنا متوهم أوهو الواقع فقد سمعت أن معاليه قد سافر إلى أمريكا وتعالج هنا ، وخرج يتوسم فى كأنه يتذكر شخصاً رآه وذكر زيارته لدار العلوم وسأل عن أحوالها وعن أحوال المسلمين ، ثم بدأ يذكر جهوده ومشاريعه فى الباكستان وتوجيهاته لحكومته فى إيجاد الصلات الثقافية والدينية بين مصر والباكستان ، ومشروع تأسيس المدارس العربية فى باكستان على نفقات الحكومة المصرية وفى الهند كذلك .

رأى علوبة باشا فى الباكستان ومسلمى الهند وأندونوسيا

وقال إن كان هنالك أمل فيو فى الباكستان ومسلمى الهند وأندونوسيا ، هذه هى الأفكار التى توجد فيها الروح القوية والشعور الدينى والأمة العظيمة ، ورأيته قليل الأمل ضعيف الثقة بالأقطار العربية ، لا يعتقد أن هنالك جداً وإخلاصاً كثيراً للوحدة والجامعة ، قال والأقطار الشرقية التى ذكرتها مع أهميتها وقوتها وعمرانها الفائق تنظر إلى مصر كزعيمة العالم الإسلامى ، وهذا وزير معارف الباكستان يقول فى مصر وهو وزير دولة فيها أربعة أضعاف مافى مصر من المسلمين ، ، إن مصر زعيمتنا فى الدين والعلم ، وكنت أرى من مصلحة مصر وسياستها الحكيمة أن ترتبط ثقافياً ودينياً بهذه الأقطار الإسلامية الناهضة وتأخذ مكانتها اللائقة فى حلقتها ، وعلى حكومة مصر أن تحقق هذه الأمنية وتوجد هذه الرابطة ، وخرجنا من عنده وصلينا المغرب فى « جراس » الأستاذ إسماعيل ، ورجعنا على سيارته إلى العتبة الخضراء .

الاثنين ٢٨ / ٤ / ٧٠ هـ — ٥ / ٢ / ٥١م

ذهبنا على الميعاد إلى إدارة الأزهر وقدمنا نسخة من « ماذا خسر العالم »

إلى الأستاذ فريد وجدى وطلبنا منه إبداء رأيه فى مجلة الأزهر فوعد بذلك ، وقلب صفحات الكتاب وتصفح فهرسه وأبدى إعجابه ، وبعد قليل جاء الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى وأهدى كتابه « تيسير المنفعة بكتابى مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » نسخة إلى كاتب هذه السطور ونسخة إلى الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوى .

مقابلة الشيخ محمد الغزالى

كنت حريصاً على الاجتماع بالشيخ محمد الغزالى وهو من شخصيات الإخوان البارزة ، وأحد كتاب النهضة الدينية فى مصر ، وقابلت مؤلف « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » و « الإسلام والمناهج الاشتراكية » و « الإسلام المفترى عليه » و « من هنا نعلم » . قابلت الرجل الذى يغذى جماعة الإخوان بالغذاء الفكرى والروحى الصحيح ، والأدب الإسلامى الدسم ، وسررت لهذه المقابلة لأنى رأيت فيه رجلا صالحاً مثقفاً نشيطاً صاحب قلب حى وعقل نير ووجه يفيض بالبشر ، ورأيت أن كلا منا يعرف صاحبه عن طريق الكتب والرسائل ، ويرى فى هذه الكتب صورة أفكاره ومبادئه ، وكان عنده عظة فى الأزهر ، وكان الشيوخ ووعاظ الأزهر يذيعون الخطب الدينية بمناسبة مولد سيدنا الحسين فصاحبناه .

الاحتفال بمولد الحسين رضى الله عنه

مصر تحتفل فى هذه الأيام بمولد الحسين رضى الله عنه ، فلا ترى فى القاهرة إلا الأضواء ، والأزهار ، والحلاوى ، والحملات ، فههنا رجل يقسم الخبز على الفقراء ، والناس من الفقراء وغير الفقراء يتدافعون ويتزاحمون للحصول عليه ، وهنا حفلة مزخرفة ودكاكين زينت وشوارع أنيرت ، وترى فى كل ناحية من

نواحي القاهرة جموعاً ووفوداً من الأرياف هم « ضيوف سيدنا الحسين » جاءوا للتمتع والتفرج على العيد المزعوم للشهيد المظلوم ، ومنهم من جاء لزيارة مدفن رأسه ، ولا يهمهم بل لا يهم كثيراً من أهل العلم في هذا البلد كيف وصل رأس الحسين إلى القاهرة ومتي جاء ومن جاء به وهل لهذه الشائعة أصل تاريخي أولا ؟ بل يكفيهم مجرد ماذاع في الناس واشتهر ، يبنون عليه دينهم ، بل يروون في ذلك قصة غريبة ، وهي أن امرأة قتلت ابنها وقطعت رأسه ووضعته مكان رأس الحسين وجاءت برأس الحسين إلى مصر انشرفها به ، فالمصريون يعرفون لها هذا الفضل ويزورونها كذلك ، وهي مدفونة بقرب من مدفن رأس الحسين .

(الثلاثاء ٢٩/٤/٧٠ هـ — ٦/٢/٥١ م)

أصبحت اليوم غير نشيط واشتغلت في الليلة بكتابة مقالة « اسمعي يامصر » وملكت على فكرى فأصابنى من الأرق ما قد يصيبنى إذا شغل فكرى بشيء ، ونمت متأخراً واستيقظت ولم أقض حاجتى من النوم .

صلتي بصحيفة « الفتح » وصاحبها

توجهنا عصراً إلى الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب الفتح إلى جزيرة الروضة ، ومعرفتنا بالفتح وصاحبها قديمة مضي عليها نحو عشرين سنة يوم كنا تلاميذ عند الأستاذ الكبير السيد تقي الدين الهلالى المراكشي (الآن الدكتور الهلالى) وكانت الفتح تأتينا في مكتبة الإصلاح بنادى الطلبة وفي بيتنا وكانت صحيفة عزيزة عظيمة عندنا ، وكان يكتب فيها يومئذ الأمير شكيب أرسلان والأستاذ الهلالى ، وتشرفت أنا وزميلى الأستاذ مسعود الندوى بالكتابة فيها ، ونشرت لي مقالات في تلك الأيام منها « لسان العصر » نقلت فيها إلى العربية شعر السيد أكبر حسين الإله آبادى شاعر الهند المعروف في نقد الحضارة الغربية

في أسلوب أدبي ساخر ، وقد نشرت الفتح هذه المقالة تباعاً في أعدادها، وكنت قرأت للسيد محب الدين كثيراً ، وقرأت أجزاء الحديقة التي أطلعتني على أمثلة جميلة للأدب العربي الإسلامي المعاصر ، وتعرفت بها بكثير من الأدباء الناهضين وكذلك مجلدات الزهراء .

مع الأستاذ محب الدين الخطيب

وصلنا إلى جزيرة الروضة وهي في أقصى البلد واجتمعنا بالأستاذ محب الدين. أذكرني الأستاذ محب الدين بزمن كان الشباب فيه غضا وثوب العمر أبيض نقيا ؛ قلت ما بال الفتح ؟ قال أوقفتها من يوم أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرما يفتش ويعاقب، يشير إلى مطاردة الإخوان وتفتيشهم، وجلس يذكر عدم اندماجه في هذا المجتمع وغربته في البلد ، وذكر الشيخ أحمد عثمان رغبتي في الاجتماع ببعض الأدباء ومشاهير الكتاب فانتقدهم من ناحية متانة الخلق وسلامة الدين ، وقال إن أبلغ تعبيرعنهم أنهم «ممثلون» ونجاح الممثل وبراعته أن يقوم بحصته التي أسند إليه تمثيلها بأمانة ومهارة ، فإذا أريد منه أو أراد أن يمثل الملك مثله بكل دقة حتى يخيل إلى الناظر أنه ملك لاشك فيه ، كذلك الأدباء إذا أريد من الواحد منهم أن يؤلف كتابا في فلسفة القرآن يؤلفه بكل لباقة وبلاغة ، كذلك يؤلف كتابا في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبتلك المهارة ونفس الإبداع يؤلف كتابا في سيرة ملك من ملوك الدنيا يريد أن يرضيه أو ينال منه خيراً ، وكذلك يكتب رواية وكتابا لايتفق ومبادىء الإسلام وروح الدين ، وقد أخبرني بعض من أثق به عن حديث دائر بينه وبين أديب كبير يكتب في موضوعات إسلامية ، قال فيه : «لو جاء محمد صلى الله عليه وسلم إلى مصر يريد أن يطبق فيه نظام الإسلام كاملا لكنت أول من يخرج لمحاربته» (كذا) والذي قاله السيد محب الدين هو تصوير صادق مع الأسف ومنطبق

على كثير من الأدباء الذين اتخذوا الكتابة فى الموضوعات الإسلامية حرفة وصناعة. ليس فى مصر بل فى كثير من بلاد الإسلام .

رأى الأستاذ محب الدين فى بعض الأدباء ومشاهير الكتاب

أطلعنى السيد محب الدين على الملازم المطبوعة لمقالتى « لسان العصر » فسررت لرؤية هذه المقالة القديمة التى كدت أنساها كما يسر إنسان بزيارة صديق قديم كاد يقطع الرجاء منه ، وأخبرنى أنه مستعد لنشرها فإن مابقى للطبع قليل جداً ، قال أحد رفاقنا : هل لكم رغبة فى التفرج على مولد سيدنا الحسين؟ قلت مداعبا: لابأس إذا كان معنا شيخ متبع للسنة كاره البدعة مثلكم! أردت أن آخذ فكرة لهذا العيد الذى تحتفل به مصر هذا الاحتفال العظيم وأدرس الحالة الدينية فى هذه البلاد :

زيارة الاحتفال بمولد سيدنا الحسين

خرجت مع الشيخ أحمد عثمان أولا إلى حفلة عقدتها « لذكرى الإمام الشهيد أبى عبد الله الحسين » شركتا أتوبيس الشرق والصعيد بقبة الغوزى ؛ وكنا سمعنا أن الشيخ الصاوى شعلان ينشد قصيدة فيها ، دخلنا فى الحفلة فوجدنا الحاضرين قليلين والزينة والزخارف كثيرة . تقدم أولا الشيخ عبد الصمد خليل الوراق وقرأ آيات من القرآن ، والأصوات متزاحمة ، والإذاعات كثيرة ، فهاهنا قارىء يقرأ ، وهنا فى خارج الحفلة قارىء يقرأ ويذاع صوته ، فلا يحصل الاستماع فضلا عن الخشوع ، ثم تقدم الأستاذ الشيخ حسن صفر مفتش الوعاظ فى الأزهر ، فخطب فى موضوع « فوائد الذكرى » وخرجنا منكسفى البال مشوشى الخاطر من الضجيج والأصوات وغلبة التقاليد والأوضاع على الاعتبار والذكرى، وأردنا أن نعود إلى سيعاد الشيخ الصاوى شعلان .

وتوجهنا إلى مسجد سيدنا الحسين والطرق كلها مكتظة بالسابلة وزائرى المسجد والمتفرجين حتى خفنا على أنفسنا من الزحام ، وأخذ بعضنا بيد بعض ، وعلى مشقة وجهد قربنا إلى المسجد فوجدنا حلقة ذكر قائمة على الشارع هى بفرقة رياضية أشبه منها بجماعة أهل الذكر ، وسمعنا أنهم من المنتسبين إلى بعض الطرق، قال الشيخ عثمان سنرجع إليهم ، وتقدمنا إلى « أم الغلام » المحسنة التى جاءت برأس الحسين رضى الله عنه ، كما يعتقد كثير في مصر ، ومررنا فى طريقنا إليها بكل نوع من أنواع الملاهى والبهلوانية ، و كل صنف من أصناف الدكاكين والباعة ، والزحام لاحد له ، والأصوات والغلبة لا نهاية لها ، وفيها من يجرى في وسط الزحام بنار مشتعلة لايبالى بالحريق ، ويدخل شبان فيدفع بعضهم بعضا حتى يكون قطار يشق طريقه فى هذا الزحام ، وهنا شممنا رائحة الخمر ، ورجعنا أدراجا ، ووصلنا إلى باب المسجد فرأينا حلقة ذكر قائمة ، ورأينا حركات مجهدة وهم فى ذلك يذكرون « الله » ويخرجون النفس من أنوفهم بقوة لا يقدر عليها ضعيف ، وينحنون إلى نصف القامة ثم يقفون كبعض الأعمال الجمبازية ، وشيخ الحلقة وهو شاب محلوق اللحية لابس طربوشا ينشد قصيدة لأحد أصحاب الطرق فى الزجل وفيها ما معناه . « لو وضعت سري على الجبال لصارت دكا ، ولو وضعت سرى على البحار لأصبحت قاعا صفصفا ، ولو وضعته على ميت لعاش بإذن مولى الموالى» أو مايقرب من معناه ، و بينا نحن فى ذلك وحركة الذكر قائمة على قدم وساق ووطيسه حام ، إذ تواجدت امرأة مسنة فعانقت الرجال وغلبت على أمرها وسمعت واحداً يقول « تحب النبى » وسمعنا أنهم أصحاب الطريقة الشناوية الأحمدية ، ورأينا فى ركن من أركان المسجد حلقة ثانية قالوا هذه الطريقة البيومية .

تألمنا من هذه المشاهدة

وخرجنا من هناك نشق طريقنا بكل صعوبة ومشقة بين الزحام، ومررنا بدكاكين نظم أصحابها وهم فى تجارتهم حفلات صغيرة، وجاءوا ببعض القراء أو المغنين، والوعاظ يظهرون فنهم وبراعتهم ويتلون الآيات أو ينشدون الأبيات أو يحكون الحكايات فى نغمة موسيقية ونبرات، والناس يطربون ويستزيدون ويستعيدون، ورجعنا مجهدين متعبين متألمين من هذا الوضع الذى لا يرضاه الدين ولا يقبله العقل، ولا توافق عليه المدنية والمروءة ويمجه الذوق؛ وتذكرنا قوله تعالى: « وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعبا » ومما يزيدنا أسفا وعجبا أن كل ذلك واقع على بضع خطوات من الأزهر .

مع الشيخ محمد الغزالى

غرة جمادى الأولى سنة ٧٠ هـ — ٦/٢/١٩٥١م يوم الأربعاء

وذهبنا إلى الشيخ محمد الغزالى، قابلنا الأستاذ بحفاوة ومحبة وجلسنا نتحدث وكان الحديث متنوعاً شاملاً لموضوعات علمية دينية، وقد ذكرنا بعض المؤلفين الذين طعنوا فى الوضع الإسلامى وثاروا فى كتبهم على روح الإسلام ومبادئه وأساسه، وقد عاشوا فى البيئة الدينية وتلقوا التعليم الدينى، قلت ماهو السبب والداعى لرد الفعل؟ أذلك يرجع إلى أحوال شخصية وحوادث تتصل بحياة هؤلاء المؤلفين وتجاربهم وعواطفهم كما هو الواقع فى مثل هذه الأحوال فى كثير من البلاد؟

الثورة على الدين مردها فى كثير من الأحوال إلى سوء معاملة رجال الدين وضعف أخلاقهم وفساد المجتمع

وافق على ذلك الشيخ الغزالى وقال أعرف رجلا من هؤلاء المؤلفين وهو صديق وزميلى في الأزهر كان من أعضاء جمعية دينية وفرداً فى أسرتها ، وكان يعيش عيشة ضنكا وإخوانه الدينيون يعيشون حياة رغد ورفاهية ، لم يساعده أحد بمال ولم ير من كبيرهم ولا صغيرهم مواساة وبراً وعطفاً إنسانياً فضلا عن عطف رفقة وزمالة ، فساء رأيه فى المجتمع الدينى ورجاله ، وأعتقد أنه إذا ساد الإسلام وطبق نظامه كان رئيس هذه الجماعة أو مثله وزير الخارجية أو وزير المالية ففضل أن يكون رجل لا دينى وزير الدولة مكان هذا الشيخ الدينى الذى لم ير منه أخلاقا عالية وإنسانية سامية ! وما قاله الشيخ الغزالى هو منطبق على كثير من الأدباء والأذكياء الذين ولدوا وعاشوا فى محيط دينى ثم ثاروا عليه ، فإن الرجل إذا كان قوى الشعور مرهف الحس ثم ابتلى بمثل هذه التجارب القاسية أحدثت فيه رد فعل عنيف وثورة فكرية هائلة ، وهذه قصة ماركس مؤسس الفلسفة الشيوعية وكثير من الثوار .

وتطرق الحديث إلى التعليم الجامعى ورجاله ، وبعض المؤلفين والكتاب الكبار فقال الشيخ الغزالى مع الأسف إن كثيراً منهم متوفرون على العلم والثقافة وعندهم معلومات واسعة ودراسة كبيرة حتى إن بعضهم ليستحق أن يسمى موسوعة ودائرة المعارف وألفوا كتباً فى تاريخ الإسلام وعصارته وأدوار حياتها لها قيمة علمية كبيرة ، ولكن أكثرهم لايعنون بالجانب العملى من الإسلام فلا نرى فيهم اهتماماً كبيراً بأركان الدين وأعماله أو محافظة على الصلاة ، وأخشي أن يذهب مذهب المرجئة ولايعلق على الأعمال أهمية كبيرة ، وأمثال هؤلاء

لا نأسيس على سياسة التعليم وإدارة المعاهد التي يراد فيها الجمع بين التعليم الديني والمدني وإيجاد رجال يكونون الحلقة المفقودة بين التعليم الديني والتعليم العصري.

التعليم في الأزهر

وانتقد الشيخ الغزالي التعليم في الأزهر وقال إنه يعنى بالتفصيل والنقاش أكثر مما يعنى بمبادىء الإسلام ومقاصده وأسسه وكلياته ، وقال إن الثقافة الدينية في الأزهر ضعيفة وضيقة ! قلت إذن فما هي الثقافة التي يمتاز بها رجال الأزهر ؟ قال : علوم اللغة والفلسفة التي دونت وتكونت في العصر العباسي .

الدعوة الدينية السكلية لابد أن تتحرر من الخلافات المذهبية

اتفقنا على أن الدعوة الدينية التي تهدف إلى الإصلاح الإسلامي لابد أن تحرز الخلافات المذهبية وإثارة المباحث الفقهية ، قال الشيخ الغزالي : ولعلكم لاحظتم أني أمر بمسألة فيها توسع في كتابي على حذر واتفقنا على أن نهضة الأمة لاتكون بالبحث في المسائل الخلافية ،قال مارأيكم لو صنف أحد كتاباً وسماه « إنهاض الأمة بمسألة القراءة خلف الأمة » واستطرفنا هذا الاسم .

الشيخ الغزالي يرى التوسط في مسألة الحجاب

وكان من رأى الأستاذ الغزالي أنه لابد من التوسط والاعتدال في مسئلة السفور والحجاب فيكون حجاباً شرعياً تتمكن معه السيدات من المساهمة في النهضة الدينية والخدمة،وذكر كيف قامت الأخوات المسلمات زمن اعتقال الإخوان المسلمين بمساعدة أسر المعتقلين ، قال وهن وحدهن كن الصلة والحلقة بين

المشتغلين وأمرهم ، ولولاهن لوقعت هذه الأسر فى متاعب عظيمة ، قال والزمناهن أن يلبسن اللباس الساتر الذى هو أشبه بلبس الراهبات

كيف تدوم الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية ؟

وتكلمنا كذلك فى مشكلة كبيرة هى مشكلة الجماعات الإسلامية كلها والعاملين للنهضة الدينية ، وهى أن الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية لاتدوم لقوة واحدة فيعترضها من المد والجزر والبرودة ، مايؤثر فى مصير الجماعة وحياتها ، فكيف يحافظ على هذه الحماسة والعاطفة والروح حتى لايلى المد الجزر والاشتعال البرودة ؟ هنا لك يوصى بعض أهل التجارب بالذكر و تغذية الجماعة بالغذاء الروحى وما يشعل فيها العاطفة الدينية و يجعلها متقدة ملتهبة لاتنطفىء ، وعلى كل فلا بد للجماعة من العناية بهذه الناحية التى هى مصدر حياة الجماعة ومنبع قوتها ، واستأذناه وودعنا على أن نلتقى فى وقت قريب .

زيارة شيخ فلسطينى معمر

وبعد صلاة العصر ذهبنا نزور الشيخ عارف بن عبد الرحمن الشريف جد صديقنا السيد ياسين الشريف الفلسطينى ، والشيخ كان عميد الإشراف ومدرس المسجد الأقصى ، وهو كبير السن فى الخامسة والتسعين من سنه يسكن كلاجىء فى مصر الجديدة مع أولاده وأحفاده ، قابلنا بحفاوة وإكرام ولم يزل يرحب بنا ويردد قوله « وجدنا رائحة الإسلام » وقد أثرت فى قلوبنا كلمته التى كان يكررها بعد كل بضع كلمات : المسجد حزين مسكين ، المسجد محزون ، و يمسح الدموع من عينيه وفى الحقيقة أن جرح فلسطين لايندمل ، ولم يزل يذكر فضائل المسجد الأقصى وحرم سيدنا إبراهيم وما فيهما من بركة وسكينة وأنوار ، حتى

اشتقنا إلى زيارتهما والصلاة فيهما ، وسألناه الدعاء ورجعنا فجاء يودعنا على علو سنه .

مررنا فى طريقنا إلى مقرنا بشارع عماد الدين (شارع محمد فريد) وشارع فؤاد فإذا هما فى أوج من الزينة والأضواء ودور السينما مزدحمة مكتظة بالزوار المتفرجين ، والناس صفوف على الأبواب ينتظرون دورهم ، وسيول من السيارات تخترق الشارع ذهاباً و إياباً ، وكأننا فى مدينة أوربية كبيرة لولا الخط العربى الجميل على ألواح الدكاكين .

حديث مع الدكتور محمد أحمد الغمراوى

الخميس ٢/٥/١٣٧٠هـ — ٨/٢/١٩٥١م

ذهبنا الساعة العاشرة نهاراً إلى الدكتور محمد أحمد الغمراوى فى العباسية ، وقد عرفته أولا وأنا طالب بكتابه « النقد التحليلى للأدب الجاهلى » ثم قرأت له مقالات ومقدمات تنبىء عن غيرته الدينية .

سبب انحراف بعض الأدباء عن الدين

وجدنا كما كنا نتوقع ، رجلا مؤمنا مثقفاً ، سألته عن بعض الأدباء والكتاب الذين انحرفوا عن الدين وصدرت منهم كتب ومقالات تطعن فى الإسلام والعقيدة الإسلامية ، قال هم ثمرة التربية السابقة ، قلت وفيهم من تعلم فى الأزهر قال نعم ولكنى أرى أنه كان متهما فى الأزهر ، وكان عاكفاً على دراسة الأدب والشعر العربى ولم يشتغل بدراسة القرآن والحديث :

الأدب فى هذه البلاد متجه اتجاهاً غير دينى

والأدب عندنا متجه اتجاهاً غير دينى من عهد بعيد ، توفر على دراسة فن شعر مثل أبى نواس وأضرابه لا يتوقع منه أن يكون رجلا دينياً ، ثم التحق بالجامعة

وسافر إلى أوروبا ، قلت فكيف تغلب حضرتكم على هذه البيئة القاهرة وأنتم كذلك نتاج ذلك العصر وثمرة تلك التربية التى نتحدث عنها ؟ قال أمرى لا يقاس على هؤلاء ، فقد كان بيتى بيت دين وعلم ، و إخوتى كانوا يتعلمون فى الأزهر وأنا أتردد معهم إليه ، ورأيت الأزهر ورجاله فى عهد أحسن من هذا العهد وتأثرت بحياة بيتى ، قلت ولعل السبب فى ثورتهم وشن الغارة على الدين وأهله انحطاط المسلمين وسوء حالهم وفساد الأوضاع ، فإن الرجل إذا كان مرهف الحس عصبياً فإنه لا يطيق هذه الحالة وينقلب إلي ثائر متهور ، قال ولماذا لم يثوروا ولم يتهوروا فى الجانب الآخر ، يعنى فى الدعوة إلى الدين الصحيح و إصلاح هذه الأوضاع ؟ قلت هذا من التوفيق .

كيف يوجه الأدب إلى الدين ؟

قلت وكيف يوجه الأدب التوجيه الدينى ؟ قال الأدب يتجه إلى الدين بوجود حركة دينية ، وحياة إسلامية ، فإن الأدباء والمؤلفين ينتجون ما يروج فى السوق وما يقبل عليه الناس ، فإذا كان فى الناس إقبال على الدين أنتجوا ماينال إعجابهم وتقديرهم ، قلت وماذا تشيرون على الأزهر وترون من صالحه ؟

اقتراح على إدارة الأزهر

قال كنت اقترحت على عهد الشيخ الظواهرى تأسيس مدرسة معلمين للأزهر تخرج مدرسين وأساتذة لكل فن يدرسون فى الأزهر وبذلك يستغنى الأزهر عن استعارة أساتذة تلقوا ثقافة وتربية لا تلائم الأزهر ولا تنسجم معه، وقد يحدث هؤلاء الأساتذة الذين هم بأنفسهم غير مقتنعين بالدين والحقائق الدينية شكا وتذبذباً وصراعاً بين العقيدة الإسلامية أو حقيقة دينية والعلم العصرى فيقولون : هذا هو

الذى أثبته العلم والتجربة فى هـذا العصر ، وما ندرى كيف نوفق بينه وبين ما يثبته الدين فيحدث هذا اضطرابا عند الطالب وسوء ظن بالدين ، أما إذا كان الأساتذة متخرجين من هذه المدرسة الأزهرية فإنهم يدرسون العلوم الكونية كتفسير للآيات القرآنية ويستطيعون أن يوفقوا بينها .

لاينقص الشرق الإسلامى إلا العلوم الطبيعية

ولكن يبدو لى أن اقتراحي هذا صادف مشاكل إدارية فلم ينفذ ، ولا أزال على رأيى ، قال ولاينقص الشرق الإسلامى إلا العلوم الطبيعية فنحن نحتاج إليها ونأخذها كعلوم طبيعية اكتشفها الغرب لا كعلوم غربية ولا نحتاج إلى علوم الغرب الاجتماعية والآداب الغربية ، والعلوم الطبيعية ليس عليها طابع غربى .

طريقة تعليم العلوم الطبيعية .

أما الآداب فعليها طابع الغرب ، وندرس هذه العلوم الطبيعية كتفسير للآيات القرآنيه ونميز فى هذه العلوم والنظريات بين مايثبت منها و بين ما لا يزال فى دور التجربة والبحث فنضع كلا منهما في مكانه .

التحذير من تقليد مصر

ومما قاله الدكتور النمراوى أنه كبير الأمل فى باكستان والهند وأندونسيا قلت : وفى الهند وباكستان اليوم نشاط دينى ربما لايوجد فى البلاد العربية ، قال : ولكن ينبغى لهم أن يحتاطوا ولايقلدوا مصر ، ويحتجوا بها على أن فيها الجامع الأزهر فإنها قد اتجهت هذا الاتجاه رغم الأزهر .

عن الأزهر

وتحدث عن الأزهر ومستقبله وقال توجد الآن معارضة قوية للأزهر ومؤامرة ضده ، وقد كان تقسيم الأزهر إلى كليات وتوزيعه إلى معاهد ومدارس فى المديريات بإيعاز الإنجليز ، فإنهم لما رأوا هذا الجمع الحاشد من الطلبة يتعلمون فى مكان واحد ويسكنون فى بلد واحد ، خافوا سوء العاقبة وحذروا منهم فأشاروا إلى تأسيس فروع للأزهر فى المديريات والمدن المصرية يتعلم فيها طلبة تلك الجهة بدل أن يؤموا القاهرة فيتكلفوا نفقات باهظة ، وكان فى ذلك تخفيف على الطلبة وآبائهم ولكن فيه إضعاف لقوة الأزهر .

أهديت إلى الأستاذ الغمراوى نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم » واستأذناه .

زيارة القلعة ومسجدها

خرجنا من منزل الدكتور الغمراوى إلى القلعة حيث كان مقر الحكم فى عهد محمد على باشا الكبير ، زرنا المسجد العظيم وأعجبنا بحسن بنائه وزينته واستحكامه ولاشك أن المسجد آية للفن ، ثم ذهبنا إلى (الأوضات) التي كانت سكرتارية للحكومة الخديوية و إدارات الدولة ، وهنا وقفنا فى الخارج نتفرج على القاهرة وعلى جوامعها العظيمة ومنائرها الشامخة ، وأهراء الجيزة تلوح لنا من بعيد ، وكان المنظر بديعاً جداً ، فقد كان الزمن شتاء ، والوقت ضحى ، والشمس لطيفة

فى مكتبة القلعة

وهنا زرت مجلدات « الوقائع المصرية » التى كنت أقرأ اسمهـا فى تاريخ الأدب العربى ، وتاريخ مصر السياسى والأدبى ؛ ورأيت مجلدات « اللواء » التى

كان يشرف عليها ويكتب فيها المرحوم مصطفى كامل ، ومجلدات « المؤيد » ودخلنا فى مكتبة أحمد زكى باشا المودعة فى مكتبة القلعة ، ورأيت بعض آثار هذا الباحث العالم الكبير ، ورأينا تلك المكتبة التى كانت فى زمن زينة دار العروبة دار أحمد زكى باشا العامرة .

المتحف الحربى

ثم زرنا المتحف الحربى بفروعه الفرعونى والعربى ومايرجع إلى عهد المماليك ثم العصر العلوى ، ورأينا خرائط مفيدة ومعلومات قيمة ، وكان معنا زكريا كمال ابن الشيخ أحمد عثمان وكان أعرفنا بهذا المتحف لأنه زاره مراراً مع زملائه طلبة الثانوية وأساتذته فكان يشرح أشياء كثيرة وكانت زيارة مفيدة ممتعة .

زيارة المساجد والمقابر

صلينا الظهر فى مسجد السلطان حسن ، ثم زرنا مسجد الرفاعي وهو مقبرة الملك فؤاد ووالده الخديوى إسماعيل وغيرهما ، ثم زرنا مسجد الإمام الشافعى وقبره ومررنا بمقابر كثيرة وقلنا لو أن كل واحد من العظماء أو العلماء أو الصالحين بنيت له مقبرة لأصبحت مدينة الأموات أكبر من مدينة الأحياء ، ولما وجد الأحياء شبراً لبيوتهم

موقف الإسلام ورسوله إزاء بناء المقابر ، وحكمته

وقد أحسن الإسلام إذ لم يشجع حركة بناء المقابر وجزى الله رسوله خيراً إذ حذر من ذلك وكرهه أشد الكره وتبرأ من اليهود والنصارى الذين إذا مات فيهم رجل صالح بنوا على قبره مسجداً .

الجمعة ٣ / ٥ / ٧٠ هـ — ١ / ٢ / ٥١ م

زيارة مدينة الفسطاط وجامع سيدنا عمرو بن العاص

ذهبنا اليوم صباحا مع بعض الإخوان نزور مدينة الفسطاط ، دخلنا أولا فى جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه وقد وسعه السلاطين وزيدت فيه زيادات فى عهود مختلفة ، فهو الآن أوسع بكثير من جامع عمرو الا أنه لايزال على طرازه الحجازي يذكر بمسجد الخيف فى منى ومساجد الحرمين ، وقد شعرنا بلذة روحية فى هذا الجامع الذى هو أول مسجد أسس على التقوى وعلى التوحيد وعبادة الله وحده فى أرض مصر ،وكان تأسيسه بالأيدى التى بايعت النبيصلى الله عليه وسلم وصافحته مراراً لاتعد ولا تحصى .

شعورنا فى جامع عمرو

فشعرنا فى هذا المسجد بأنس وانجذاب قلب لم نشعر به فى أى مسجد من مساجد مصر العظيمة فهو أبسطها على الإطلاق وأبعدها عن الزينة والزخارف وما يسمونه « الفن » ولكنه فى حالة إهمال مؤسفة ، تحيط به من الخارج مزابل وقاذورات وأكوام من الأتربة والخرائب .

حديث خرافة

سمعت أن الملك فاروق يصلى فيه الجمعة اليتيمة فى كل عام ، واهل المستقبلين يكسونه بفرش تحول بين النظر و بين ما فى هذا المسجد من إهمال . وقد رأيت سارية من سوارى المسجد تحيط بها شبكة من حديد وأخبرنا بأن هذه السارية اثقلها أتعبت الحمالين وشقت عليهم فعرفوا من ذلك أنها تأبى الدخول فى المسجد وإنها خبئت سريرتها ممتنعة من ذلك ، ولذلك توارث المؤمنون تأديبها بالنعال

وإهانتها وعقابها ، وقد حمتها الحكومة بشبكة من حديد تحول بينها و بين نعال المجاهدين المتضبين، وقد أحسنت إذ منعت هذه الخرافة ، ووجدنا على العكس من ذلك في ناحية أخرى من المسجد الناحية التي اعتادت السيدة نفيسة أن تجلس فيها وتفيد الناس بعلمها ، ورأينا سارية سعيدة كان الناس يلحسونها بألسنتهم حتى حدث فيها قعر بلحسهم ، وقد منعت الحكومة ذلك أيضاً بسياج من حديد .

في مصر القديمة

وخرجنا من الجامع نؤم مدينة الفسطاط القديمة التي كانت أول عاصمة إسلامية في مصر ، فإذا بنا نمر في طريقنا بمقابر النصارى وصلبانهم وكنائسهم ، وقد كان الأجمل والأجدر بمركز هذه الآثار الإسلامية الأولى وكرامة التاريخ الإسلامي أن يكون محيط هذه المدينة الإسلامية محيطاً إسلامياً يبعث في النفس الجلال والسكينة ، ودخلنا في حدود مدينة الفسطاط ومشينا في خرائبها وحفائرها طويلا وأنا أتمثل لمخيلتي مدينة الصحابة وثكناتهم ، وخيام المجاهدين ، وأقول لنفسي: لعل هنا كانت خيمة الزبير بن العوام ، وهنا كانت خيمة عبادة بن الصامت ، ولعل محمد بن مسلمه كان مقيما هنا ، ولعل هذا بيت الأمير عمرو بن العاص ، وهو بيت لا يرضى عامل أو فقير في القاهرة اليوم أن يسكن فيه ، ولكن صاحبه هو الذي هزم الرومان ، وفتح هذا الوادي ، ولعل ولده الحبر عبد الله بن عمرو كان يتعبد ويحدث في هذا المكان .

الحقائق لا تغلب بالخيلات

هذا وأنا أحاول أن أركز فكرى على هذا العهد السعيد وأنتقل لساعة من هذا الجو إلى ذلك الجو وأنسى أنني في مصر الجديدة ، وفي القرن الرابع عشر

الحقائق لا تغلب بالخيلات

ولكن الحقائق لا تغلب بالخيلات ، فلم أنجح في محاولاتي وإذا بي لا أزال في هذا العصر ، ولا أزال أسمع أصواته وأشاهد مناظره ، ووصلنا إلى الآثار التي استخرجت من هذه المدينة المطمورة ، وهنا بقينا قليلا نتكلم مع رجالها ونفيد منهم معلومات عن هذه المدينة وما خلفها من المدن في العهد الأموي والعباسي ، وبينما نحن في ذلك إذ جاءت سيارة ونزل منها بعض الأساتذة من تركيا ومعهم الأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش أول الآثار العربية ، وعرفه الأستاذ أحمد عثمان بنا ، فاستقبلنا ورحب بنا وقدم إلينا مساعدته في زيارة الآثار العربية ، فشكرناه على ذلك ووعدناه بالزيارة .

ومن مصر القديمة توجهنا إلى شركس حيث صلينا الجمعة في مسجد الشيخ سلمان ، وبعد الصلاة ألقيت كلمة دينية شرحت فيها طريق الدعوة الدينية في الهند وبعض تجاربها وثمراتها .

يوم السبت ٤/٥/٧٠ هـ — ١٠/٢/٥١ م

مضى أكثر النهار اليوم في تصحيح ملازم الرسالة « بين العالم وجزيرة العرب » في دار الكتاب العربي ، وملازم « المد والجزر في تاريخ الإسلام » في مطبعة أنصار السنة .

حديث مع الأستاذ محمد على الطاهر

وبعد المغرب ذهبنا مع السيد ياسين الشريف كما كان تقرر من قبل إلى زيارة الأستاذ السيد محمد على الطاهر صاحب الشورى ، وقد عرفناه في الهند باتصاله بالأمير شكيب أرسلان ونشره لمؤلفات الأمير ، وقد قرأت له في الحجاز شيئا من

كتابه الجديد «معتقل هاكستب» . وصلنا إليه فوجدنا عنده القائدعبدالله التل الفلسطيني ، وجلسنا نتحدث عن فلسطين وعن أسباب ضياعها ، والأستاذ محمد على الطاهر هو الخبير الاختصاصى فى مسألة فلسطين ، قال: أريد أن أؤلف كتاباً خاصاً بفلسطين ووصفها وتاريخها ، وما جرى فيها لأنى أخاف أن تضيع فلسطين فى التاريخ كما ضاعت فى الواقع ، ويبحث المؤرخون والمؤلفون بعد هذا العصر فلا يجدون المعلومات الكافية عنها ، فأريد أن يكون هذا الكتاب كوثيقة تاريخية تشتمل على مستندات ومعلومات ، فإن فلسطين لشبيهة كل الشبه بالأندلس ، وقد كادت تضيع فى التاريخ لولا أن المقرى ألف كتابه العظيم « نفح الطيب » .

كارثة فلسطين وتقصير الدول العربية فيها

ثم بدأ يذكر كارثة فلسطين وتقصير الدول العربية في حقها ، بل جنايتها عليها ، وكيف كانت تنزع السلاح من أهل فلسطين وتجعل الشعب أعزل لاسلاح عنده ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه وشرفه ، ثم يأتى اليهود فيكون أهل البلد لقمة سائغة لهم ، ولو أن هذه الدول والجامعة تركت أهل فلسطين وشأنهم لدافعوا عن بلادهم مدافعة الأبطال كما ظلوا يدافعون عن أنفسهم هذه المدة الطويلة ، ثم تحدثنا عن انحطاط أخلاق العظماء والزعماء وقلت: إن علماء الرجال كانوا يؤلفون كتباً فى الجرح والتعديل ، ولما كان هذا عصر السياسة والزعامة ، وقد طغت السياسة على كل شىء وحلت محل كل علم ، جئتم فألفتم كتاباً فى جرح رجال السياسة والزعامة الإسلامية ، وقدمت إليه كتاب « ماذا خسر العالم » وقدم إلى كتاب « ذكرى الأمير شكيب أرسلان » وهو مجموع ماقيل فى رثاء الأمير وما ألقى فى حفلات التأبين ، وما قال عنه أصدقاؤه وأصحاب الجرائد والمجلات وكتاب « أوراق مجموعة عن فظائع الإنجليز فى فلسطين وغدر اليهود وصبر العرب » وكتاب « معتقل هاكستب » . وجاء زواره فعرفهم بنا وتعرفنا بهم ، منهم الأستاذ

أحمد الشقيرى مساعد الأمين العام للجامعة العربية ، والقاضي محمد عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية فى اليمن ، وقد اتفقنا مع سعادة الوكيل على زيارته فى فندق « قصر الجزيرة » يوم الثلاثاء وزيارة أحمد الشقيرى يوم الثلاثاء أو يوم الأربعاء .

مشاهدة مؤسفة فى الحمام

الأحد ٥/٥/٧٠ هـ — ١١/٢/٥١ م

ذهبت اليوم إلى حمام هو على نظام الحمامات التركية ودخلت أستحم ، فرأيت فوجاً من الشبان والأحداث والكهول عراة لاشىء على أجسامهم البتة ، ولا فرق بينهم وبين البهائم مطلقاً ، فدهشت لهذا الوضع الغريب المنافي للشرع والمروءة والإنسانية ، وخرجت من غير استحمام متكدراً كسيفاً .

وقاحة الصحف

طلعت جرائد اليوم تحمل صوراً للملك فاروق بمناسبة عيد ميلاده وصور خطيبته التى تمت خطبتها اليوم ، وهى صور لاتليق بالسيدات المسلمات ، وقد كان من حق سيدة ستصير بعد قليل ملكة مصر أن لا يظهر لها مثل هذه الصور على صحيفة وهى المسرح العام ، ولكن الأذواق والأنظار قد تبدلت وأصبحت الصحف حرة مطلقة تنشر ما تشاء والمنكرون لهذه الأوضاع قليل لا تأثير لهم .

زيارة الأهرام

ذهبنا إلى الأهرام هذه المبانى العظيمة التى عدت من عجائب العالم وآيات الفن وآثار التاريخ الخالدة وكم قرأنا عنها وسمعنا عنها ، وصلنا إليها وعيوننا شاخصة نحوها وقلوبنا متطلعة إليها ، فوجدنا بناء عالياً مخروطياً من حجارة صماء تتحير

المقول فى طريق وصولها إلى هنا من جبل المقطم .

ذكرى السخرة الظالمة

ودرنا حول الهرم الأكبر ، وهو مقبرة الملك خوفو ، ولم يمنعنا ضخامة هذا البناء وروعته وجلالة هذا الأثر التاريخى العظيم من إنكار هذه السخرة الظالمة التى أنتجت هذا الأثر الخالد ، وهل هو إلا مدفن ملك ؟ وقد كان يكفيه ذراع فى ذراع ، ولكنه لقضاء شهوة الجاه والفخار ، وتخليد الآثار استخدم آلافا من النفوس وشغلها لمدة طويلة لهذا العبث ، وهنا يتذكر الإنسان قوله تعالى ويتمثل صدقه وجلاله : «أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون» وتأسفت على هذا المصرف لقوة والمواهب الإنسانية والأوقات الثمينة التى ليس لها بدل ، ثم ذهبت إلى المعابد التى لا تزال فيها بعض الصور والتماثيل والنقوش والكتابات ، والدليل يشرح لنا ما سمع من علماء الآثار وحفظه من أخبار هذه المعابد ورجالها ، ورأينا «أبا الهول» وبعد ما قضينا ساعات فى هذه الجولة التاريخية رجعنا إلى مقرنا .

زيارة أثرية للأزهر وما حوله

الاثنين ٧٠/٥/٦ هـ — ٥١/٢/١٢ م

كان اليوم يوماً مطيراً ولكنه رش خفيف لا يمنع من الخروج والتنقل ، خرجنا قبل الساعة العاشرة وذلك ميعاد الاجتماع بالأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش أول الآثار العربية وزيارة الأزهر وما حوله من الآثار العربية .

فى مكتبة الأزهر

اجتمعنا على باب الأزهر ومعنا بعض الأصدقاء وزرنا مكتبة الأزهر التى

أنشئت في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني في المدرسة الأقبغاوية وبقايا المدرسة الطيبرسية الملحقتين بالأزهر، وجمعت فيها الكتب المبعثرة وأهديت إليها مكتبات أهمها مكتبة المرحوم سليمان باشا أباظه. وكان الأستاذ حسن عبد الوهاب يلفت نظرنا إلى ماتحتوي عليه مكتبة الأزهر من الكتب القديمة التي يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن الرابع والقرن الخامس، وقد اطلعنا على كتابات قديمة ومخطوطات نادرة، ومصاحف وربعات ملوكية تتجمل بها كل مكتبة في العالم، ومن أهم مااطلعنا عليه كتاب رسوم دار الخلافة لأبي إسحق الصابي، نقل من نسخته، ولعل مكتبة الأزهر هي التي تفردت بهذا الكتاب، ونشر هذا الكتاب يلقي ضوءاً كبيراً على أحوال الدولة العباسية الاجتماعية والاقتصادية. وكان الأستاذ حسن عبد الوهاب يستلفتنا دائماً في خلال زيارة المكتبة إلى طراز البناء والمحاريب والأروقة ويذكر تاريخها وتاريخ بنائها، ثم ذهبنا إلى الأزهر ورأينا الأزهر القديم من بناء المعز لدين الله الفاطمي وزيادة الأمير عبد الرحمن كتخدا وزيادات أخرى، والأستاذ يشرح لنا تاريخ هذا الجامع الكبير وما أدخل عليه وما أضيف إليه في عصور مختلفة، وهو من أكبر علماء الآثار في هذه البلاد، فكانت زيارتنا زيارة أثرية ودرساً في التاريخ، وخرجنا من الأزهر ودخلنا في الأسواق في طريقنا إلى مدرسة المنصور قلاوون، ومررنا بمدرسة السلطان صالح نجم الدين الأيوبي قاهر الصليبيين في المنصورة التي أنشئت لتدريس المذاهب الأربعة، ورأينا منارتها الجميلة، وقد أخبرنا الأستاذ حسن أن دفن السلاطين في المساجد إنما بدأ في آخر الدولة الأيوبية فلم يعرف ذلك في عهد الفاطميين، ودرج على ذلك السلاطين بعد الدولة الأيوبية.

في مدرسة المنصور قلاوون

ومررنا بسوق خان الخليلي، حتى دخلنا في مدرسة المنصور قلاوون

وهى بناء ضخم أثرى جميل اشتهر بين الناس أنه تم فى أربعة عشر شهراء بل يوجد ذلك منقوشا على عتب الباب الرئيسى ، ولكن الأستاذ حسن يؤكد أنه لم يتم إلا فى سبع سنين وثمانية أشهر ، وحجته فى ذلك أن البدء فى هذه العمارة كان بالاتفق فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣هـ وتوفى السلطان منصور فى ٦ من ذى القعدة سنة ٦٨٩ وحمل إلى قلعة الجبل ، واستمر بها إلى آخر يوم الخميس غرة المحرم سنة ٦٩٠. وفى يوم ٢ محرم نقلت جثته من القلعة إلى تربته التى أنشأها بالمدرسة المنصورية داخل القاهرة ، فلو كان البناء جاهزاً لبادروا بدفنه فيه . وهذا البناء مجموع قبة ومدرسة و بيمارستان وهى مجموعة حافلة بمختلف فنون العمارة الدقيقة وأروع أثر من آثار العمارة الإسلامية فى القاهرة ، وتقع فى شارع المعز لدين الله بين القصرين الفاطميين القديمين .

فى بيت السحيمى

ومن مدرسة المنصور قلاوون خرجنا نزور البيت الأثرى الذى يمثل نظام منازل الأغنياء والرجال الذين كانوا يجمعون بين الثراء والدين والعلم فى العهد التركي ومعاشرة الطبقة الأرستقراطية وهو البيت المشهور بالسحيمى، وهذه الدار روضعها أكثر راحة وسهولة من البيوت العصرية .

اشتغلت بعد العصر بتصحيح ملازم «المدوالجزر فى تاريخ الإسلام» ومكثت فى مطبعه أنصار السنة إلى مابعد المغرب .

الثلاثاء ٧ / ٥ / ٧٠ هـ — ١٣ / ٢ / ٥١ م

حديث مع وكيل وزارة الخارجية اليمنية

ذهبنا اليوم لزيارة سعادة القاضى محمد عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية

اليمنيـــة فى فندق قصر الجزيرة . دخلنا فى غرفته فى الدور العالى فوجدنا المقام فى فخامته ومظاهره وتكاليفه أجدر بممثلى دولة وشعب غنى جداً، ولكن السياسة العصرية تفرض على الحكومات الشرقية أن تظهر بمظهر أوروبى ، رحب بنا سعادة الوكيل فى أخلاق العلماء ورجال الدين وجلسنا نتحدث ، وذكرت لسعادته صلات الهند العلمية والثقافية مع اليمن ، وذكرت العلامة السيد مرتضى البلكرامى الهنـدى صاحب تاج العروس الذى اشتهر لطول إقامتـه فى اليمن بالزبيدى والشيخ حسين بن محسن الأنصارى الذى هو أستاذ أكثر علماء الحديث فى هذا القرن ، وذكرت له أن لليمن فضلا على كذلك فى دراستى وعلمى ، لأنى تلميذ الشيخ خليل بن محمد بن حسين اليمانى ، وذكرت له رغبتى فى زيارة اليمن لأنه القطر العربى الوحيد الذى لا يزال على الحضارة القديمة والحياة الأولى ولا يزال على طابعه القديم ، أما الأقطار الأخرى فأصبحت على غرار واحد ولون واحد من الحضارة الأوربية فلا يستفيد الإنسان من زيارتها جديداً ويكفيه فى بعض الأحيان أن يزور قطراً من هذه الأقطار ويقيس عليه الباقى، فرحب بهذه الرغبة

اليمن على مفترق الطرق

ودعانا لزيارة اليمن ، قلت لسعادته إن الأقطار العربية قد أصبحت لا تملك من أمرها شيئا فهى مندفعة مع التيار الغربى وليس لها الخيار ، أما اليمن فلا يزال على اختياره ولا يزال يملك أمره ، وأرجو أن لا يستعجل ولا يتهور فى الاقتطاف من الحضارة الغربية ونظم تعليمها ومناهج حياتها، ولا يتساقط عليها تساقط الظمآن على الماء أو الفراش على النور ، فيختار منها ما يوافق حياته ودينـــــه وطبعه ورسالته ويدع فضولها وشرورها، وقد عاش اليمن فى العزلة عن العالم وهو يعتقد أنه تخلف عن الركب فخاف أن يستعجل السير ليلحق بالقافلة فيعثر أو يضل الطريق، ويقع ما لا يمكن تداركه ولا تقال عثرته .

دعامتا الحياة فى البلاد الإسلامية

قلت ودعامة الحياة الصحيحة عندى فى البلاد الإسلامية وجود الشعور الدينى الصحيح القوي فى الشعب، ولا يكون هذا إلا عن طريق الدعوة العامة والاتصال بالشعب وتربيته الدينية ، و إيجاد الوعى فى طبقاته ، والدعامة الثانية منهاج التعليم الصحيح والجمع بين العلم المأخوذ من الوحى والنبوة الذى لا يتطرق إليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو علم كل عصر وأساس كل حياة ومدنية فاضلة وبين العلوم الطبيعية والمعلومات العصرية والتجارب والاكتشافات التي سبق إليها الغرب وانتصر بها على الشرق، وأرجو أن يوفق اليمن للجمع بين هاتين القوتين ، وإذن نرجو أن يكون له شأن غير شأن الأقطار العربية الأخرى التى أصبحت لا إسلامية ولا أوربية ، قلت هذا وما معناه باختصار واختلاف يسير ، فوافق عليه سعادة الوكيل وأنصت إلى الحديث وأنست منه ذكاء واطلاعا وسرعة فهم وثقوب ذهن ، وأهدى إلى كتاباً فى الانجليزية عن اليمن وبعض مناظره ومبانيه وصور الأسرة ، المملكية وفى خلال الحديث جاء السيد على المؤيد ممثل اليمن وجماعة من اليمنيين معه ، وعرف سعادة الوزير بعضنا ببعض فقلت « أتاكم أهل اليمن » والوكيل على جناح سافر إلى صنعاء ويعود مع السلامة إن شاء الله فى الشهر القادم فعلى الطائر الميمون .

كلمة أمام الطلبة السوريين

جمع السيد ياسين الشريف بعد العشاء نخبة من الطلبة السوريين والفلسطينيين فى غرفة فى رواق الشوام وحضرنا وما شعرنا إلا ونحن فى طلبة كلية أو جامعة من الجامعات العصرية الحديثة فى الهند ، وألقى الأستاذ محمد الكنجى رئيس طلبة البعوث الإسلامية فى الأزهر كلمة ترحيب وتعريف ، وتكلمت فى موضوع

واجبات طلبة العلوم الدينية ومؤهلاتهم وصفاتهم ولفت أنظار طلبة الأزهر إلى العناية بالناحية الروحية وتغذية القلب وعلو الهمة فى الدين والعبادة والمحافظة على الفرائض والواجبات الدينية والاهتمام بالنوافل وقيام الليل فضلا عن التكبيرات وحضور الجماعة ، وقلت إذا تتبعنا تاريخ الشخصيات والرجال البارزين الذين خدموا هذا الدين أو أحدثوا تجديداً أو انقلابا فى المجتمع الإسلامى رأيناهم دائما يمتازون ويفوقون العامة فى حرارة قلوبهم وقوة عاطفتهم وكثرة العبادات ودوام الذكر ، وإذا لم يكن الانسان فائض القلب بالإيمان واليقين ملتهب الروح قوى الشخصية الدينية لم يؤثر فى غيره ، ولم يحدث فى المجتمع حرارة وروحا وحياة ونشاطاً دينيا ، ولكنا نرى مع الأسف أن المعلومات قد توسعت وتضخمت جداً فى هذا العصر حتى لو وزعت على بلد لوسعت أهله وجعلت من كل فرد من أفراده عالما ولكن القلب قد ضعف جداً وقوة الإرادة اضمحلت اضمحلالا كبيراً ، وهزل الإيمان ، فنحن الآن نعلم شيئا كثيراً جداً ، ولكن هذا العلم لا يحملنا على العمل ولا نجد إيماننا مثل إيمان الصحابة ومن بعدهم ولا صلاتنا مثل صلاتهم ، وذلك لأن معلوماتنا قد اتسعت وتضخمت على حساب الإيمان والعمل ، فيجب علينا أن نحاسب أنفسنا ونخلص لها فى النصيحة والتربية ونعدها إعداداً كاملا قبل أن نخوض المعركة الدامية بين مادية هذا العصر وبين الإسلام ، ولا يمكننا أن نثبت فى هذه المعركة وأن نبارز هذه المادية القوية المغرية الفتانة إلا بروح قوية ودين متين وقلب عامر بالإيمان واستقامة دينية .

وأرجو أن لا تضيع هذه الكلمة ويكون لها بعض الأثر فى نفوس السامعين .

الأربعاء ٨ / ٥ / ٧٠ هـ — ١٤ / ٢ / ٥١ م

في إدارة العالم العربي

ذهبنا اليوم الساعة العاشرة صباحا إلى إدارة مجلة «العالم العربي» في شارع ابراهيم باشا وسألنا عن الأستاذ أسعد حسني رئيس تحرير المجلة المسؤل وكان في بيته فحضر وتقابلنا وأخبرته أننا متصلون في المفند بالمجلة .

حديث عن أسباب فشل قضية فلسطين

ثم أبديت له بعض آرائي عن العالم العربي وقضية فلسطين وأسباب فشلها وأن السبب الأكبر في ذلك هو الإفلاس الروحي وفقدان الإيمان وانطفاء الحماسة الدينية في الشعوب والدول التي كانت تقاتل في ميدان فلسطين وقلت : إن الحضارة الغربية والمادية هي التي جنت على هذه الشعوب وقضت على قوتها الروحية ومعنوياتها ، فقال : ولكنا نرى في الأمم الأوربية روحا أقوى من الأمة العربية وبهذه الروح حاربت الحروب ودافعت عن نفسها ، قلت: إن الأمم الغربية استبدلت بالروح الوطنية والشعور السياسي فحل هذا محل الروح وكانت قوة كبيرة

أما الشعوب العربية فلاحافظت على روحها ولا اكتسبت شيئا يحل محلها ويسد فراغها ، فلا عندها روح دينية ولا وعي سياسي ، ولذلك هي تواجه الفشل الذريع والهزيمة المنكرة في كل معركة وصراع ، قال ومن رأيي أن سبب فشل الدول العربية هي العقلية المشائرية التي حاربت بها هذه الدول في ميدان فلسطين وقد أبديت هذا الرأي في أحد أعداد المجلة قلت : قد اطلعت على هذه الكلمة وأعجبني هذا التعبير .

الجمعة ٩ / ٥ / ٧٠هـ — ١٠ / ٢ / ١٩٥١م

مع الأستاذ على الغاياتى

توجهنا إلى ميدان الخديوى إسماعيل لنقابل الأستاذ على الغاياتى صاحب «منبر الشرق» وكنا مشتركين فيها فى الهند، وكنا نلمح الإيمان من خلال سطور مقالاته، فوددنا أن نجتمع به فان الذين يشعرون الشعور الدينى وينتصرون للدين الغريب أسرة صغيرة فى كل بلد فلابد أن يتصل بعضها ببعض، وقابلنا الأستاذ فى منزله فرأينا إشراق الإيمان فى وجهه وبياض الشيب فى شعره؛ وعرفته بنفسى وقدمت اليه محاضراتى ونسخة من كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» وظل الشيخ يسألنى أسئلة عن الهند وباكستان ومستقبلهما والحياة الدينية واتجاه الحكومة فيهما فأجبته بما أرى وأعلم

مثل بلاد العرب ومثل الهند وباكستان

وجرى ذكر الشعور الدينى فى البلدين فقلت: إن فى الهند وباكستان عاطفة دينية قوية وإجلالا للدين وإكباراً أقوى وأعظم مما نراه فى البلاد العربية فإن البلاد العربية — لامؤاخذة — قد أصيبت بما قد يصاب به الشبعان من الانصراف عن الطعام والزهد فيه ومثلها كمثل ولد نشأ فى بيت دين وعلم ورأى المصاحف والكتب الدينية حوله فأصبحت لا تثير فيه الاهتمام والأدب ولا تنال منه ما تستحق من التعظيم والإجلال، وهكذا أصبحت هذه البلاد العريقة فى الإسلام والعروبة تنظر إلى الدين والرسول والقرآن نظراً عادياً لا غرابة فيه ولا جلال؛ أما الهند وباكستان فنظرهما إلى الإسلام وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم كنظر رجل جديد الإسلام فهو متحمس فى دينه أكثر من المسلمين القدامى وعنده من

الإجلال للدين ما لا يوجد عند العرب أنفسهم ، ثم وصفت له النشاط الديني الحديث والدعوة الدينية بالبلدين .

منبر الشرق وصاحبه

وتكلمنا في شأن « منبر الشرق » فقال أسستها في جنيف وأقمت فيها نحو سبع وعشرين سنة ولم أزل والحمد لله محافظاً على ديني لم تؤثر في البيئة والحضارة الغربية مع أن جنيف من أرقى مدن أوربا مدنية وكذلك ظلت « منبر الشرق » محتفظة بطابعه الديني ومبدأها لذلك لم تنل من الرواج والذيوع ما نالته صحف أحدث منها عمراً ، وكان صديقنا الأمير شكيب أرسلان يقول مداعباً « منبر الشرق فائز الآخرة » قال وأنا من زمان من الذين يؤمنون بالجامعة الإسلامية وكلمت في ذلك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مرة وذكرت له قوة هذه الجامعة ومساواة المسلمين في الدين فقال : « معلوم . بدليل سلمان الفارسي » .

في دار الأرقم

ومن إدارة « منبر الشرق » توجهنا إلى دار الأرقم مركز شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد أخفقنا مراراً عديدة في مقابلة الأستاذ حسين يوسف ولكن وجدناه هذه المرة ، فإذا الشاب المسلم الذي يكتب هذه المقالات الحارة القوية المفعمة بالإيمان الصادق والإنكار الصارخ على الإلحاد والإباحة والمجون ، وجدت شابا ذكياً نشيطاً قد براه التعبد المتقد والحس المرهف . ذكرت له ما بين صحيفته وبين قرائها في الهند من الاتصال الروحي وما عندهم من الإعجاب الفائق والحب العميق ، وأثنيت على جهاده الموفق ضد الأدب الخليع والصحافة الماجنة والصور العارية .

الحاجة إلى جبهة قوية إزاء الأدب الخليع المكشوف

وقلت له: لابد من تكوين جبهة قوية ومعسكر ضد هذا الأدب المكشوف وهذه الخلاعة والاستهتار ، وإنه لا يخلو من فائدة فقد كان لبعض ما نشرته صحيفة شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الإنكار عَلَى الصحف والمجلات الخليعة وتهديدها تأثير ، فقد دعاني الأستاذ فكري أباظة في إدارة المصور مرة واعتذر عن المضي، ووعد أنه لا ينشر في المجلة ما ينافي الأخلاق وظل على وعده نحو ثلاث سنين ، ثم عادت المجلة إلى سيرتها الأولى ، فقلت فلا بد من إعادة الإنكار والتهديد فإن هؤلاء ماديون بحيث لا يؤثر فيهم إلا التهديد وخوف الضرر المادي ، قال ولعلكم تستغربون أن الصحيفة الوحيدة التي لم تنشر إعلان الخمر في صفحاتها هي صحيفة المقطم المسيحية ولها أن تفتخر بذلك وإن كانت صديقة للانجليز ولكنا نعترف لها بهذا الفضل وهي أقل الصحف المصرية خلاعة ونشراً للصور ، قال ومرة استلفت نائب البابا في رومة نظر الأمير محمد على توفيق إلى هذه الصور المنافية للأخلاق والآداب والمثيرة للعواطف فأثارت كلمته اهتمام ولي العهد ورفع تقريراً إلى السراي مع قصاصات من هذه الصحف والمجلات وشاركه في ذلك الأزهر ، وبقينا ننتظر النتيجة ولكن دفنت المسألة في مهدها ونامت الحكاية ولم نسمع شيئاً بعد ذلك .

الجمعة في جامع الأزهر

الجمعة ١٠/٥/٧٠ هـ — ١٦/٢/٥١ م

لم يتفق إلى الآن أن نصلي الجمعة في جامع كبير من جوامع القاهرة ونرى العادات البلدية في صلاة الجمعة فقد أصبح مع الأسف لكل بلد طابع ديني خاص وعادات وشعائر لاتوجد في بلد آخر بما دخل في الدين وطرأ عليه مما ليس منه من

العادات والأوضاع المحلية ، وآثرنا أن نصلي اليوم في الجامع الأزهر ، وصلنا قبل الصلاة بساعة وجلسنا بعد ركعتين خفيفتين وشرع القارىء في سورة الكهف التي جرت العادة في مصر بقراءتها جهراً . شرع القارىء في القراءة على المذياع وكلما قرأ آية هتفت الناس بأعلى صوتهم يمدحون حسن صوته ورخامته ويستزيدونه ويستعيدون ما قرأ ، ولا يشعر الإنسان لسبب هذه الجلبة واختلاط الأصوات وارتفاعها إلا أنه في المراح أو في مجلس « مشاعرة » في الهند ، يقولون : بالله لا تبخل علينا بما أنعم الله عليك ، ويقولون : يا جدع ! والقارىء يقرأ آية ثم يعيدها على ثلاثة أوجه أو أربعة أو أكثر ويظهر براعته الفنية والناس يطربون لها ويهتفون بها ، ونحن مندهشون بهذا الوضع الغريب لا نستطيع أن نتنفل ولا أن نستلذ بهذه القراءة وننصت لها ، وعجبت كيف أباح رجال الأزهر وعلماؤه هذا التمثيل غير اللائق بجلال القرآن وأدب المسجد في أكبر مسجد له مركزه الديني وكل ما يكون فيه يحتج به ويكون كالفتوى في الأرياف والقرى ، ولم تكن الصلاة سارة في الحقيقة في أعظم مسجد في بلد من أعظم بلاد الإسلام فإنا لله وإنا إليه راجعون .

أملي في حركة الاخوان

أصبحت أعتقد بعد زيارة بعض البلاد العربية والاطلاع على أحوالها أن حركة الإخوان إذا قويت وانتظمت على خطوط ثابتة هي المنقذ الوحيد بحول الله للعالم العربي من الانحلال والاندفاع القوي إلى الهاوية لذلك أصبحت أعلق عليها أهمية كبيرة وأحمل لها بين جوانحي حبا عميقا ، والحب يبعث على الإشفاق وذلك يدفع إلى الصراحة فلي آراء وتجارب اكتسبتها من دراسة تاريخ الحركات السياسية في الهند أدلي بها إليكم كأخ مخلص وفرد من أفراد هذه الأسرة الكريمة .

ثلاث نقط هامة

وهى أنه لا بد لدعوة الإخوان وحركة مثل حركتكم من الانتباه لثلاث نقط هامة والعناية بها :

أولا أن مرحلة الدعوة وغرس المبادىء والإيمان فى قلوب العامة تتقدم على مرحلة السياسة والتشكيلات والحكم والوضع الإدارى وبطول هذه المرحلة وامتدادها ومثابرة رجال الدعوة عليها وجهادهم فى سبيلها تنجح المراحل الأخرى وتؤتى الشجرة أكلها ناضجة شهية أما إذا استعجل رجال الدعوة وقطعوا هذه المرحلة بسرعة زائدة أو طفروا طفرة إلى السياسة والحكم من غير دعوة يبثونها فى الشعب أو تربية يحكمونها لم تثمر الشجرة أو كانت الثمرات فجة ناقصة ولنا عبرة فى تاريخ الدعوة الإسلامية الأولى فقد استغرقت مرحلة الدعوة ثلاث عشرة سنة فى مكة وسنين فى المدينة ، وكانت مدة الحكم والتشكيل فى عهد الرسالة أقصر من مدة الدعوة ولعل الله قد أراد بهذه الدعوة الإخوانية خيراً إذ ردها قسراً إلى مرحلة الدعوة الأولى بينما كادت تتملك زمام الأمر وتعتلى كرسى الحكم لتزداد الدعوة نضجاً وليزداد رجالها تربية وحنكة ومبادئها رسوخاً وقوة، فهذه فرصة غالية يجب على الإخوان أن ينتهزوها وينتفعوا بها كل الانتفاع ولا يضيعوا دقيقة واحدة فى بث الدعوة إلى الله وغرس الإيمان فى القلوب وتربية الرجال الدينية والاتصال بطبقات الشعب .

أهمية إنتاج الرجال الذين يديرون دفة الدعوة ويربون الرجال

والنقطة الثانية هى إنتاج الرجال الذين يقومون بالدعوة ويديرون دفتها ويربون الرجال ويملأون كل فراغ ، وكل حركة أو دعوة أو مؤسسة مهما كانت

قوية أو غنية فى الرجال إذا لم تستمر فى إنتاج الرجال فإنها معرضة للخطر وإنها لاتلبث أن ينقرض رجالها واحد إثر آخر ونفلس فى يوم من الأيام فى الرجال .

تغذية القلب والروح

والنقطة الثالثة هى تغذية القلب والروح بغذاء يحفظ على رجال الدعوة نشاطهم وحماستهم ويعوض مايصرفونه من قوة فإن الرجل كالمصباح إذا نفد زيته ينطفىء ، وكم رأينا من حركات سياسية ودعوات دينية تقدم رجالها للسجون وصنوف العذاب ثم لم يلبثوا أن فترت نفوسهم وبردت عواطفهم فتراجعوا إلى الوراء بل وراء الوراء وانحطوا عن سوى العامة والسوقة . فإذن لاعبرة بالحماسة فقط ولا الثقة بالتضحية فحسب بل الشأن فى الاستقامة والدوام وليس ذلك إلا بالتربية الروحية وتغذية القلب بالإيمان والذكر وشحن « البطاريته »

قلت والذى علمت من دراسة سيرة فضيلة المرشد رحمه الله وأحواله أنه كان رجلا موهوباً ذا شخصية عظيمة أعدها الله لتربية الجماعة وقيادة الدعوة ، وكان معنيا بهذه الجوانب كل العناية ولكنى أريد أن أسمع تفصيل ذلك من الثقات الذين صحبوه وعاشروه وأعرف فكرتهم

شخصية المرشد العام ومواهبه العظيمة

هنالك انبرى الأستاذ محمد فريد عبد الخالق وألقى الضوء على هذه النواحى وذكر عناية فضيلة الشيخ رحمه الله واهتمامه بالتربية الروحية وإعداد الرجال ونفوذه الشخصى فى حياة الإخوان واتصاله الوثيق بهم ، حتى إنه كان يعرف كل أخ باسمه وينصت إلى الواحد منهم ساعة كاملة يحدثه حديثاً شخصيا حتى إذا أسرع دولاب العمل ودارت حوله دوامات عنيفة سياسية وتنظيمية واضطر إلى

أن يشتغل بأعمال متنوعة فكان يشرف على الصحيفة اليومية ويبيت بعض الليالى ساهراً ويقابل الوزراء ويشترك فى المؤتمرات الصحافية .

اهتمامه بتربية الجماعة

ولكنه كان دائما يقول: ياليت أحداً تولى هذه الأعمال وفرغت للاخوان ، وشرح نظام الجماعة فى التربية والتنظيم كله بأسلوب جذاب. وأبدى موافقته لكل ماتقدمت به من كلام ، وشاركه زملاؤه .

مقابلة فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين

ذهبنا إلى دار جمعية الهداية الإسلامية وقد كان الأستاذ طه الساكت مراقبها العام طلب منى الحضور فى دار الجمعية الساعة السادسة مساء ، وقابلنا هنا الشيخ الخضر رئيس الجمعية ومدرس فى كلية أصول الدين سابقا ، وكنت أعرفه من مقالاته ورسائله العلمية وبحوثه اللغوية من زمان ، وأعرفه كعالم راسخ فى العلوم الدينية والأدبية .

معلومات عنه وعن جامع الزيتونة

وسألته عن مدة إقامته في مصر فقال: لى الآن ثلاثون عاماً فى مصر وأصلى من الجزائر ومولدى تونس، وقضيت نحو عشرة أعوام قبل مصر فى سورية وغيرها. وقد تخرج فى جامع الزيتونة بتونس وأقام فى ألمانيا . كذلك سألته عن الأزهر وجامع الزيتونة أيهما أقدم وأيهما أعظم؟ فقال: الأزهر أقدم وأعظم ويليه فى التقدم وكثرة الطلبة جامع الزيتونة؛ فإن المتعلمين فيه الآن يبلغون عشرة آلاف مع أن إحصاء

تونس لا يزيد على ثلاثة ملايين ونصف مليون ، ثم ذكر رده على القاديانية وسأل أسئلة عنها وعن بعض رجالها وأهدى إلينا كتبا من تأليفه منها: رسائل الإصلاح ، وهي مجموعة مقالاته فى الدين والاجتماع والأخلاق في ثلاثة أجزاء و « آداب الحرب فى الإسلام » و « خواطر الحياة » وهو ديوان شعره و « طائفة القاديانية » وقد ادكرت رؤيته والحديث معه كثيرا من علماء الهند فى الهدوء ورسوخ العلم .

يوم الاثنين ١٣/٥/٠٧هـ — ١٩/٢/٥١م

زيارة دار الآثار العربية

بعد صلاة الظهر ذهبنا إلى دار الآثار العربية حيث وجدنا الأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش الآثار العربية الأول في انتظارنا، وتكرم فطاف بنا على الآثار العربية يشرح لنا تاريخها ومن أين استخرجت وأهميتها والنواحى الفنية فيها فجمعنا بين زيارة الآثار وبين دراسة التاريخ المصرى العربى «ولا ينبئك مثل خبير» ورأينا آثارا من الأوانى والقطع الخشبية والأسلحة وغير ذلك استخرجت من حفائر الفسطاط وظننا أنها من مخلفات فاتحى مصر والصحابة فإذا هى كما ذكر لنا الأستاذ حسن لا تتجاوز العهد الفاطمى ، ورأينا آثارا جميلة للنجارة المصرية ، والقطع الجميلة من الفسيفساء والرخام المطعم والملون وأوانى الخزف ، والأبواب الخشبية والنحاسية الجميلة وأدوات الزينة والتوابيت والمحاريب المتنقلة والنسائج والسجاجيد ولاحظنا أن مصر قد تقدمت وفاقت كثيرا فى فن النجارة فرأينا أمثلة بديعة جداً من النقش فى الخشب وتزيينه . ومن أبدع مارأينا المشكاوات التى ربما لا يوجد لها نظير فى العالم ، ولا شك أن دار الآثار العربية فى مصر من أغنى دور الآثا بالطرف فى العالم .

زيارة الأستاذ أحمد حسن الزيات

ومن دار الآثار العربيه قصدنا دار الرسالة حيث اجتمعنا بالأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة وصاحب تاريخ الأدب العربى، وقد كنت أستاذ تاريخ الآداب العربية فى دار العلوم بلكهنو لمدة سنوات، وكان هذا الكتاب مقرراً للسنة السادسة فدرست فيه واشتغلت به زمانا وأعجبت بأسلوب المؤلف الأدبى وامتداده على اللغة العربية فأصبح الكتاب بذلك يجمع بين التاريخ والأدب ولعل الناحية الأدبية تفوق الناحية التاريخية، وذكرت له هذه الصلة العلمية بينى وبينه. ومن الطبيعى أن يسر الإنسان إذا رأى غرسه يثمر وظله الأولى يمتد حتى يتجاوز إلى البلاد الأخرى. وتحدث معنا الأستاذ فى نشاط وانبساط وسألنا عن الوضع التعليمى فى بلاد الهند وعن مدارسها وطلبتها وعن مستقبل اللغة العربية فى هذه البلاد، وكان يتعجب حينا بعد حين كيف يستطيع هندى درس اللغة العربية فى بلاده أن يتكلم بها بطلاقة او يبدى إعجابه وسروره، وقدم إلى كل منا ـ ونحن أربعة ـ نسخة من تاريخ الأدب العربى الطبعة الحادية عشرة وثلاثة أجزاء.

يوم الثلاثاء ١٤/٥/٧٠هـ — ٢٠/٢/٥١م

فى ضيافة الأستاذ محمد فريد عبد الخالق

ذهبت بعد الظهر إلى بيت الأستاذ محمد فريد عبد الخالق مع الأخ يس والشيخ عبيد الله. وجدنا هناك الشيخ محمد الغزالي وعبد الحفيظ الصيفى والأستاذ الدكتور توفيق المنشاوى معلم كلية الحقوق وجلسنا نتحدث، وانتقل الحديث إلى التصوف ونشوئه فقلت: لقد كانت الخلافة الإسلامية تمثل ناحيتين: ناحية الإدارة والسياسة، وناحية الأخلاق والروح، وكانت متكفلة بحفظ هذين الجانبين فى حياة المسلمين وازدهارها، وكانت مسئولة عنهما فى وقت واحد، فلما آلت الخلافة إلى غير

الأكفياء وانفصل الدين عن السياسة أصبحت الخلافة أو الإمارة بلفظ أصح — لاتمثل ولاتغنى ولاتخلص إلا الناحية الإدارية ، وأصبحت ناحية الروح والأخلاق ضائعة لايدعو إليها أحد ولايعنى بها فرد أوجماعة، وطغت المدينة وماتجلب من ترف وثراء وتحلل ، فكاد المسلمون يصيمون في هذا السيل الجارف! فقام رجال وعارضوا هذا التيار ونشروا الدعوة إلى الروح والأخلاق وصاروا يربون أفراداً فى أحضانهم وجوهم الهادىء ثم يبعثونهم إلى الخارج ليعرضوا هذا الاندفاع ويدعوا إلى الله ؛ وقد أثرت دعوتهم وجهودهم وأطفت حدة المادية ولولاهم لأصبحت المادية جارفة لامعارض لها ولا مقيد ، قال الأستاذ الشاوى : ولكن أساس التصوف غير إسلامى فهو يقوم على نظام الطبقات الذى يلغيه الإسلام ويعارضه، فرجال التصوف طبقة ممتازة ووحدة قائمة بنفسها ثم هم بينهم طبقات متميزة بعضها عن بعض فهذا شيخ وذاك خليفته ، وهؤلاء مريدون وهذا مخدوم وأولئك خدام وعبيد ، وقد رأيت فى بعض الزوايا والحلقات استعباداً وسخرة ، ثم رأيت فى التصوف فلسفة إغريقية وهندية وهذه ليس لها بالإسلام صلة ، قال الشيخ الغزالى وقلت : هذا كله قد طرأ على التصوف فى العهد الأخير ولم يكن من هذا شىء أيام الحسن البصرى ومن فى طبقته ، وانتقد الشيخ الغزالى أوضاعا أخرى حدثت فى التصوف وتوارثها المتصوفون كالوراثة وخلافة الأبناء والأحفاد للآباء والأجداد .

التصوف علاج مؤقت محدود

واتفقنا بعد ذلك على أن التصوف علاج مؤقت ومحدود إذا رجعت الحياة الإسلامية إلى وضعها الصحيح وقامت خلافة إسلامية صحيحة وقامت بوظائفها الإدارية والخليفية والروحية، فلا حاجة إلى رد فعل ولا إلى إصلاح جزئى . وفى

أثناء البحث جاء الأستاذ البهى الخولى أحد عقول الإخوان المسلمين وقادتهم فاشترك فى هذا البحث العلمى .

طلب إلى الأستاذ عبد الحفيظ الصيفي أن أقابل اللواء صالح حرب باشالأنه كله فى شأن محاضرة ألقيها في جمعية الشبان المسلمين فأحب أن أقابله حتى يحدد الوقت والموضوع، فذهبنا إليه وجلسنا عنده قليلا واستطلع رأيي فى مصر فقلت: لاأزال فى دراستها ومشاهدتها وفيها مايسر ومايحزن ، قال إن موقعها الجغرافى قد أساء إليها أكثر مما أحسن إليها قلت: مما جنى عليها هذا الأدب التاجر ، قال هو أولى بأن يسمى الأدب الفاجر ، وكان عنده محمود توفيق حفناوى وزير التجارة سابقا وعضو إدارة التموين العالمى .

الشيخ أحمد الشرباصى ومحاضرته

وقمنا من عند سعادة اللواء وشاركنا فى محاضرة الشيخ أحمد الشر باصى وهو عالم شاب ملء العين والسمع،وكان الموضوع «تحديدالنسل فى الإسلام» وكانت محاضرة قيمة تجمع بين حسن الإلقاء والخطابة وغزارة المادة . وكلها تمتاز بفصاحة اللغة ونصاعة البيان، وكان من رأى الشيخ الشر باصى أن الإسلام يسمح بتحديد النسل إذا كانت له دواع موجبة ومبررات؟ وشرحها ، ولكن لاداعى اليوم إلى تحديد النسل فى مصر ، إنما نحن فى حاجة إلى تحديد نسل الكلاب المدللة التى تركب السيارات وتقيم عليها السيدات المآتم إذا ماتت ، وتقيم لها المقابر كذلك وإن أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية لاتستلزم تحديد النسل .

ورجعنا بعد المحاضرة إلى سعادة صالح حرب فتقرر أن تكون المحاضرة يوم الثلاثاء الساعة السابعة مساء واخترت موضوع « العالم على مفترق الطرق »

الأربعاء ١٥/٥/٧٠ هـ — ٢١/٢/٥١ م

فى دار الكتب المصرية

ذهبنا إلى دار الكتب المصرية التى تعد كبرى المكتبات وأثراها فى العالم الإسلامى ولا تفوقها فى كثرة النوادر ونفائس الكتب والمؤلفات المخطوطة بقلم مؤلفيها إلا مكتبات الآستانة ، وقد رأينا كتباً كثيرة مكتوبة بخط المؤلفين الكبار كالبيهقى والذهبى وابن حجر وابن الشجرى والشعرانى، وأخبرنا أن المكتبة تحتوى على نصف مليون كتاب وخرجنا منها ونحن نعتقد أن هذه الزيارة القصيرة لن تكفى ، وإذا أردنا الإفادة من هذه المكتبة الكبيرة فلابد لنا أن نتردد إليها مدة طويلة .

اجتماع بالشيخ حسنين محمد مخلوف

صادفنا فى دكان أخ من إخوان الجمعية الشرعية فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقاً . قابلنا الشيخ بدماثة خلق وتواضع ودعانا إلى حلوان وعزم علينا أن نزوره ونقضى معه بعض الوقت ، وأهدينا إليه بعض المحاضرات والرسائل .

الخميس ١٦/٥/٧٠ هـ — ٢٢/٢/٥١ م

حديث مع الدكتور أحمد أمين

قابلنا الدكتور أحمد أمين وتحدثنا فى الأدب والأدباء . سألت عن رأيه فى الكتب الأربعة التى عدها ابن خلدون من أصول الأدب: الأمالى لأبى على القالى والكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة .

رأيه في أصول الأدب الأربعة

فقال أما أدب الكاتب فكتاب جاف ، وأما الكامل فليس صاحبه موفقاً فى الاختيار ولا يجوز فى ذلك إلى ذوق بل كما قال صاحب العقد الفريد إنه يعمد إلى أحط القطع الأدبية مقداراً فيختاره ، وأفضل الأربعة البيان والتبيين . قلت ولكن ينقصه الترتيب فهو مجموعة قطع أدبية مبعثرة مفككة لا نظام فيها، وقد كان بعض الأدباء فى الهند يقول إن البيان والتبيين حماسة النثر . قال الدكتور وقد ذكر المرزوقى فى شرح الحماسة اسمه البيان والتباين وهو أقرب إلى القياس لأن البيان والتبيين لا فرق بينهما .

الدكتور يفضل أبا حيان على الجاحظ

ثم قال أنا أفضل أبا حيان التوحيدى على الجاحظ ، لأن عصره كان عميقاً قلت : ولكن ميزة الجاحظ كما قلتم فى ضحى الإسلام أنه يصور مجتمعه وعصره تصويراً صادقاً . قال وكذلك أبو حيان يمثل مجتمعه وبيئته . ثم جرى ذكر مؤلفاته قال الدكتور ومن مؤلفاته « الحج العقلى » قلت وهذا غريب لأن الحج يمتاز فى أركان الإسلام الأربعة بأنه يمثل العاطفة والحب قال . نعم ولم أر هذا الكتاب وأريد أن أقرأه وأعرف فكرته وغايته .

شروح الحماسة

وتكلمنا عن شروح الحماسة ، ففضل الأستاذ شرح المرزوقى على شرح التبريزى ، لأن التبريزى لا يساعد الطالب فى فهم الأبيات بل يأتى بنكت وتحقيقات لغوية .

الأدب الأندلسي

وجرى ذكر الأندلسيين فقلت : لاحظت أن الأدب والعلم فى الأندلس ليسا فى عمق الأدب والعلم فى المشرق وأن طابعهما سطحى فى المغرب والناحية الأدبية العلمية. فوافق الأستاذ على ذلك

مع الأستاذ سيد قطب

جمعة ١٧/٥/٧٠ هـ — ٢٣/٢/٥١ م

وركبنا سيارة الحاج حلمى المنياوى وتوجهنا إلى حلوان لزيارة الأستاذ سيد قطب .

نقطة التحول فى حياة سيد قطب

قلت له: كنت أعرفكم كأديب كبير من مدرسة الأستاذ العقاد وأقرأ لكم فى « الرسالة » بحوثكم العلمية ومقالاتكم فى النقد الأدبى ، فكيف كان اتجاهكم إلى إنتاج هذا الأدب الإسلامى القوى؟ وما هى نقطة التحول فى حياتكم الأدبية ؟

قال : لا شك أنى تلميذ من تلاميذ الأستاذ العقاد فى الأدب والأسلوب الأدبى ، وله على فضل فى العناية بالتفكير أكثر من اللفظ ، وهو الذى صرفنى عن تقليد المنفلوطى والرافعى ، ولكن الذى وجهنى هذا التوجيه الذى هو أكثر من الأدب والنقد والمعانى الشعرية ، هو أن نفسى لم تزل متطلعة إلى الروح وما يتصل بها وكنت فى صغرى مشغوفاً بقراءة أخبار الصالحين وكراماتهم ولم تزل هذه العاطفة تنمو فى نفسى مع الأيام ، والأستاذ العقاد رجل فكرى محض لا ينظر إلى مسألة ولا يبحث فيها إلا عن طريق الفكر والعقل ، فذهبت أروى نفسي من مناهل أخرى هى أقرب إلى الروح ، ومن ثم عنيت بدراسة أشعار الشرقيين كطاغور

وغيره ، وثانيا أنى كنت أعتقد أن مثل الأستاذ العقاد فى عقله الكبير وشخصيته العظيمة لا يخضع للضرورات والملابسات كالحكومة والسلطة ولكنه سالمها ، ولعل السبب في ذلك أنه تقدمت به السن والإنسان يعجز فى شيبه عن تحمل شىء لا يعجز عنه فى شبابه، وقد مرت عليه أعوام تحمل فيها الشدة وضيق ذات اليد فلعل هذا وذاك كان من أسباب مسالمته للسلطة . قلت كان الأستاذ العقاد يخشي عليه أن يجنح إلى الشيوعية كما فعل غيره فكيف جنح إلى المعسكر المعارض لها ؟ قال : هذا يرجع إلى سببين أولهما اعتقاده أن فى الشيوعية ضغطا عقليا وكبت الأفكار ، وأنها لا تسمح لحرية التأليف و إبداع الرأى وتنكر القيم الروحية ، والثاني سوء تمثيل بعض دعاتها وأنصارها فى مصر فذلك الذى حال بينه و بين الشيوعية . قلت: وكيف يهتم بالقيم الروحية وهو كما تفضلت فكرى محض؟ قال هو يعني بهذه القيم الروحية عن طريق الفكر والعقل أيضا ولا يبيح لأحد أن يحظرها

مؤلفات سيد قطب

وتناول الحديث كتبه ومؤلفاته مثل « العدالة الاجتماعية » و « التصوير الفنى فى القرآن » و « مشاهد القيامة فى القرآن » فذكر تاريخ تأليفها والأسباب التى دعت إليه وكيف تدرج فى الفكر الإسلامى وارتقت دراسته الإسلامية، وتغدينا معه وصلينا العصر ورجعنا قبل المغرب إلى القاهرة .

بين الخيال والواقع

ومن الطريف أنى كنت قد رسمت فى مخيلتى صورة سيد قطب الخيالية شأنى مع كثير من المؤلفين الذين أعنى بهم ولست أدرى هل يفعل هذا غيرى أولا ؟ كنت أتخيله أديبا فى العقد الرابع من عمره فارع القامة عريض ما بين

المنكبين قوى البنية.. فإذاهو إلى القصر أقرب، يظهر أنه في العقد الثالث تخرج فى دار العلوم ولا يظهر بادىء ذى بدء أنه صاحب هذا الأسلوب القوى فى الموضوعات الدينية ، وظهر لى فى كلامه أنه واضح التفكير نقى الذهن .

السبت ١٨/٥/٧٠ هـ — ٢٤/٢/٥١ م

كتاب « معركة الإسلام والرأسمالية »

اشتغلت إلى الظهر بالكتابة ومطالعة كتاب « معركة الإسلام والرأسمالية » للأستاذ سيد قطب ، وأعجبنى قوة الكاتب وصراحته في هذا الكتاب و إيمانه ، ومن فتوح الإسلام الجديدة أنه يسخر لرسالته مثل هذا الكاتب الكبير والأديب المثقف .

مع الأستاذ حسين يوسف

واشتغلت بعد الظهر أيضا بالكتابة والقراءة . وقد وعدنا الأستاذ حسين يوسف والأستاذ عبد الوهاب بالتشريف فى العصر ، وقد تأخر قدومهما إلى ما بعد المغرب. وجلسامعنا إلى الساعة التاسعة ليلا ، وتذاكرنا فى موضوع التحلل الخلقى فى مصر ومقاومته ، وحكيا لنا كيف دعا بعض رجال التعليم ووزير المعارف إلى أن يحمل الشبان والفتيات شعلة من كل مديرية و إقليم فى مصر ويحضروا إلى القاهرة ! وماذا كان يجر هذا السفر ليلا فى منتصف الليل من التهتك والفساد ؟ ! ولكن شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم احتجوا على هذا العمل ورفعوا الاحتجاجات وبرقيات الإنكار إلى الملك ورئيس الوزراء يومئذ وهو النقراشي ، فأصدر الملك أمره بتأجيل هذا العمل إلى الاستقلال الكلى وكفى الله المؤمنين القتال . وتحدثنا إليهما بما نراه من وجوب التحرز من الوقوع فى الشخصيات والبحث في الذاتيات فذكرا عذر الجماعة والصحيفة فى ذلك وموجباته ودواعيه وفائدته ، وأدلى كل منا

بحجته واتفقنا على أنه لا بد من الاحتياط والاقتصار على ما لا بد منه والاعتدال في النقاش والمناظرة العلمية .

الأحد ١٩/٥/٧٠ هـ — ٢٥/٣/٥١ م

زيارة كلية الآداب

ذهبنا بعد الساعة التاسعة إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول في الجيزة وقابلنا الدكتور أحمد أمين ، وكان عنده درس فى الكلية اليوم فلما انتهى منه أخذنا إلى الأستاذ الدكتور زكى محمد حسن عميد الكلية وقدمنا إليه وأبدى له رغبتنا فى زيارة الكلية وأقسامها فرحب بنا وقدم إلينا نسخا من الكتاب الفضى لكلية الآداب ، و « دليل الكلية » وذكر الدكتور أحمد أمين أن هؤلاء الضيوف ينتقدون طراز بناء الكلية الفرعونى ، وأصحبنا الدكتور زكى عميد الكلية الأستاذ زكريا ليدور بنا على الكلية وأقسام الجامعة ، وزرنا معه مكتبة الجامعة ، وطاف بنا مدير المكتبة على مختلف أقسامها ومتاحفها ، ثم زرنا قاعة الجامعة الكبرى وهى من أفخم وأعظم القاعات التى رأيناها إلى هذا الوقت ، وحدثنا الموظفون الذين كانوا معنا أنها فى الدرجة الثانية فى قاعات جامعات العالم وهى تسع ثلاثة آلاف مقعد ، وأشار الحرس الذين كانوا معنا إلى يمين المنصة وهو مجلس فخم أسدل عليه ستار يفتح ويغلق كهربائياً وقال هذا مجلس (مولانا) يريد الملك فاروقا ، ودخلنا هذا المجلس فرأينا مثالا لقصور الملوك وما تحويه من رياش وزينة وأبهة وصالونات فخمة فرأينا شيئاً قد انقضى دوره فى أكثر البلاد والأقطار ، ثم مررنا بمجالس الوزراء وخرجنا من القاعة وألقينا نظرة عامة على مبانى الجامعة وأقسامها من كلية الحقوق وكلية التجارة ، وقد لفت نظرنا كثرة الحرس وذلك شىء لم نره فى جامعات الهند .

التعليم المختلط فى الكليات والجامعات

أما التعليم المختلط فقد أصبح شعار « الجامعات المدنية » ورمز « الثقافة والحرية » بحيث لا يستطيع (المثقفون) أن يسمعوا كلمة نقد فى هذا الموضوع أو يروا العدول عنه، لحوادث كثرت وشاعت لاختلاط الجنسين فى أخطر أدوار الحياة وثورة الشباب مع فقدان الوازع الدينى والرادع الخلقى ووجود الأدب الذى يثير العواطف الحسية ويزين لقرائه الاسترسال فى الشهوات وإرضاء النزوات، ويستخف بل يهزأ بالمثل الخلقية والتعاليم الدينية، فكيف يرجى بعد ذلك بطبيعة الحال أن يتوقف الأمر على الدراسة والمطالعة ولا يتخطاه إلى معرفة ثم محبة ثم وثم ... وأخاف أن تكون هذه المجموعة من ثم آثاماً كثيرة فمن رجا ذلك من المثقفين — الذين يدرسون علم النفس ويحكمون على الأشياء بطبائعها ويربطون المسببات بالأسباب — كان حاله كما وصف الشاعر :

ألقاه فى البحر مكتوفاً وقال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

كلمتى فى مجلس الإخوان

ذهبنا بعد المغرب إلى منزل الدكتور خليل عشماوى حيث اجتمعنا بمجموعة طيبة من الإخوان المخلصين، وقابلنا الشيخ محمد الغزالى والشيخ البهى الخولى، وقد كنت ذهبت لأسمع فإذا بى قد طلب منى أن أتكلم فقلت ماحضرنى الساعة. قلت لهم إن هذه المحنة التى ابتليت بها دعوة الإخوان أعتقد أنها منحة لا محنة، « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ».

مهمة إعداد النفوس وتجريدها من الشهوات

وإن الله قد أخذ بنواصى العاملين الدعاة فردهم إلى الدعوة والتربية وحاطهم بسياج الحل، فينبغى لهم أن ينتهزوا هذه الفرصة لغرس الإيمان ومبادىء الدعوة فى نفوسهم أولا وتدريبها على الأحكام الشرعية ، ويجردوا أنفسهم من الشهوات والمطامع وحب العلو ويخلصوا كل الإخلاص للدعوة ويتجردوا لها بحيث لا يساور نفوسهم حب العلو وأحلام الحكومة العذاب ، قلت لهم إن الله سبحانه وتعالى قد ذم إرادة العلو ووعد المؤمنين بالعلو فقال: « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » وقال « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » فنفهم من مجموع الآيتين أن إرادة العلو مذمومة لا يحبها الله ولكنها منحة وجائزة يجود الله بها على المؤمنين الصادقين والمجاهدين المخلصين ثم لا بد من تنفيذ أوامر الله وأحكام الشرع، وبمقدار ما يخضع لها وتنقاد وتنشط لها وترتاح يخضع الناس لهذه الأحكام ويطيعونها ، وحكيت لهم قصة الرجل الذى جاء راكبا على متن وحش من السباع ففزع الناس واستغربوا فقال لهم لقد خضع لى هذا الوحش لأنى خضعت لربى ، قلت: وإن لم تكن هذه القصة حجة من الناحية التاريخية فان المغزى فيها صحيح .

مسئولية الأجيال القادمة

وقلت لابد أن تشعروا بمسئولية الدعوة وخطرها وجلالة شأنها ، فليس عليكم مسئولية الجيل الحاضر بل الأجيال القادمة كذلك ، كالبذرة تحمل قوى الشجرة كلها ومباديها فإذا كانت البذرة ناقصة جاءت الشجرة ناقصة وعلى بذرة الإيمان

والتقوى والعزيمة فى القرن الأول نشأت هذه الأمة ودرجت عليه أجيالها وكل ما نرى فى هذه الأمة من الإيمان وقوة الدين يرجع فى مبدئه إلى الصحابة رضى الله عنهم ويتفرع منهم ثم يرجع كل ذلك إلى منبعه وهو إيمان الرسول صلى الله عليه وسلم

كلمة الأستاذ البهى والشيخ الغزالى

وتلانى الأستاذ بهى الخولى وعلق على كلمتي وشرحها وزاد فيها معانى وأمثلة وحكايات مؤثرة ووجه الأنظار والهمم إلى العناية بالتربية الروحية وتجريد النفس من الأوضار والأوساخ ، وقال إن كل ما يقع من الرجل من التفريط فى جنب الله أو القصور في أداء حق من حقوقه يظهر فى معاملة أهله وخدمه والمتصلين به منه ! وذكر أن بعض الصالحين كان يقول إنى لأرى التغيير فى أخلاق خدمى ودوابى وكان بعض أبناء الصالحين يقول إذا صدر منا شىء يغضب أبانا كان أرفق بنا وكان يرفع كمه إلى السماء ويقول يارب لعلى عصيتك وأغضبتك حتى تنكر لى أبنائى وأغضبونى ، إلى غير ذلك من الأمثلة والأحوال ، وكنت أشعر بنفحة صوفية فى كلام الأستاذ البهى ، وذلك لدراسته للتصوف الإسلامى الصحيح وتقديره له ، وأعقبه الشيخ محمد الغزالى ساق على كلمتى مع تعديل لكلام الأستاذ البهى الذى نزع فى عقيدة الشيخ محمد الغزالى النزعة الصوفية فأراد أن يتوسط بين مايقتضيه هذا العصر من التبسط فى المعيشة والتمتع بالمباحات وبين الناحية الخلقية وتربية النفس وتعجب من توارد الخواطر بيني وبينه .

وتعرفنا فى هذا المجلس بالشيخ سيد سابق وهو رجل صالح فقيه النفس

والعلم وقد سماه الشيخ الغزالى بفقيه الجماعة ورأيت الناس يثنون عليه

الاثنين ٢٠/٥/٧٠ هـ — ١/٢/٣٩ ١٠ م

مع الأستاذ على الغاياتى

ذهبنا اليوم قبل الظهر إلى الأستاذ على الغاياتى صاحب « منبر الشرق » فقد حصلت فترة طويلة بعد لقائنا فرحب بنا وأكرم وفادتنا وصادفنا عنده الأستاذ فتحى رضوان من كبار المحامين فى مصر ولما اطلع على كتاب « ماذا خسر العالم » الذي كان عند الأستاذ على الغاياتى ـ سألنى عن رأيي فى تعليم البنات الجامعى ومزاولتهن للحرف والوظائف فقلت : إنى لا أنظر إلى هذه المسألة كمسألة مستقلة وأعتقد أنه لا يصح الحكم فيها فى مجتمع منحل وبيئة غير إسلامية لا تطبق فيها الأحكام الإسلامية والحدود الشرعية ، أما إذا كان المجتمع إسلامياً والحياة الدينية سائدة والحدود نافذة والضمائر حية والوعى الخلقى موجوداً ، فلا بأس إذن من التعليم العالى ومعالجة النساء بعض شئون الحياة بشرط أن يتفق ذلك مع طبيعة الجنس اللطيف وضعفه ووظائفه الجنسية .

وارتضى الأستاذ هذا الرأى ، وطلب الأستاذ الغاياتى صورتى فاعتذرت له كما اعتذرت للأستاذ أسعد حسنى ، ووعدته بترجمة حياتى على تواضعها وخلوها من جلائل الأعمال والمآثر ، فرضى بذلك وأبدى حرصه على نشرها .

حديث عن الإخوان ومرشدهم العام

ذهبنا بعد المغرب إلى منزل الأستاذ البهى الخولى فى القلعة وجلسنا عنده

كثر من ثلاث ساعات تحدث فيها عن الإخوان المسلمين وتنظيمهم ونشاطهم قبل الحل وما أثرت دعوتهم فى هذا الشعب الرخو الرقيق وأخلاقه ، وما ظهر من شبابها من قوة وثبات وإيمان وجلادة وصرامة حتى إبراهيم عبد الهادى باشا يقول لو كان عندى ثمانون شاباً من هؤلاء الشبان الذين تحملوا صنوف العذاب فى السجن ثم لم يتزعزعوا ولم يستكينوا لتحديت بهم العالم ، قال الأستاذ البهى : ولولا هذه الدعوة لكانت مصر فريسة هذا التحلل والتفسخ ولانهارت ، ولكن الله تبارك وتعالى تداركها بهذه الدعوة الإسلامية التى أمسكتها ووقفت فى طريق اندفاعها ، ، ثم ذكر التفاف الإخوان حول قائدهم الأستاذ حسن البنا وانبثاث عروق الجماعة فى مصر كلها ، واجتماع القلوب على محبته وطاعته حتى قالت صحيفة مصرية : لو عطس حسن البنا فى القاهرة لقال الإخوان فى أسوان : يرحمك الله ، والأستاذ البهى كان زميلا للأستاذ البنا ، دخل معه فى دار العلوم وظل له زميلا إلى العهد الأخير وذكر تاريخ تقدمها وتطوراتها إلى أن وصلت إلى ماوصلت إليه ، وذكر أمثلة كثيرة من حكمته وفقهه وإخلاصه وتفانيه فى الدعوة ، وقد لاحظنا أن الأستاذ البهى رغم كونه قريبا له يحمل له تقديراً عظيما وحباً عميقا ، وهو متأثر بشخصيته القوية ومواهبه الفذة . ولما عرف أن الأخ الشيخ عبد الله قد اجتمع بالفقيد مراراً فى الحجاز سر كثيرا وردد مرارا : هل رأيت المرشد يا أخى ؟ هل سمعته يخطب ؟ وهذا يدل على أن الأستاذ رحمه الله قد ملك على أصحابه وزملائه الإعجاب وحل من قلوبهم ونفوسهم محل الزعيم المحبوب والقائد المفدى .

محاضرتى فى دار الشبان المسلمين

ذهبنا بعد صلاة المغرب إلى دار الشبان المسلمين والليلة موعد إلقاء المحاضرة وصادفت على الباب الشيخ محمد الغزالى ثم الشيخ أحمد الشرباصى الأستاذ بمعهد القاهرة ورحب بى في حفاوة وحرارة ، وقال قد شرعت فى مطالعة كتابكم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » وأبدى إعجابه وتأثره بالكتاب والمحاضرات ، وقدم إلى مجموعة من مؤلفاته ورسائله ، وجلسنا نتحدث وجاء عدد ، طيب من أساتذة الأزهر وكلية الآداب ، ومن الإخوان المسلمين ورجال الهيئات الإسلامية وحضر فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز مدير معاهد الأزهر والأستاذ عبد المتعال الصعيدى أستاذ اللغة العربية والأستاذ عبد المنعم خلاف صاحب كتاب (أومن بالإنسان) .

وشيوخ وأساتذة آخرون وحان وقت المحاضرة فدخلت مع الشيخ عبد اللطيف دراز والشيخ أحمد الشرباصي .

كلمة الأستاذ أحمد الشرباصي

وتقدم الشيخ أحمد الشرباصى فألقى كلمة تعريف لمحاضر الليلة ونوه بالهند ومآثرها العلمية وقال : أن فرحتنا بولادة دولة باكستان أنستنا أن فى الهند شعباً كبيراً من المسلمين وله مآثر جليلة وآثار علمية كثيرة ولا تزال الهند منفردة ببعض الآثار الإسلامية ومن الكتب القيمة مالم يطبع إلا فى الهند مثل كشاف اصطلاحات الفنون وقد طبع فى الهند كتاب الخصائص الكبرى للسيوطى قبل أن يطبع فى بلد عربى وأشاد بكتاب ماذا خسر العالم .

محاضرتى العالم على مفترق الطرق

وتقدمت وألقيت كلمتى فى موضوع « العالم على مفترق الطرق »

التاريخ البشرى فى امتداده وانعطافه كالنيل

وخلاصتها : أن التاريخ البشرى فى إمتداده وانعطافه يمكن أن يشبه بالنيل يجرى طويلا على خط واحد ثم ينعطف و يتحول ، كذلك التاريخ ينقسم بين قسمين (١) دور الاستمرار (٢) ودور التحول فالإستمرار أن يتجه التاريخ اتجاهاً واحداً ويجرى فى مجرى واحد وقد يستمر هذا الإتجاه مئات من السنين أو آلاف من السنين ولا تؤثر فيه التغيرات فى الحكومة إذا كانت فلسفة الحياة واحدة وأساس الحضارة واحداً ونظرية الحياة واحدة .

من عهد الإغريق إلى عهد البازنطيين

وقد كان ذلك من عهد الإغريق إلى عهد البازنطيين فقد كان الاعتماد في تصميم الحياة على الحواس والقياس والأهواء ، وقد تم إفلاس هذه الحياة وانكشف فشلها فى القرن السادس المسيحى وكانت البعثة المحمدية نقطة التحول للعالم ، فاتجه العالم من الاعتماد على الحواس والقياس والأهواء إلى الاعتماد على الوحى السماوى والتشريع الإلهي .

من البعثة المحمدية إلى القيادة الأوربية

واستمر هذا الاتجاه قرونا و بقي هذا النهر البشرى يجرى فى مجرى واحد إلا أنه يختلف فى الاتساع والضيق والقوة والضعف ، واعترض هذا النهر صخرتان كادتا تحولان اتجاه هذا التيار ، الأولى الحروب الصليبية فى القرن الخامس الهجرى

ولكن العالم الإسلامى تحت قيادة السلطان صلاح الدين الأيوبى استطاع أن يدحر هذه الصخرة ويتغلب على هذه الصخرة ويتغلب على هذا الخطر ، والثانية غزو التيار وقد تحطم فيه العالم الإسلامي ولكن لم تحطم فيه قوته المعنوية وروحه، وقد انتصرت الدعوة الإسلامية على التيار وأسلموا جميعاً ولكن بعد ذلك حدث ماحول هذا الاتجاه تحويلا كليا وغير مجرى التاريخ وهو الهجوم الغربى على العالم الإسلامى واستيلائه عليه بفلسفته وحكمته وتجاربه واكتشافاته وبقى العالم العربى يبرز ماعنده ويطبق مايدين به نحو قرنين ، وهذان القرنان يساويان آلافا من السنين لأن أوربا وصلت إلى غايتها فى مدة أقل من مدة الأمم السابقة لسرعة آلاتها وقوتها وقد نثرت فى هذه المدة كنانتها وأفرغت جعبتها .

إفلاس القيادة الأوربية

وظهر إفلاسها وفشلها فى قيادة الإنسانية وزعامة العالم البشرى، وأن المعسكرين الرأسمالى والشيوعى متحدان فى أساس الحياة ونظريتها وفلسفتها وليست قوة الشيوعية إلا لمحاربة الرأسمالية وسوء تصرفها ، فإذا انهارت الرأسمالية انهارت الشيوعية وبدأت الإنسانية تيأس من الشيوعية ، ولا يبقى إذن إلا الدعوة الإسلامية والنظام الإسلامى .

العالم على مفترق الطرق

وقد نضجت أوربا بمعسكريها : — كالثمرة الناضجة وحان قطافها والعالم واقف على مفترق الطرق وهذا دور القيادة الإسلامية . فاذا تقدم المسلمون وتسلموا قيادة العالم الحائر فذاك وإلا اتجه العالم اتجاهاً آخر ، واستمر هذا الاتجاه قرونا أو آلافا من السنين وبقى الإسلام منعزلا .

رأى فى المحاضرة

وكان الموضوع علمياً تاريخيا وكان الأولى بى أن أكتب المحاضرة وأقرأها ولكنى أردت أن أرتجلها وظننت أن هذا ينافى تقاليد المحضرات فى هذه البلاد فاذاهم ينتظرون أنى كنت قد كتبتها واعترف هنا أن الكلمة لم ترضنى وشعرت أنى لم أستطع أن أعبر عما فى ضميرى ولم أوف حق هذا الموضوع الجليل ، ولكن رد فعل السامعين كان غير ذلك فقابل المستمعون الكلمة بنشاط ورغبة

تعليقات الخطباء

وعلق عليها الأستاذ أحمد الشرباصى ثم الأستاذ عبد المتعال الصعيدى ثم الشيخ محمد الغزالى ثم الأستاذ عبد المنعم حلاف ، وانفضت الجلسة فأحاط بى الضيوف ورجال الجمعيات يشكرون ويهنئون ويصافحون وأنا أشعر أنهم يهنئون غيرى ويصافحون غيري لأنى لا أستحق اليوم هذا الإكرام

الأربعاء ٢٢/٥/٧٠ هـ — ٢٨/٢/٥١ م

حديث مع الأمير عبد الكريم الخطابى

فى آخر النهار ذهبنا إلى الأمير عبد الكريم الخطابى بطل الريف في حدائق القبة ، وكنت متطلعاً إلى زيارته لأنى كنت أقرأ وأسمع أخبار جهاده مع أسبانيا وفرنسا وأنا فى الثانية أو الثالثة عشرة من عمرى ثم سمعت من صديقى وزميلى فى التدريس الأستاذ محمد العربى المراكشى شيئاً كثيراً من أساليبه الحربية وشجاعته وثباته وكتب الأمير شكيب أرسلان مرة إلى صديقى الكريم الأستاذ مسعود الندوى كتابا خاصاً ينوه فيه ببطولة الأمير وعصابته ويقول إنه أعظم شخصية الآن فى العالم الإسلامى ، كل ذلك جعلنى حريصا على

الاجتماع به وسماع أخباره منه من غير واسطة ، وصلنا إلى منزله يحرسه الحرس المصري وأخبر الأمير بقدومنا فدعانا فدخلنا ورحب بنا وعرفناه بأسمائنا ووطنيتنا وجلسنا نتحدث ورأيته مطلعا على أخبار العالم الإسلامي وملماً بجغرافية الهند وقد اتصل بكثير من الهنود المسلمين في منفاه رينيون Re.Union في بحر الهند وقد مكث فيه عشرين سنة

معلومات عن جهاده

قلت لسموه على كم مساحة استوليتم في جهادكم فقال مساحة ما استولينا عليه أولا خمسون في خمسين كيلو ثم اتسعت الرقعة جداً ، قلت وهل أخذتم تطوان قال لقد تهيأنا للهجوم عليها ولكن وقع التسليم قبل ذلك ، قلت وكم جنديا كان يقاتل تحت رايتكم ؟ قال بدأنا الجهاد بأربعة آلاف جندي ثم أصبحوا في الأخير أربعين ألف جندي ، قلت وكم كان جيش الأسبان ؟ قال كان في الأول مائة ألف ثم انتهى في الأخير إلى أربعمائة ألف وكانت الجبهة التي نقاتل فيها نحو ستمائة كيلو فكنا نحتاج إلى الدفاع والهجوم في هذه المساحة الواسعة جداً ولم تكن الفتن الداخلية والحروب الأهلية التي أثارها العدو علينا أقل من الجهاد مع العدو ، قال وبدأت الحرب سنة ١٩٢٠ واستمرت مع الإسبان أربعة سنين وتدخلت فرنسا سنة ١٩٢٤ ووقع التسليم ١٩٢٦ لنفاد الذخائر وانقطاع الميرة واشتداد البرد وطول الحصار ، قال وقد غنمنا في بعض المواقف ذخائر حربية كبيرة فقد غنمنا في موقف أربعمائة مدفع ، وكنا قد نفذنا أحكام الشرع والحدود فقطعت اليد الأولى ثم انقطعت السرقات واستتب الامن ، وهل كان المجاهدون يهدفون شيئاً آخر غير الجهاد الأسلامي وإعلاء كلمة الله وهل كانوا يعرفون الوطنية والقومية ؟ قال كان الغالب منهم لا يعرف إلا الجهاد الديني ولولا

هذا لما نجحنا هذا النجاح ولما كان هذا النفوذ والتأثير فى النفوس ، قلت وهل يصح ما سمعنا أن سموكم كان ضابطا فى الجيش الإسبانى فحـدث ما أثار حميتكم الدينية وغيرتكم العربية فكان نتيجة هذه الأنفة والثورة النفسية هذا الجهاد العظيم ؟ قال لم أكن ضابطا فى جيش إسبانيا ولم يحصل شىء من هذا ، وكيف تعلمتم الفنون الحربية واستطعتم تدريب الجيش ومقاومة جيش عصرى قوى ؟ قال : أما الفن الحربى فقد تعلمناه بالتجربة والمطالعة فنحن دائما فى جهاد وحرب مع الإسبانيين ، وأما الإستراتيجي فهو موهبة لا كسب ولا دراسة؟ قلت : وهل هناك أمل فى استقلال الريف والمغرب الأقصى ؟ قال : لابد من الاستقلال ولكن عقلية فرنسا عقلية ضيقة وعقلية الإنجليز أوسع منها وأكثر مرونة وطلب منى الأمير أن أكرر الزيارة فيزودنى بمعلومات كافية .

وشكرت سموه ورجعنا إلى المدينة وذهبنا إلى مركز جمعيات الشبان المسلمين وكنا على موعد بيننا و بين فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى وبقينا أكثر من نصف ساعة ولم نتشرف به .

الخميس ٣٢ / ٥ / ٧٠ هـ — ١ / ٣ / ٥١ م

ذهبت اليوم إلى مطبعة السنة المحمدية لأرى ورق الغلاف وأتأكد من حسن طباعة « المد والجزر فى تاريخ الإسلام » ولما رجعت قبل الظهر بقليل علمت أن الشيخ أحمد الشرباصى كان جاء إلينا واعتذر أنه كان فى جمعية الشبان المسلمين ينتظرنا ولم يخبره أحد بقدومنا وكانت معه جماعة من أهل العلم يتكلمون فى كتابى ماذا خسر العالم ، وينتظروننى ، وتأسفت جدا على عدم الاجتماع به ونحن فى مكان واحد ، ووجدت بطاقة زيارة سعادة اللواء محمد صالح حرب كذلك فتأسفت على عدم وجودى فى المحل وقد جاء ليشرفنا وهو مريض يصعب

عليه الطلوع والنزول وسنتشرف به رداً لزيارته .

محاضرتى فى دار الأرقم

كان الليلة موعد إلقاء المحاضرة فى دار الأرقم مركز شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فذهبنا إليها وصلينا العشاء وقدمنى الأستاذ حين يوسف وافتتحت الكلام وذكرت الأدوار الخمسة التى مرت بالدعوة الإسلامية فى الهند .

أدوار الدعوة الإسلامية الخمسة فى الهند

الدور الأول هو دور المجدد الدينى الكبير الشيخ أحمد السرهندى (م١٠٢٤م) فإنه رأى أن الهند التى تحكمها أسرة إسلامية اندفعت اندفاعاً قوياً إلى الحضارة الهندوسية بل الوثنية الهندية والتحلل من ربقة الإسلام وذلك بميول ملكها الأمى السلطان جلال الدين أكبر الذى نزع إلى تقليد الكفار وإرضائهم ومزج الديانات بعضها ببعض وكان قد ظهر له بتجديده واجتهاده خط العقائد والطقوس والعبادات وخرج منها بمزيج غريب وطارد الشريعة الإسلامية بكل قوته ، فكادت الهند تصبغ صبغة وثنية بتأثير ملكها الكبير ومن حوله من البلغاء والعلماء ، ورأى الشيخ أحمد أنه يستطيع أن يحدث انقلابا عسكريا أو يؤسس حكومة إسلامية لأن الحكومة المغولية كانت شابة قوية لم يصبها شيء من الوهن والهرم ، فاختار طريقا آخر وهو التأثير فى بلاط الملك ورجال الحكومة فاتصل بهم اتصالا روحيا وعلميا وبقى فى سرهند يراسلهم ويملى عليهم آراءه ورغباته حتى خضع له هذا المحيط روحيا وأثرت شخصيته القوية وإخلاصه الباهر وزهده فى ما عندهم وتألمه من غربة الإسلام فى دياره فاهتزوا لرسائله المؤثرة وانقادوا لإشاراته فتغير اتجاه الدولة وانقلب التيار وكان كل يوم فى تاريخ هذه الدولة خيراً

للاسلام من اليوم الذى سبق حتى جاء على عرش الدولة التيمورية — بتأثير ابناء الشيخ أحمد واحفاده وتربيتهم — الملك الصالح الفقيه العادل السلطان اوريك زيب عالمكير الذى أبطل المكوس الجائرة عن المسلمين ووضع الجزية ونكس شعائر الكفر ورفع منار الإسلام وأمر بتدوين الفتاوى الهندية التى كانت دستوراً للحكومة ، وما ذلك إلا غرس غرسه الشيخ أحمد وأولاده .

والدور الثانى هو دور حكيم الإسلام الشيخ ولى الله بن عبدالرحيم الدهلوى (م ١١٧٦ هـ) الذى عنى فى عصره بنشر العلم الصحيح ومحاربة البدع والخرافات وتمهيد العقول والمجتمع للانقلاب الإسلامى الصالح وعرض نظام الإسلام السياسى والاجتماعى والخلقى فى كتبه فكان نتيجة ذلك أن وجدت جماعة تفهم الإسلام فهماً صحيحاً وتلتهب غيرة على الإسلام واستنكاراً للمجتمع الفاسد وتحاول تطبيق الأحكام الإسلامية على المجتمع والحياة .

والدور الثالث هو دور تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوى بن الشيخ ولى الله وفى مقدمتهم وعلى رأسهم السيد الإمام أحمد بن عرفان السيد والشيخ المجاهد اسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى ، نظموا جماعة كبيرة وأحسنوا تربيتها الدينية والحربية وهاجروا إلى حدود الهند الشمالية ليقدموا منها — هازمين سكى الذين احتلوا بنجاب وأذاقوا المسلمين سوء العذاب — إلى الهند لإجلاء الإنجليز، وتأسيس الدولة الإسلامية على منهاج الكتاب والسنة وقد هزموا سكى فى معارك كثيرة وأسسوا دولة إسلامية شرعية فى الحدود تشتمل على بشاور وما جاورها ونفذوا الحدود الشرعية وطبقوا النظام الإسلامى المالى والإدارى تطبيقا دقيقا ولكن ثار عليهم الأفغان لمصادمة هذا النظام لمآربهم الشخصية وعقائدهم وعاداتهم الجاهلية فقلبوا هذا النظام ثم اصطدم المجاهدون بجيش سكى فى وادى بالاكوك

فاستشهد الإمام السيد أحمد وصاحبه الشيخ اسماعيل وكبار أصحابهما عام١٢٤٦ﻫ ولجأ الكل إلى الجبال ، ولم يزل هؤلاء وأصحابهم فى الهند قائمين على الحق باذلين في ذلك النفس والنفيس . فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا .

والدور الرابع دور تلاميذ هذه الجماعة وأصحابها . رأوا أن الإنجليز قد استولوا على الهند ورسخت أقدامهم واستقرت دولتهم وأصابت المسلمين وحشة الفتح وهيبة الاحتلال واستولى على نفوسهم اليأس بفشل الثورة التى قاموا بها سنة ١٨٥٧ م فلم يجدوا سبيلا للاحتفاظ بالحياة الإسلامية وتربية المسلمين التربية الدينية والخلقيـة وإعادة الثقة إلى قلوبهم بمستقبلهم ومكافحة تيار الغرب المدنى والثقافى الذى كاد يجرف بالشعائر الدينيـة . والبقية الباقية من حضارة المسلمين وثقافتهم لم يجدوا سبيلا لـكل هذا إلا إنشاء المدارس الدينية التى تـكون معاقل الإسلام وحصون الشريعة والعلوم الدينية فأسسوا مدرسة ديو بند ومظاهر العلوم ودار العلوم التابعة لندوة العلماء .

والدور الخامس هو دور تلاميذهم وأصحابهم ، وعلى رأسهم الشـيخ محمد إلياس بن الشيخ إسماعيـل الـكاندهلوى (م١٣٦٣ ﻫ) فقد رأى ما أصاب المسلمين من التحلل والإفلاس فى الإيمـان والروح والشعور الدينى فى هذه المدة وما أثرت فيهم الحـكومة الأنجليزية والحضارة الغربية « التعليم المدني » وغفلة الدعاة والاشتغال بالحياة والانهماك بالمـادة وأصبحت المدارس والأوساط الدينية كجزر فى بحر محيط وأصبحت تتأثر بمحيطها الثائر على الدين ولا تؤثر لضعفهـا وعزلتها عن الحياة فرأى أن التعليم وحده لايكفى والاعتزال والانزواء لا يصح ولا بد من الاتصال بطبقات الشعب ولا بد من التقدم إليها من غير انتظار لأنها لاتشعر لمرضها وفقرها فى الدين ويبدأ بغرس الإيمـان فى القلوب ومبادىء الإسلام

ثم الأركان والعلم والذكر مع مراعاة الآداب التى تنوى هذه الدعوة وتحفظها من الفتن ومنها إكرام كل مسلم ومنها عدم الاشتغال بما ليس سبيل الداعى وترك كل ما لا يعني ودعا إلي هذا النظام بكل قوته ونفوذه ودعا إلى الخروج فى سبيلها وبثها فى القرى والمدن وبدأت دعوته بمنطقة هى أحط المناطق الهندية خلقاً وأبعدها عن الدين وأكثرها جهالة وضلالة وهى منطقة (ميوات) فى جنوب دلهى عاصمة الهند

دعا الناس فيها إلى الانقطاع عن أشغالهم والخروج من أوطانهم المدة المحدودة قد تكون شهراً وقد تكون أكثر من ذلك وعرف أنهم لا يتعلمون الدين ولا يتغيرون فى الأخلاق إلا إذا خرجوا من هذا المحيط الفاسد الذى يعيشون فيه وقد قبل دعوته مئات وألوف فى هذه المنطقة وخرجوا الشهور وقطعوا مسافات بعيدة ما بين شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها ركاباً ومشاة وتغيرت أخلاقهم وتحسنت أحوالهم واشتعلت عواطفهم الدينية وانتشرت الدعوة فى الهند من غير نفقات باهظة ومساعدات مالية ونظم إدارية بطريقة بسيطة تشبه طريقة الدعوة فى صدر الاسلام وتذكر بالدعاة المخلصين والمجاهدين المؤمنين الذين كانوا يحملون — في سبيل الدعوة والجهاد — متاعهم وزادهم وينفقون على أنفسهم ويتحملون المشقة محتسبين متطوعين

وبعد ذلك وجهت الجماعة الى اختيار هذه الطريقة والقيام بتجربتها وأبديت رغبتى فى مصاحبتهم إلى بعض المديريات أو مركز من مراكزهم لتجرب هذا النظام فرحب الأستاذ حسين يوسف بهذه الفكرة ووعد أنه سيتفق مع بعض فروعه على هذه الجولة الدينية ويخبرنا بالموعد وذهب بعدى الأستاذ على عدلى المرشدى رئيس فرع جماعة انصار السنة المحمدية بالسيدة زينب وعلق على

محاضرتى ووجه الأنظار إلى بعض النقط المهمة فى خطبتى .

الجمعة ٢٤ / ٥ / ٧٠ هـ — ٢ / ٣ / ٥١ م

طلعت الصحف اليوم باختيار مراكش المؤسفة المحزنة لكل مسلم فقد طاردت فرانسا الحزب الوطنى المراكشى وطوقت قصر السلطان وسجنت آلافاً من المراكشيين وكانت حوادث مراكش الدامية حديث الناس اليوم .

رحلة إلى بنها

كنا اتفقنا على زيارة بنها والرحلة إليها مع فضيلة الشيخ محمد الغزالى وتوجهنا إلى محطة القاهرة وهذه زيارتى الأولى للمحطة ورحلتى الأولى على القطار فى مصر وأعترف بأنى كنت أشعر بشىء من الحنين إلى القطار والسفر عليه فقد نشأنا فى بلادنا بين صفير القطار وزحام المحطات وأملى بدأت بالأسفار على القطار وأنا رضيع محمول فلما وصلت إلى المحطة وركبت القطار شعرت بنشاط ونفحة من نفحات الصبا (بالكسر) .

مشاهدة الريف المصرى

وتحرك القطار ونحن نتفرج على أرياف مصر التى سمعنا عنها كثيراً ، ورأيت المصريين يحرثون الأرض وقد اعتدنا فى بلادنا أن لا نرى إلا الفلاحين الوثنيين فالفلاحون المسلمون نادرون فى مقاطعتنا ، وفى ساعة واحدة وصلنا إلى بنها .

كلمتى فى الجامع

ثم ذهبنا إلى الجامع حيث صلينا الجمعة وخطب الشيخ محمد الغزالى وكان موضوع الخطبة قوة الشخصية التى يجب أن يعتنى بها المسلم ويحافظ عليها ، وقد جمعت الخطبة بين التوجيه الدينى وعلم النفس ، و بعد صلاة الجمعة أعلن بكلمتى فقمت وقلت :

بين الناحية البشرية العامة والناحية الإيمانية الخاصة

إن المسلمين يجمعون بين ناحيتين الناحية البشرية العامة التي يشاركهم فيها الأمم البشرية كلها وكل إنسان مسلما كان أو غيره ومن لوازم هذه الناحية ومقتضياتها أن يأكلوا ويشربوا ويتكسبوا ويتجروا ويزرعوا ويتوظفوا إلى غير ذلك من لوازم الحياة الإنسانية والمدنية ، والناحية الأخرى هي الناحية الإيمانية وحملهم لرسالة خاصة وإيمانهم بعقيدة خاصة وتلك ما يمتازون بها عن غيرهم من الأمم وهي من خصائصهم وفيها سر قوتهم وانتصارهم ووقارهم عند الله ولم يبعث الرسل ولم يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لشرح الناحية الأولى وإبرازها وتبليغها وإنما بعثوا جميعا لشرح الناحية الثانية ، وإبرازها وتبليغها فليكن اهتمام المسلمين بها أكثر وأظهر .

جناية المسلمين على أنفسهم

وكان من جناية المسلمين على أنفسهم أنهم قطعوا صلتهم عن الناحية الثانية وبقوا مرتبطين بالأولى يمثلونها ويعتنون بها فسقطوا من أعين الناس وسقطت قيمتهم عند الله ثم ضربت لهم مثلا بموظفي الحكومة قد يكون رجلا حقيراً يتقاضى راتبا زهيداً ولكنه ينتسب إلى الحكومة ويلبس بذلتها الرسمية ويحمل شعارها ، فإذا أهانه أحد أو ضربه أو اعتدى عليه قامت الحكومة تدافع عنه وعن كرامته وتعد هذا الاعتداء الشخصي إعتداءاً على كرامتها ولا يتمتع أكبر الأغنياء وأكبر التجار بهذه الكرامة ولا تغضب له الحكومة إذا أهين أو اعتدى عليه وهكذا كان المسلمون في الزمن الأول يمثلون الحكومة الألهية وينتسبون إلى دين الله ويعدون من رجاله فإذا أهين مسلم في بقعة من الأرض وإذا تعرض أحد للأمة الاسلامية بإهانة أو اعتداء ونزل غضب الله وانتقم منه انتقاما شديداً

وهانحن الآن هدف كل إهانة وعرضة للاعتداء ولحم على وخم ، هذه مراكش الاسلامية تضرب بالقنابل ويهان أهلها المسلمون ويدوس المستعمرون كرامتها ، ثم لايحرك ذلك ساكناً ولايثير انتقاما. ولإصلاح هذا الوضع المخزى يجب أن نرجع إلى الناحية الخاصة بنا المشرفة لنا الحارسة لكرامتنا ، وهى الناحية الإيمانية وناحية الروح والعقيدة والرسالة فنستعيد مجدنا ونسترد قوتنا وشبابنا

السبت ٢٥ / ٥ / ٧٠ هـ — ٣ / ٣/ ٥١ م

حديثى إلى شباب الاخوان الأزهريين

بقيت اليوم فى المحل واشتغلت بالكتابة والتحرير ، وجاءنا بعد المغرب الأخ محمد الدمرداشي وأخذنا معه إلى منزله بشبرا حيث كان قد تقرر أن نجتمع بالإخوان ونبيت عندهم هذه الليلة و وصلنا فوجدنا مجموعة طيبة من طلبة الأزهر وأكثرهم طلبة كلية أصول الدين .

الاحتفاظ بالأمانة الدينية

وكان حديثى الليلة عن الأمانة الدينية التى خلفها النبى صلى الله عليه وسلم والجيل الأول من المسلمين وما ينتظر من العالم الدينى أن يضطلع بها وهى تستلزم الاحتفاظ بالعقيدة الاسلامية الأولى والشريعة الإسلامية فيحرص على المحافظة على سلامتها وينفي عنها زيف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ومنها الاحتفاظ بأركان الدين وفرائضه وواجباته فيحافظ عليها روحاً وشكلا ونظاما ولا يتهاون بها أبداً و بمقدار محافظته على هذه الأركان وشكلها وروحها يهتم بها العوام فاذا أغفلها أو تساهل العالم فلا أمل فيها للعوام . ثم الاحتفاظ بروح الدين والكيفيات القلبية من إخلاص واعتماد على الله و إنابة اليه وابتهال فى الدعاء وتلذذ بالذكر والخشوع فى الصلاة وذلك أيضا جزء مهم من أجزاء

هــذا الدين وإرث نبوى مما امتاز به الجيل الأول والصحابة رضى الله عنهم وكان ذلك سبباً من أسباب انتصارهم على العدو فقد سأل هرقل رجلا كان قد أسر مع المسلمين فقال أخبرنى عن هؤلاء القوم ؟ فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ، لايأكلون فى ذمتهم إلا بثمن ولايدخلون إلا بسلام يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه فقال : لئن كنت صدقتنى ليملكن موضع قدمى هاتين وقال آخر: أما الليل فرهبان وأما النهار ففرسان لو حدثت جليسك حديثا مافهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر ، ومن واجبات العلماء ورجال النهضة الإسلامية إن يحرصوا على اتباع السنة وإحياء السنن الميتة وترويجها وأن يستلهموا السنة وليكن هدف جهادهم وجهدهم وحركتهم ودعوتهم إقامة الفرائض وإقامة الدين وأركانه وقد جعل الله ذلك ميزانا وآية لإخلاصهم وقبولهم فقال . « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » وبتنا الليلة مع الإخوان وفاءاً بالوعد السابق ونزولا عند رغبتهم .

الأحد ٢٩ / ٥ / ٧٠ هـ — ٤ / ٣ / ٥١ م

ذهبنا فى الساعة التاسعة والنصف إلي مركز جمعيات الشبان المسلمين وقابلنا سعادة اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين فذكر أن محاضرة (العالم على مفترق الطرق) أحدثت دويا فى الأوساط العلمية وتحدث بها الناس .

حديث للواء محمد صالح حرب

ثم تحدث إلينا بحديث ينبىء عن إيمانه وسلامة فكره وبعد نظره وقوة

عاطفته الإسلامية ، وكان ظني به أنه قائد حربي ووجيه من وجهاء مصر ولكني وجدت عنده دراسة طيبة وفهما لبعض الحقائق التي قد تلتوى على العلماء وخطبه مؤثرة ، واعتذر عن تقصيره وتقصير جمعية الشبان المسلمين في الاتصال بالأقطار الإسلامية والتعرف بها وخدمة قضاياها الإسلامية ، وقال : لقد أصبحت قضية اتحاد وادي النيل الشغل الشاغل لنا وقد شغلنا الإنجليز بها .

أهمية مصر والشرق الأوسط

ثم شرح لنا أهمية مصر والشرق الأوسط السياسية والإستراتيجية وثروتها الزراعية والغذائية وامكانياتها الصناعية وكثرة الأيدي العاملة وغناها في الحديد لأجل معدنه العظيم الذي اكتشف في أصوان ويعد من أعظم المناجم في العالم وذكر اهتمام الإنجليز بمصر وفصلها عن السودان قال : وليس السبب في اهتمام الإنجليز بالشرق الأوسط ومصر هو أهمية قنال السويس كما يظن أكثر الناس بل له سببان حقيقيان أولهما رغبة الاتحاديين في جعل الشرق الأوسط قاعدة الهجوم على الجبهة الروسية إن وقعت حرب حتى يتفادوا خسائر الحرب وفظائعها في أوربا ثانيهما لما نفضوا أيديهم من الهند وانتهت امبراطوريتهم في الشرق أرادوا أن يعوضوا هذه الخسائر باقامة امبراطورية في افريقيا وكان السودان وما جاوره من البلاد خير قاعدة لهذه الإمبراطورية لأنه غني جدا في معادنه وثروته الحيوانية والجنود المقاتلة ولا يزال على الفطرة والسذاجة فيأمنون على الإستعمار لمدة طويلة وهو مرتع خصيب لنشر الحضارة الأوربية والديانة المسيحية وأن مصر إذا اتحدت مع السودان حراب مسددة إلى صدر هذه الإمبراطورية الإفريقية .

أهمية القوة المعنوية

ثم تحدثنا عن القوة المعنوية للمسلمين فاستشهد بمحاضرة القائد كاظم قره جي

من كبار قادة الحرب فى تركيا الذى سمعها الباشا وهو طالب فى مدرسة أركان الحرب فى استنبول قال : لقد كانت تركيا تعانى المشا كل الداخلية والخارجية والتي لاتتحملها ولاتعيش معها أكبر دولة وكان لايهدأ لها خاطر الدولة الأوربية كلها حرب عليها ولكن مع ذلك استطاعت أن تقاوم هذه الدول كلها وتحافظ على حياتها وشرفها والفضل فى ذلك يرجع إلى الجيش ولم يكن الجيش التركي من أقوى الجيوش وأحسنها تدريبا وتسليحاً وإنما يرجع ذلك إلى القوة المعنوية والروح التى كان الجيش التركى يمتاز بها. قال كاظم قره حى فمن أراد أن يقتل هذه الروح ويقضي على هذه القوة المعنوية فهو عدو تركيا إلى آخر ماقال فى هذا المعنى .

أعظم أمراض الشعب فى نظر الباشا

قال الباشا ومن أعظم أمراض الشعب المصرى ونحن المسلمين الذى قعد بنا عن كل مكرمة و بطولة وعن الدفاع والتقدم هو الترف والمذخ الذى نحن فيه وأرجو أن تختاروه وتكتبوا فيه مقالات .

وقدم الينا سعادة الباشا كل خدمة ومساعدة تقدر عليها جمعية الشبان المسلمين فسألنا تحديد موعد واسع للحديث فى هذا الموضوع فحدد الساعة التاسعة والنصف يوم الأربعاء و وعدنا بأنه سيضع له برنامجاً ويتكلم فيه .

محاضرة فى دراسة علم الحديث في الهند

كانت الليلة محاضرة لى فى الرابطة الاسلامية موضوعها دراسة علم الحديث فى الهند ولم يكن عدد المسلمين كبيراً ولكن كان فيه بعض رجال العلم وعلماء الازهر مثل الشيخ أحمد الشرباصى والشيخ محمود حسن ربيع والشيخ عبد المنعم النمر

والشيخ محمد صبرى عابدين المراقب العام للشئون الدينية بالمجلس الإسلامى الأعلى لفلسطين ومدير مكتب جمعية علماء فلسطين المركزية ، وقدمنى الرئيس الأستاذ محمد شاهين حمزة إلى الحاضرين ، وافتتحت الكلام فذكرت أحوال دراسة الحديث وكبار رجاله وأعمالهم وآثارهم الخالدة ، وذكرت أول من جاء بالحديث فى هذه البلاد ونشره، ونوهت بمساهمة مصر فى ذلك وقدوم بعض علمائها المحدثين فى القرن العاشر الهجرى وذكرت علماء كجرات كالشيخ محمد طاهر الفتنى وأشدت بكتابه العظيم مجمع البحار ، وذكرت العلامة الكبير الشيخ عبد الحق البخارى الدهلوى وفضله فى نشر علم الحديث فى مركز الهند وجهود أبنائه وأحفاده حتى تعديت إلى القرن الثانى عشر فذكرت حامل لواء السنة فى بلاد الهند حكيم الإسلام الشيخ ولى الله الدهلوى الذى أقام دولة الحديث مع أبنائه وخلفائهم وتلاميذهم الذين شمروا عن ساق الجد لنشر هذا العلم الشريف تدريسا وتأليفا ، وذكرت خصائص الشيخ ولى الله فى فهم الحديث وشرحه وما تفرد به وما سبق إليه من عرض الفقه على الحديث والتطبيق بينهما وترجيح الحديث الصحيح الثابت على مذهب الإمام والتوسط بين الجامدين على الفقه والجاحدين له والفهم الدقيق فى بيان أسباب الاختلاف وتعيين الطبقات المحدثين والفقهاء و بيان أسرار الدين وحكمه وأصول التشريع الإسلامى ، ثم ذكرت مسند الحديث العظيم الذى انتهت إليه رياسة الحديث فى الهند وهو الشيخ محمد إسحق وتلاميذه الكبار كالشيخ عبد الغنى المهاجر إلى المدينة المنورة ثم تلاميذه وتلاميذ تلاميذه من الشيخ الجليل مولانا رشيد احمد الكنكوهى إلى مولانا محمود حسن الديو بندى ومولانا خليل احمد امهار بفورى إلى تلاميذهما كالشيخ أنور شاه الكشميرى ومولانا شبير أحمد ومولانا حسين أحمد ومركزهم مدرسة ديو بند ومولانا محمد زكريا الكاندهلوى وذكرت تلاميذ الشيخ إسحق الآخرين مثل الشيخ وجيه الدين وتلميذه الشيخ

أحمد على محشى البخارى وذكرت خدمته للحديث والقارىء عبد الرحمن البانى بتى والسيد على المراوبارى وتلميذه السيد حسن شاه الرامبورى، ثم ذكرت المدرس الكبير الشيخ نذير حسين الدهلوى واتساع حلقته وطول قيامه لخدمة الحديث وتخريج الطلبة، وذكرت منهم الشيخ شمس الحق الديانوى صاحب غاية المقصود والشيخ عبد المنان الضرير الوزير آبادى والحافظ عبد الله الغازى بورى والشيخ عبد الرحمن الباركورى، وذكرت السلسلة اليمنية التى جاء بها الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليمانى وذكرت الأمير السيد صديق حسن خان وخدماته ثم ذكرت مزايا تدريس الحديث فى الهند وصفات علماء الحديث والمشتغلين به من التشبع بروح الحديث والانصاف بالهدى النبوى والعمل بالسنن والحرص على اقتفاء آثار الرسول صلى الله عليه وسلم والاجتهاد فى اتباع الحديث فى العادات والمعاشرة والشمائل وصورت لهم درس الحديث فى مدارس الهند الكبيرة .

وكان جل اعتمادى فى هذا الحديث فى المعلومات التاريخية وطبقات الرجال على كتاب سيدى الوالد عليه رحمة الله ومعارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف ، ولولا هذا الكتاب القيم الذى يساوى مكتبة واسعة لم أستطع أن ألقي فى هذا الموضوع حديثا دسماً بالمعلومات ، فجزاه الله عنا خيراً ورفع درجاته .

تنويه بخدمة الهند للحديث

وعلق على حديثى فضيلة الشيخ محمد صبرى عابدين فنوه بخدمة الهند لعلم الحديث وما تفردت به من مطبوعات مثل السنن الكبرى للبيهقى ومسند أبى داود الطيالسى وغير ذلك من مطبوعات دائرة المعارف فى حيدر آباد، وألم بغيرة الهنود المسلمين على الإسلام واعتنائهم به ، حتى أقامت منهم جماعة بالحجاز لنشر الدعوة الدينية فيها . وعقبه الأستاذ عبد المنعم النمر فاعترف بهذه الخدمات والعناية

بالدين واستشهد ببعض أقوال علماء باكستان والهند ومواقفهم الجليلة فى خدمة الإسلام ، وقام الرئيس فألقى كلمة بليغة فى شكر المحاضر

الاثنين ٢٧ /٥/ ٧٠ هـ — /٣/٥ ١٩٥١ م

فى حفلة جمعية الشبان المسلمين

توجهنا إلى جمعية الشبان المسلمين وكان اليوم موعد الاحتفال للاحتجاج ضد الاعتداء الفرنسى على مراكش، وكانت الهيئات الدينية والجمعيات الإسلامية مدعوة وممثلة في هذه الحفلة . دخلنا أولا فى غرفة الرئيس العام فوجدنا هناك لفيفا من كبار العلماء ومشاهير الزعماء و رؤساء الجمعيات فى القاهرة ، أذكر منهم فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا وفضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز والأستاذ فتحى رضوان أمين الحزب الوطنى والأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي و لأستاذ محمود محمد شاكر وآخرين غيرهم، وقد كتبت قرارات وأعدت للحفلة العامة، ولاحظت روح المرح والنشاط فى هذه الجلسة الخاصة فناس يترددون وناس يتكلمون كلام الأصدقاء بعضهم لبعض و يتقابلون، مع أن غاية الحفلة — وهى مشاركة المراكشيين فى مصيبتهم والتعبير عن الحزن العميق والغضب ضد الاستعمار الغاشم — تدعو إلى الجد وروح الاكتئاب والألم، وكان الواحد يستطيع أن يستنتج أنها حفلة سرور وتهانى، وكان اللواء محمد صالح حرب هو أكثر الحاضرين هاوشغلا ، وخرجنا إلى العامة و يدى فى يد فضيلة الشيخ حسنين مخلوف، وافتتحت الحفلة بآيات أحسن القارىء اختيارها لهذه الحفلة وهى قوله تعالى فى سورة الحج: « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصرهم لقدير » الآيات ، فغشيت الحفلة سحابة من الخشوع والوقار ، وتقدم الصاغ محمود لبيب فرجا الحاضرين أن

أن لا يهتفوا بهتاف الإخوان: الله أكبر ولله الحمد لأن الحفلة تمثل الهيئات الإسلامية كلها ليس الإخوان فقط، ولا تريد أن تتعلل فرنسا وتقول إن الحفلة كانت خاصة بالإخوان المسلمين وعلا الهتاف: الله أكبر ولله الحمد، وساد الهرج والمرج وقام اللواء محمد صالح حرب وخطب خطبة حماسية وهو متوتر الأعصاب متألم الجسم، وأثنى على الإخوان وعلى احترامهم للنظام، وقال إني في غير هذه المناسبة أول الهاتفين بهذه الكلمة، ولكن المصلحة تقتضي أن لا يكون لهذه الحفلة طابع الإخوان، وتلاه الأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي فخطب وتلاه الأستاذ سيد قطب فقرأ كلمة بمناسبة هذه الحفلة كانت موجهة إلى عبيد فرنسا، وكانت كلمة أدبية تهكم فيها بهؤلاء العبيد الذين يسبحون بحمد فرنسا بكرة وأصيلا، ويرون فيها القدسية والجلالة، ويدينون بحبها وولائها، واقترح بأن تغير الكتب المقررة في الدراسة التي تتكلم عن ثورة فرنسا وتأثيرها في تحرير الفكر والمساواة بكتب تاريخ الاستعمار الفرنسي وفظائعه، وكانت الكلمة تقاطع بهتافات صارخة وتصفيقات حارة وكان الجمع يهتف بين حين وآخر «تسقط فرنسا العاهرة» ونودي باسم الشيخ محمد الغزالي وجاء على المنصة فارتجت القاعة بهتافات الإخوان وخطب فمنع الإخوان عن هتافهم، وقال إننا في دار جمعية الشبان المسلمين وقد جاء في الحديث الشريف: لا يؤم الرجل في بيته ولا في سلطانه، فسكت الإخوان وأعجبتني لباقة الشيخ وفهمه للموقف وإطاعة الإخوان له، وقام اللواء محمد صالح مراراً وخطب خطبة متحمسة كان لها تأثير كبير وذكر عيوب الشعوب الشرقية والإسلامية ونعى على الترف والبذخ وحياة النعيم والرفاهية التي تمنع هذه الشعوب عن مكابدة المشاق والمغامرة والدفاع عن شرفها وحريتها، وضرب مثلا بالشعب التركي للروح العسكرية والجلد والشظف، وتلا الأستاذ محمود محمد شاكر القرارات فلما قرأ كلمة الأمم المتحدة ثار ثائر الناس وأنكروا عليه وقام اللواء محمد صالح

حرب وشرح الكلمة وقال إن المقصود منها أن قضية مراكش ليست قضية مراكشية فحسب ، بل هي قضية الدول العربية والشعوب الإسلامية كلها وهذا الناس ، ومن القرارات طلب الفتوى من كبار العلماء بتحريم التجنيد في الجيش الفرنسي وجيوش الدول الديمقراطية، وأبدى الناس سرورهم وارتياحهم لهذا القرار لأنه أشد نكاية في العدو الذي لا يؤمن إلا بالمادة ولا يهتم إلا إذا تعرضت مصلحة من مصالحه السياسية للخطر أو الفشل

وقد ذكرتنا هذه الحفلة التي هي أول حفلة شعبية شاهدناها في بلد عربي بالحفلات السياسية والإسلامية التي كانت تنعقد أيام اشتداد حركة الخلافة والحركة الوطنية في الهند، وقد اهتزت مشاعري وتوترت أعصابي لأني مرهف الحس جداً إذا سمعت شيئاً من فظائع الاستعمار الأوربي ، واعتدائه على شعب إسلامي ، هنالك يتجدد حنقي الشديد وتثور ثائرتي ضد الأوربيين وذلك يرجع إلى نشأتي ، فقد نشأت في عهد شبوب الثورة الدينية والوطنية في الهند .

الأربعاء ٢٦/٥/٧٠ هـ — ٩/٣/٥١م

حديث مع اللواء محمد صالح حرب

ذهبنا اليوم الساعة التاسعة والنصف صباحاً إلى اللواء محمد صالح حرب حسب ما تقرر يوم الأحد وجلسنا معه ساعة نتحدث عن رجال العلم والدين في مصر ، وكان ينتقد العلماء في مصر واشتغالهم بالمادة وعدم تجردهم للعلم وخدمة الدين والغضب لله ولدينه . ذكرت له ما دهي به المسلمون في الهند بعد التقسيم بالانحلال وتسرب اليأس إلى نفوسهم والتزلزل في الدين والأخلاق وقيام رجال الدعوة الدينية وتجردهم للدعوة إلى الدين والحياة الإسلامية الصحيحة ومقاومة هذه الطوارىء وبعثهم في نفوس المسلمين الأمل واتصالهم بطبقات الشعب، وما كان له من الأثر

فى أخلاق المسلمين ونفوسهم، فأعجب بذلك سعادته وتمنى لو كان هذا النشاط فى علماء مصر ورجال الأزهر. قلت له إني أود أن تدعو كبار علماء الأزهر، ومن بيدهم الحل والعقد ومن تأنسون فيهم التفكير والنشاط فأذكر لهم الأخطار المحدقة بالدين والعلم فى هذا العصر، وأذكر لهم الحل الذى نراه لهذه المشاكل وطريق درء هذه الأخطار والقيام بنهضة دينية جديدة، فوافق على هذه الفكرة واستحسنها، واتصل بفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف فوعده فضيلة الشيخ بالحضور فى المساء والاتفاق على هذا الموضوع، ووعدنا اللواء محمد صالح حرب بحضورنا كذلك. وتعارفنا فى مجلسه بالدكتور يحيي أحمد الدرديرى منشيء مجلة الشبان المسلمين ووكيل الجمعية، وأهدى إلينا مجموعة من مؤلفاته

في دار الشبان المسلمين

ووصلنا بعد المغرب إلى دار الجمعية فوجدنا عند اللواء محمد صالح حرب فضيلة الشيخ عبد اللطيف دراز والأستاذ محمود محمد شاكر وآخرين، وجاء بعد قليل الأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى وفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف والشيخ أحمد الشرباصى، واشتغلوا بتأليف اللجان المنفذة للقرارات التى قررتها حفلة أمس، ثم أقبل إلى اللواء وجلسنا فى جانب وأخبرنى سعادته بأنه هيأ فهرسا للمدعوين وهم من كبار علماء الأزهر، وتقررت دعوتهم لتناول الشاى فى دار الجمعية تكريما لى يوم الاثنين القادم فشكرته على ذلك

مع الأستاذ محمود محمد شاكر

كنت أريد الاجتماع بالأستاذ محمود محمد شاكر لما سمعت من دراسته واشتغاله بالمطالعة وتحقيقه، وأود أن أزوره وأهدى إليه نسخة من كتاب ماذا خسر العالم

فقدر الله الاجتماع به على غير ميعاد، وانبسط وأنس بى، وذكر أنه قرأ الكتاب وأعجب به وكان إعجابه بالباب الأول « العصر الجاهلى » أكثر، واقترح أن أفرد لهذا الموضوع كتابا خاصاً، ولما علم بقصدنا التركيا دعانى لمقابلة الأستاذ يحيى حقى مستشار السفارة المصرية فى تركيا الذى هو ضيف عنده .

الشيخ حسنين محمد مخلوف

واجتمعت كذلك بفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف، وكنا قد اتفقنا على زيارته يوم الجمعة بحلوان وتناول الغذاء معه، ثم حدث فى ذلك تغيير لأن يوم الجمعة عندنا مشغول بعدة مواعيد، فاعتذرت له عن ذلك وأبديت رغبتى فى الاجتماع به، وفى الحقيقة إنه من الرجال الذين أعجبت بهم ورأيت منهم صلاحاً وعلماً ورزانة ومتانة خلق ودماثة .

الجمعه غرة جمادى الثانية سنة ٧٠ — ٩/٣/٥١ م

صلينا الجمعة فى مسجد المؤيد وهو قريب من محلنا، وكنا نريد أن نصلى الجمعة فى مسجد هادىء يخلو من التشويش، ولم ننكر من أمر هذا المسجد إلا الجهر والتغنى بسورة الكهف، وهى عادة مطردة وسنة متبوعة فى مصر إلا مساجد الإخوان الشرعيين، وكان المؤذن جالسا على دكة من خشب على بعد من الإمام يرفع صوته بورد بين الخطبتين لم نفهمه .

فى جمعية مكارم الأخلاق

توجهنا إلى جمعية مكارم الأخلاق لحضور الحفلة التى عقدها الحاج جلال حسين ودعا إليها بعض أصدقائه ورؤساء الهيئات الإسلامية للاجتماع بنا ولأشرح

لهم طريق الدعوة فى الهند، وكان بعد حفلة الشاى محاضرة لى فى الجمعية موضوعها « رسالة المسلمين فى هذا العصر ».

مع رؤساء الجمعيات الدينية وحضرات العلماء

حضر فى هذه الحفلة الأستاذ حسين يوسف رئيس شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورصيله الأستاذ عبد الوهاب والأستاذ زكى إبراهيم رئيس جمعية العشيرة المحمدية واللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين وفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى والأستاذ الشاعر المرتجل صاوى على شعلان وفضيلة الشيخ السيد مبشر الطرازى وبعض أعضاء جمعية مكارم الأخلاق، بدأ الأستاذ صاوى شعلان يذكر مناقب علماء الهند ومآثرهم العلمية وأبدى إعجابه بالدكتور محمد إقبال والأستاذ الكبير السيد سليمان الندوى وأستاذه الشيخ شبلى النعمانى، وذكر دراسته لآثار هؤلاء العلماء وشغفه بمؤلفاتهم وذكر ما نشر عنهم من مقالات وتراجم، وافتتح المجلس الشيخ جلال حسين فقدمنى إلى الحاضرين، وأشار إلى الدعوة الدينية ونشاطها فى الهند وكان يسميها الدعوة الندوية لانتسابها إلينا فى مصر وانتسابنا إلى الندوة . وذكر المسامة بهذه الدعوة واتصاله ببعض رجالها فى الهند وباكستان، ثم قمنا إلى مائدة الشاى والفطور .

وبعد ذلك افتتحت الكلام وقلت إن الهند لم تكن وليست فى مركز الإرشاد والتوجيه للعالم العربى، خصوصا لمصر وهى زاخرة بالعلم والحركات الدينية ولكن امتازت الهند فى العهد الأخير بحوادث وظروف أثارت فيها الاهتمام والتفكير فى النهضة الدينية فوصلت إلى نتائج كبيرة، ووفق رجالها إلى طرق ومناهج تستحق الدراسة والعناية فى كل بلد إسلامى.

مثل الهند ومثل البلاد العربية

و إنما مثل الهند ومثل البلاد العربية كمثل طفلين ينشأ أحدهما فى أحضان أبويه تحت رعايتهما وعطفهما ، ويشبل فى نعمة أبيهما وله فرص سانحة فى الحياة فلا يضطر إلى التفكير والابتكار وينشأ هادئا مطمئن البال ، فذلك مثل البلاد التى تتمتع بحكوماتها ، و الطفل الثانى ينشأ مهملا فقيرا ثم يرث من أبيه ثروة فيضطر بطبيعة الحال إلى جهاد الفكر والمغامرة و إلى أن يشق طريقه بإرادته وقوة ذاته فربما يصل إلى مالا يصل إليه أولاد الأغنياء وأبناء الأمراء وذلك مثل الهند ، فإن كان في نهضة الهند الدينية وحركاتها الإسلامية شيء يلفت النظر و يستحق الإعجاب والاقتباس فإنه يرجع إلى هذا السبب ثم شرحت الأحوال السياسية التى دفعت الهند إلى التفكير فى الدعوة الدينية والتجارب الجديدة .

موافقات ومفارقات

ثم ذكرت نشوء هذه الدعوة الدينية العامة وأسسها ومبادئها وما بينها و بين الدعوات الإصلاحية فى العالم الإسلامى والأقطار العربية من موافقات ومفارقات فتركت الموافقات وشرحت المفارقات ، منها ماتمتاز به هذه الدعوة من تقديم غرس الإيمان فى قلوب المسلمين والعناية به ، ثم التقدم إلى الشعب من غير انتظار وبث الدعوة فيه على طريقة صدر الإسلام و على طريقة الدعاة الأولين ، وكنت فى حديثى إذ أذن المؤذن ومضيت فى حديثى ، واستقر الرأى على أن يكمل هذا الحديث يوم الثلاثاء فى جمعية الشبان المسلمين بحضور رؤساء الهيئات الاسلامية ، وقمنا إلى الصلاة وقد حضر المستمعون إلى المحاضرة و بعد صلاة المغرب افتتح الأستاذ أحمد عثمان فنوه بافتتاح عهد جديد للجمعية برئاسة الأستاذ جلال بك حسين وعودتها إلى نشاطها الأول ثم أعقبه الشيخ جلال حسين .

محاضرتي في الجمعيـــــــة

« رسالة المسلمين في العهد الحاضر »

وبعد ذلك طلب مني أن ألقي محاضرتي وأفتتحها

وكانت خلاصتها أن الحياة الإنسانية تشتمل على ناحيتين الناحية الطبيعية وهي التي تفرض على كل إنسان أن يأكل ويشرب ويتكسب ويحصل القوت وإذا مرض فيعالج إلى غير ذلك من طبائع الحياة الإنسانية ، والناحية الثانية هي الناحية الإيمانية وهو تلقي الإنسان الأحكام من خالقه والعمل بها ، فيعرف ماذا يحل أكله وماذا يحرم ومن أين يكسب، وما هي الطرق المشروعة للكسب وتحصيل القوت وجمع الأموال ، وماهي الطرق المحظورة وما نهاية هذه الحياة وما مصير هذا العالم وماذا يرضي الله وماذا يسخطه، والأنبياء عليهم السلام لم يبعثوا لبيان الناحية الأولى وهي ناحية فطرية يهتـــدي إليها الإنسان بسابق فطرته: «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً » الآية، ولم يبعثوا ليزيدوا في نشاطها ويحثوا على زيادة العناية بها، إن العالم لم يزل يعاني طغيان هذه الناحية وثورتها على الناحية الإيمانية . وطالما تضخمت هذه الناحية وكبرت على حساب الناحية الإيمانية، ومن هذا التضخم أصاب العالم ما أصابه من أمراض وآلام ومشاكل وزلازل ، وإنما يبعث الأنبياء ليشرحوا الناحية الثانيـة وهي الناحية الإيمانية وينصفوا لها من الناحية المـادية الطاغية ويوجدوا التوازن الصحيح بين الناحيتين، وإذا أردتم أن تعرفوا رسالة المسلمين فارجعوا إلى العصر الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم وتلمسوها. فإذا وجدتم أنها كانت كاملة غنية بل طافحة بالجوانب المـادية ولم يكن فيها نقص أو عوز بل كانت قد طغت على الجانب الإيماني في حياة الإنسان وقضت عليه حتى أصبح نسياً منسياً ، وقد جدده النبي

صلى الله عليه وسلم وأحياه ودعا إليه وعلى أساسه أوجد أمة لا تزال تقوم بالدعوة إليه والمحافظة عليه والاعتناء به ناعلموا أنها هى رسالة المسلمين فى كل عصر وهى رسالتهم فى هذا العصر ، وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فى دعائه للمسلمين وشفاعته لهم : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » فذكر الغرض الحقيقى الذى بعث له المسلمون والذى يقوم بهم وحدهم .

اعتراف بفضل علماء الهند

استغرقت هذه المحاضرة أكثر من ساعة، وأخبرنى بعض الناس أنها استغرقت ساعتين ، ولم أشعر بالوقت كيف مضى وتلانى الأستاذ صاوى شعلان فعقب على هذه المحاضرة ونوه بالهند وعلمائها وقرظ الدكتور محمد إقبال ومولانا السيد سليمان وذكر أن كتاب سيرة النبي أكبر كتاب فى السيرة النبوية فى مكتبة العالم الإسلامى، وارتجل أبياتا كثيرة قالها عفو الساعة و فيض الخاطر، وتلاه الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى فألقى كلمة عن حاضر الأمة الإسلامية فى أسلوب أدبى بليغ، وانتهت الحفلة مع كلمة شكر من صديقنا الشيخ أحمد عثمان

السبت ٢/٩/٧٠ هـ — ١٠/٣/٥١م

مع الأستاذ عبد العزيز كامل

زرنا الأستاذ عبد العزيز كامل فى داره ، وتحدثنا طويلا وتناول الحديث نظام الدعوة والتربية فى الهند والحاجة إلى إنتاج كتب دسمة قيمة تشرح الفكرة الإسلامية والحياة الإسلامية و وجود الصلة بين المفكرين الإسلاميين فى الهند وباكستان و بينهم فى مصر وتبادل الثقافة الإسلامية والمنتجات العلمية بين البلدين

وأبدى أسفه على عدم معرفة المصريين لإقبال وآثاره الإسلامية ورسالته فى شعره ، وأخبرته باستعدادى لإلقاء بعض المحاضرات عنه وعن شاعريته ورسالته فى كلية الآداب أو دار العلوم، ففضل أن تكون هذه المحاضرة فى دار العلوم، وذكر إعجابه بكتاب ما ذا خسر العالم وأنه قرر مطالعته للاخوان فى منهاج دراساتهم ، وأبدى موافقته على التفصيل الذى جاء فى الكتاب لتاريخ الأخلاق الأوروبية ونشوءها وتطورها، وأثر الأخلاق اليونانية والروحية فيها، وذكر أنه يساعد فى فهم القضية الأوربية الحاضرة، وتشعب الحديث وامتد المجلس ، وقد رأيت فى الأستاذ شابا واسع الثقافة جيد التفكير مؤمن القلب هادئا ، وهو من خيرة من تعرفت بهم من المثقفين ، و يعد كمراقب ثقافى للاخوان .

وفى الساعة السابعة خرجنا مع الأخ ياسين إلى زيارة الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة فى كلية أصول الدين بالأزهر فى شارع الملك المظفر بالجزيرة والدكتور ممن قرأوا كتاب ما ذا خسر العالم واعتنوا ونوهوا به وكنت أريد أن أفيد من معلوماته وملاحظاته ، فاتفقت معه على هـــذا الموعد ، وقابلنا الدكتور بحفاوة .

حديث مع الدكتور محمد يوسف موسى

وذكر أنه قرأ مقالتى « اسمعى يا مصر » وأعجب بها ، وذكر أنه اشترى كتاب ما ذا خسر العالم على أثر صدوره فى الصباح وأتمه قبل النوم وكتب ذلك على وجه الكتاب ، وتناول الحديث الوضع التعليمى فى مصر فقال إن التعليم فى مصر قائم على أساس الثنوية فى التعليم وهى التى جرت علينا شرورا كثيرة ، قال وقد كتبت مقالة فى الرد على هذا الأساس ونشرت فى الأهرام وقوبلت فى أوساط

الأزهر بالاستنكار والمعارضة ولا أزال على عقيدتى فى وحدة التعليم على أساس متين من الثقافة الإسلامية[1] ومن رأيى أن الأزهر يجب عليه أن يتطور مع الزمان كما تطورت كمبردج وأوكسفورد فقد كانتا مدرستين دينيتين كالأزهر ولا يزال نظام الأروقة فى أكسفورد مثل الأزهر

اقتراحه على الأزهر

وكان يجب أن يختص الأزهر التعليم المدنى ويكون هو مصدر التعليم فى البلاد فلا تنشأ طبقتان متميزتان لا وصل بينهما ، منا من يتعلم الدين ولا يحكم، وهنا من يحكم ولا يعرف الدين ، ثم تكلمنا فى كون اللغة العربية اللغة الرسمية فى باكستان وما فى هذا السبيل من مشاكل .

« ✻ »

ظهر لى أن أعد مقالة أقرأها فى حفلة التكريم يوم الاثنين ، وأن يكون موضوعها الدعوة الاسلامية فى الهند وتطوراتها ، وبذلك أنتفع بهذه الفرصة الغالية وأوجه الرسالة إلى علماء الأزهر والضيوف الذين يلبون هذه الدعوة، وملكت الفكرة تفكيرى فاشتغلت بالكتابة إلى نصف الليل ، ولم أنم إلا وأنا متعب لا أستطيع التحرير .

الأحد ٣/٦/٨٧٠ — ١١/٣/٥١ م

أسئلة الشيخ أحمد الشرباصى

جاء فى الساعة التاسعة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى وأبدى رغبته فى معرفة

---

(١) يقول صاحب الرأى إنه صار رأى صفوة المشتغلين بالتعليم ، ورأى المركز العام للاخوان المسلمين أيضا ، كما هو واضح هذه الأيام (عام ١٩٥٣ م) . محمد يوسف موسى

مراحل تعليمي ونشأتي وحياتي وقبلت دعوته ، وصار يسأل ويقيد وألقى علي كثيرا من الأسئلة ، وعرف عني التمير والفطير ، وعرف كل دقيق وجليل في حياتي حتى تحدثنا عن الألعاب التي لعبتها ، والأطعمة التي أكرهها ، والأيام التي لا أزال أذكرها والأمراض التي أصبت بها ، والشخصيات التي تأثرت بها ، والكتب التي أعجبت بها ، وعن حسنات مصر وسيئاتها ، فقلت له : ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ؟ وأحببت أن أعرف غرضه من الوقوف على هذه المعلومات كلها وسألته عنه قال : ربما أكتب عنكم شيئا أو ألقي كلمة . . . ولم يزل يسرنا بطرفه ونشاطه اللطيفة وروحه المتفتح حتى قام[1] .

الإثنين ٤/٩/٧٠ هـ — ١٧/٣/٥١ م

حديث مع أحمد لطفي السيد

ذهبنا في الساعة العاشرة لزيارة الأستاذ أحمد لطفي شيخ هذا الجيل ورئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، قابلنا معاليه في مكتبه في المجمع فرأيت فيه شخصا من الرعيل الأول الذي أنتجه التعليم الأوربي في بلادنا الإسلامية يمثل عقليته وثقافته ونظره إلى هذا التعليم المصري ودفاعه عنه خير تمثيل ، فكأنما رأينا فيه رجلا قد تخرج في مدرسة العلوم بعليكره في عهد مؤسسها السيد أحمد خان .

الأخلاق بين الماضي والحاضر

سألت معاليه : هل أنت مرتاح إلى نتائج التعليم الجامعي من جهة الأخلاق الذي كنت بلا شك من واضعي أساسه في هذا البلد ؟ قال : من غير شك أنا متفائل فإن الأخلاق في تحسن وتقدم بالنسبة إلى الماضي ، وقد كانت الأخلاق الظاهرة

---

(١) اعتمد الأستاذ الشرباصي على هذه المعلومات في كتابه مقدمته للطبعة الثانية لكتاب : (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) .

والجاملات أجمل وأحسن فى العهد الماضي ، ولكن ذلك تحت الضغط والخوف ، وأنا أعتقد أن الشيء الذى يكون بتأثير الخوف ليست له قيمة كبيرة ، وقد زال الاحتلال الأجنبي بعد ألفي سنة وزيادة ، وحصلت الحرية فتحسنت الأخلاق، إلا أن هناك شيئاً من التطرف وسوء استعمال الحرية، وذلك طبيعي يزول فى وقته فمثل الطالب كمثل طائر خرج من القفص ، فلابد أن يجمع قواه و يطير من هنا إلي هناك ، ولكني أفضل سوء استعمال الحرية على عدم الحرية . والحكم على اختلاف الأخلاق وفشل التعليم فى التربية و إخراج الجيل الصالح حكم قبل أوانه . وأنا أعتقـــــد أن التربية الأولى يتلقاها الطفل فى أحضان أبيه وأمه فإذا كان هذا الجيل الذى هو ابن اليوم الأب المربى فى الغد، فإن الجيل الذى ينشأ في تربيته يكون أحسن من هذا الجيل .

قلت : حقق الله آمالكم وأقر عيونكم بأبنائكم ، ولكنى أخشي أن ينتقل الأمر من سيء إلى أسوأ ، لأن هذا الجيل الذى يتخرج من جامعتنا جيل منحل لا عاصم عنده ولا تربية، فكيف نرجو أن المستقبل سيكون أحسن من الحاضر؟ قال معاليه : أنا أعتقد أن العلم إذا انتشر أصلح الأحوال ، وأنا لست سيء الظن بالفطرة البشرية، وأعتقد أن الفطرة صالحة بالطبع ، فإذا زال الكبت فإنها ترجع إلى أصلها .

هل الجامعات مقصرة فى التربية الخلقية ؟

قلت : وهذه فكرة الإسلام . ولكن الجامعات مقصرة فى العناية بالتربية الخلقية . قال معاليه: ولكنى لا أعتقد فى التلقين ، والمؤثر هو المثل الأعلى والأسوة العملية الحسنة. قلت: لست أعنى بتقصير الجامعات التقصير فى التلقين والدروس .

الخلقية فلا أومن بتأثيرها ، وأنا مع معاليكم فى عدم تأثير الملقين والدروس النظرية ولكن الجامعات مقصرة فى اختيار المعلمين وضرب الأمثلة العملية وعرض النماذج الخلقية الجميلة، وذلك يجعلني أشك فى مستقبل هذه الجامعات من ناحية الأخلاق .

قال : إن التعليم الجامعي فى مصر وليد نحو ثلاث وثلاثين سنة، فالحكم عليه بالفشل حكم قبل وقته فلننتظر ولنر .

قلت : إن التعليم المدنى والجامعى فى الهند أكبر سنا منه فى مصر ، ولكنه لا يختلف فى ثمراته عن ثمرات التعليم الجامعى فى مصر .

النقص فى أساس التعليم

وبدلك يخيل إلينا أن النقص فى أساس هذا التعليم ، وإذا لم يزل هذا النقص فإن التعليم لا يزال يؤتى هذه الأكل، والنقص هو اختلال الاتزان بين المعلومات والأخلاق .

قلت لمعاليه : هل أدركت السيد جمال الدين الأفغانى وقرأت عليه ؟ قال : تتلمذت على السيد فى الآستانة مدة شهر ، وكان الدرس عاما استفدت منه بوسيع آفاق الفكر .

فى حفلة التكريم

وصلنا إلى دار جمعية الشبان المسلمين الساعة الخامسة إلا ربعا ، وحضر الضيوف ، أذكر منهم سمو الأمير عبد الكريم الخطابى ، وشقيقه الأمير محمد عبد الكريم الخطابى ، والشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا وعضو هيئة كبار العلماء والشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير المعاهد الدينية بالأزهر

وعضو هيئة كبار العلماء والشيخ محمد الشربينى رئيس جبهة علماء الأزهر وعضو هيئة كبار العلماء والشيخ مبشر الطرازى والشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو هيئة كبار العلماء والشيخ أحمد فهمى أبو سنة أستاذ كلية الشريعة ، والدكتور محمد يوسف موسى أستاذ كلية أصول الدين والأستاذ عبد المنعم النمر أستاذ معهد القاهرة والاستاذ احمد الشرباصى أستاذ معهد القاهرة والأستاذ محمد عبد التواب مفتش الوعظ بالأزهر والاستاذ عبد القادر مختار والاستاذ عبد المنعم خلاف والشيخ السعيد الشرباصى ، والشيخ على رفاعى مفتش الوعظ بالأزهر فضلا عن صاحب الدعوة اللواء محمد صالح حرب .

جلسنا حول مائدة الشاى وهى طويلة زاهية بالأزهار وقام الاستاذ محمد صالح حرب فألقى كلمة تكريم لهذا العاجز وحياه عن نفسه وعن الضيوف وقدم اللواء إلى الحاضرين فضيلة الاستاذ احمد الشرباصي فقام وشفع كلمته بكلمة وجيزة ذكر فيها أن السيد أبا الحسن قد هيأ حديثا عن تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند وتطوراتها لهذا المجلس .

كلمتى فى الحفلة

وقمت فشكرت اللواء محمد صالح حرب على هذا التكريم والضيوف على هذا التشريف ، وقلت إن وقت الضيوف الكرام وكبار العلماء الذين شرفوا هذا المجلس أعتقد أنه وقت ثمين وأمانة ، فخفت أن يضيع فى تكريم رجل مثلى فأعددت لهذا المجلس حديثاً عسي أن يعوض هذه الخسارة ويخفف من ثقلى الذى أشعر به ثم بدأت فى المحاضرة وقلت فى أولها : « سادتى ! حرصت على أن أقوم بواجب الشكر والاعتراف بالجميل لهذه الحفلة التي يعقدها معالى اللواء محمد صالح حرب تكريماً لشخصي الحقير مؤمناً بأنه تكريم لضيف مسلم ينسب

إلى العلم وإلى شعب إسلامى عريق فى الدين والعلم ، فليس تكريمكم فرد بل هو تكريم للعلم ولهذا الشعب الهندى المسلم بأسره الذى أتشرف بالانتساب إليه وأردت أن أحييه وأحيي ضيوفه الكرام الذين يشرفوننى بالحضور باسم العلم واسم الشعب المكرم في شخصي رداً للتحية الرقيقة ومكافأة لصنيعه الجميل .

وفكرت طويلا فى الهدية التى أتقدم بها إليكم وما ذا يكون حديثى اليوم ؟ فإن حدثتكم أيها السادة عن موضوع دينى علمى عام كنت كناقل التمر إلى هجر أو مهدى العلم إلى الأزهر ، هنالك تذكرت أنه مما جرت به العادة قديماً وحديثاً ومما يستطرف أن يحمل المسافر هدية من طرف بلده أو منتجات وطنه ، وإن كان شيئا متواضعا أو عاديا ، لا أن يشترى شيئا من سوق بلد مهما كانت من الثمن ويهديه إلى أهلها ، ففضلت أن يكون حديثى اليوم عن الدعوة الإسلامية فى الهند ، وما مر عليها من أدوار وما تناولها من تجديد وتطور وابتكار » . ثم تحدثت عن الدعوة الإسلامية الأولى التى نشرها فى الهند السادة الصوفية والدعاة إلى الله ، ثم ذكرت كيف تغير اتجاه الدولة المغولية من الإسلام إلى الكفر والإلحاد ، وكيف قيض الله لتحويل هذا التيار وتجديد الدين فى هذه الديار الإمام الشيخ أحمد السرهندى وكيف جاء بتجديده وتربية أولاده — مثل السلطان أورنك زيب على عرش أكبر ، ثم ذكرت دور الشيخ ولى الله الدهلوى وتمهيده العقول والأرض لانقلاب إسلامى صالح على أساس العلم والدين ، ثم جهود السيد الإمام الشهيد والشيخ إسمعيل الشهيد وجهادهما فى تأسيس حكومة شرعية ، وفشل هذه الجهود والتجاء العلماء إلى تأسيس المدارس الدينية ، ثم الأسباب التى دعت إلى تأسيس ندوة العلماء ، وإلى بث دعوة دينية شعبية تقوم على أساس غرس الإيمان فى جماهير المسلمين والتربية الدينية ، وقد

استمع الضيوف إلى هذه المقالة على طولها بنشاط ورغبة واقترحوا نشرها .
وانتهي المجلس .

الثلاثاء ٥/٦/٠٧٠ھ — ١٣/٣/٠٥١م

التقصير فى نشر آثار إقبال فى العالم العربى

جاء الأستاذ الصاوى شعلان وجاس يسمعنا ترجمة شعر محمد إقبال الى العربية ، وله قدرة على ترجمة الشعر مع أن ذلك أصعب شىء ، وهو حريص جداً على الحصول على ديوان الشاعر الأخير « أرمغان حجاز » ومع كل أسف أن الباكستان لا تزال مقصرة فى التعريف بمؤسسها الفكرى العظيم ونقل آثاره الفكرية إلى العالم الإسلامى ، ومثل الأستاذ صاوى شعلان يستحق أن تستعين به الحكومة أو المجامع العلمية على الأقل فى نشر إقبال فى العالم العربى الذى يعرف طاغور أحسن مما يعرف إقبال ، وتلك سبة وعار على الباكستان والهند قبل أن يكون عاراً على العالم العربى .

و بعد انصراف الأستاذ صاوى شعلان جاء الأستاذان الأزهريان الشيخ أحمد الشرباصى والشيخ عبد المنعم النمر وجلسا طويلا ، وتحدثنا عن الدعوة الدينية والقيام بنشرها فى القرى والأرياف وتنظيم الرحلات الدينية إلى الضواحى والمدن . .

كيف يشغل طلبة المعاهد الدينية ؟

ذكرت لهما أن هذا الطريق الوحيد لصرف طلبة المعاهد الدينية عن الاشتغال بالحركات الطائشة وعن الاستهداف للدعوات الهدامة و بعث الروح الدينية والنشاط العملى فيهم ، فوافقا على ذلك ولكن اعتذرا بالمشاكل التى تعترض هذا النشاط والتنظيم وما أثر حل جماعة الإخوان المسلمين فى عقلية

الشعب وما أوجده من اليأس والتبرم من الدعوة الدينية والوعظ ، والانصراف عن الدعاة المتطوعين ، ولكن اتفقا على أنه لا بأس بالشروع فى هذا العمل فى نطاق ضيق محدود، ووعد الشيخ أحمد الشرباصى بأنه سيكلم فى هذا الموضوع الشيخ محمد الغزالى واعظ الأزهر ،لأنه أعرف بالقرى والأرياف وأكثر اتصالا من زميليه بها .

تنظيم اتصالات علمية بين علماء مصر وعلماء الهند

واقترح الشيخ أحمد الشرباصى تنظيم اتصالات علمية بين علماء مصر وعلماء الهند والباكستان عن طريق التعارف بتبادل الخطابات والرسائل والمؤلفات والنشرات والمجلات والصحف وغير ذلك ، وقد أيده فى ذلك الأستاذ عبد المنعم النمر وذكر أنه لم يكن يعرف شيئاً عن الحركة العلمية والدينية فى الهند قبل أن يتعرف بى ولم يسمع قط أسماء هؤلاء العلماء الكبار الذين ذكرتهم فى محاضرتى عن دراسة علم الحديث ، واقترح فضيلة الشيخ الشرباصى كذلك تنظيم مراسلات بين طلبة الأزهر الشريف و بين طلبة الجامعات الدينية الإسلامية في العالم الإسلامى حتى يتعارف شباب الإسلام ، وحتى يرتبطوا بالمجلة الإسلامية ، بدل تراسلهم مع الطلبة الغربيين أو الطالبات الأجنبيات، ، وذكر أن أكثر طلبة الجامعة وطلبة الكليات يتراسلون مع طلبة الجامعات فى أوروبا ، وغالب الطلبة فى مصر فى الجامعة أو الكليات لهم أصدقاء ومراسلون فى أوربا ، ويحرضهم على ذلك أساتذتهم ، بل وصل الأمر إلى أن المعلمات فى مدارس البنات يحرضن المتعلمات فى مدارس المسلمات على أن يراسلن المتعلمات في أوربا أو يراسلن المتعلمين فى أوروبا ، فبعض المتعلمات هنا لهن أصدقاء فى أوربا.

ووافقنا على أن يبدأ الشيخ الشرباصي بكتابة كشف بأسماء الطلاب الأزهريين الراغبين فى المراسلة مع عناوينهم ومميزاتهم، وأقوم أنا بكتابة آخر بأسماء الطلاب المسلمين فى الهند والباكستان وذلك للبدء فى المراسلة .

وأخذ الأستاذ عبد المنعم النمر أجزاء (أوجز المسالك) ليعرضها على بعض الناشرين لعلهم يستعدون لنشرها .

قرأت مقالة الأستاذ البهى التى نشرت فى العدد الأخير للدعوة تحت عنوان « تحت ظلال التوحيد » وهى مقالة جميلة وجدت فيها نفس ابن القيم رحمه الله في شرح الآيات وحقائق القلب ، وماذاك إلا بشغف الأستاذ البهى بكتب الحافظ ابن القيم وتفكيره فى القرآن، وظل الشيخ يفسر لنا بعض الآيات و يشرح لنا معنى الحياة فى القرآن فى أسلوبه الجميل فكان حديثاً مغذياً للفكر والقلب ، وذهب الإخوان بعد المغرب ليشاركوا فى محاضرة الشيخ أحمد الشرباصى عن (عبقرية المكفوفين فى التاريخ) بدار الشبان المسلمين و يعتذروا إليه عنى لعدم الحضور فقد شعرت بتعب عظيم .

الأربعاء ٦/٦/٧٠هـ — ١٤/٣/٥١ م

جاءنا الشيخ عبد المنعم النمر عند الظهر ليرافقنا إلى منزل الشيخ أحمد ماضي أبي العزائم وأهدى إلينا الشيخ أبو العزائم مجموعة من مؤلفات والده ومنظوماته وزرنا قبر والده السيد محمد ماضي أبو العزائم، ورأينا لوحة على قبره مكتوباً عليها « يا أبا العزائم مددَكَ » فأنكرنا ذلك وقلت للسيد هذا لايجوز أبداً ولا يتفق وتوحيد الإسلام ولايوافق ما أمرنا به في سورة الفاتحة من قوله تعالى: « إياك

نعبد وإياك نستعين » وما نقوله مرات فى الصلاة ، ولم أر من السيد تلك الخشونة والإنكار الذى تعودناه من مشائخ برلين و بديوان فى مثل هذا الموقف

حديث مع الأستاذ عبد الوهاب خلاف

ذهبنا بعد العصر إلى الأستاذ عبد الوهاب خلاف أستاذ الشريعة فى كلية الحقوق وقابلناه فى منزله بشبرا وكان الحديث معه علميا وتاريخيا ، قال: قد أعجبنى كلامكم مع أحمد لطفى السيد باشا، وكنت ألاحظ أن المقياس بينكم وبينه مختلف فمقياس الأخلاق عندكم القرآن فما حسن منها فهو عندكم حسن وهو لا يرى هذا .

من أسباب التحلل الخلقى فى مصر

قال إن من أعظم أسباب التحلل الخلقى فى هذا البلد هى البعثات التى عادت من فرنسا ، وقد لاحظنا أن الثقافة الإنجليزية تمتاز عن الثقافة الفرنسية بالجد ، قلت له هل قرأتم على الشيخ محمد عبده ؟ قال: نعم أدركت دروسه فى الرواق العباسي بالأزهر وهو فى تفسير سورة النساء (حرمت عليكم أمهاتكم) الآية واستمرت دروسه إلى تفسير قوله تعالى: «لا خير فى كثير من نجواهم» الآية، وهنا مرض مرضه الأخير ، وتوفى رحمه الله .

الأستاذ يصف درس الشيخ محمد عبده

ووصف الأستاذ عبد الوهاب درس الشيخ قال: كان الشيخ بهى الطلعة كث اللحية شجى الصوت لا يمله الطلبة والحاضرون ، وكان يسر السامعين بنكتته اللاذعة ونقده ويدفع السآمة عنهم ، وكان لا يعتنى كثيراً بالنحو والبلاغة ويعنى بموضوع القرآن وهو عنده الهداية ، ودائماً يستشهد بقوله تعالى: «ذلك الكتاب

لاريب فيه هدى للمتقين » يقول : ولم يذكر الله ثمة أنه أنزل القرآن للبلاغة أو النحو وإنما أنزله للهداية .

الأساتذة الذين أعجب بهم الأستاذ خلاف

قلت : ومن أثر فيكم من أساتذة الأزهر؟ قال هما رجلان غير الشيخ محمد عبده أولهما الشيخ عبدالله دراز وكان يدرس المنطق فى المسجد الذى أمام الأزهر وكان عذب الحديث بليغا ، والثانى الشيخ إبراهيم الجبالى الذى توفى قريبا ، ثم أنشئت مدرسة القضاء الشرعى فالتحقت بها ، وكان أساتذتها مزيجا من شيوخ الأزهر والأساتذة المدنيين فكانت ثقافتى مزيجا ، وكان ذلك خيرا لى .

لماذا لم يعش مذهب الإمام الليث ؟

قلت كان الإمام الليث بن سعد فقيها كبيرا ويفضله بعض الناس على الإمام مالك ، فلماذا لم يعش مذهبه ولماذا اندرس ولم يبق له أتباع ؟ قال : هنالك سببان لانتشار المذهب وبقائه أولا أن يدون صاحب المذهب مذهبه ويحرره ، ثانيا أن تنتحل هذا المذهب دولة وتقوم بنشره وقد اجتمع هذان السببان للمذهب الحنفى ، فقد حرره ودونه الإمام محمد بن الحسن الشيبانى وكان مذهب القاضى أبى يوسف وكان لا يولى القضاء إلا من كان حنفيا ، أما مذهب الليث بن سعد فلم يقم به بعده من يحفظه وينشره .

وكيف انتشر المذهب الشافعى فى مصر؟

وكان هو المذهب المتبوع السائر فى مصر حتى جاء الإمام الشافعى وكان ذا عقلية جبارة وذكاء باهر ونزل ضيفا عند آل الحكم وتغلب مذهبه على مصر وانتشر ، ولما جاء الفاطميون فى مصر وأسسوا الأزهر كمسجد ضرار لأنه هو المسجد الرابع فى مصر وكان الإمام

الشافعى يدرس فى مسجد الفسطاط ، واضطر الفاطميون أن يمالئوا النزعة السائدة فضموا التدريس للفقه الشافعى إلى درسهم فى فقه الشيعة الذى كان يقوم به الخليفة الفاطمى بنفسه ، ولما قامت دولة الأيوبيين شجعوا تدريس الفقه الشافعى بالأموال والأوقاف حتى كان هو الغالب .

داء العلماء فى كل بلد

ومن بيت الأستاذ عبد الوهاب ذهبنا إلى جمعية الشبان المسلمين ووجدنا هناك جماعة من كبار العلماء وشيوخ الأزهر وهم يبحثون فى تأليف لجنة تضع كتباً فى شرح النظام الإسلامى المالى والسياسى والاجتماعى ، فلم تتفق كلمتهم على شىء وشعرت فى مباحثاتهم بضعف فى التفكير وضعف فى الإرادة وذلك داء العلماء فى كل بلد ،وقد شعرنا بذلك فى علماء بلادنا أيضاً ، وذلك الذى يجعلنا نخاف على مستقبل الدين فى بلاد الإسلام ،فأحوال العالم ووجود اضطراب شديد وقلق عند الناس وسرعة الدوامات التى تدور حولنا تطلب عبقرية وقوة إرادة وصراحة، وذلك لا يوجد فى المعسكر الدينى وحماة العلم والإسلام ،وتأكدت أن الأمة وخصوصاً المنتسبين إلى الدين والعلم قد فقدوا مقداراً كبيراً من المقدرة الاجتماعية والاستعداد للتعاون العلمى ، وأن الأعمال الجليلة لا يقوم بها - والحالة هذه - إلا أفراد ممن ملكت الفكرة أو العقيدة عليهم فكرهم ونشاطهم وهم الذين قاموا بواجبهم من غير انتظار لأحد أو تكليف من أحد .

الخميس ٧/٦/٧٠ هـ — ١٥/ ٣ / ٥١م

زيارة حديقة الحيوانات

ذهبنا إلى حديقة الحيوانات وكان الجو جميلا جدا ، فتنقلنا فى حديقة الحيوانات بين عجائب المخلوقات والحيوانات المفترسة والطيور الجميلة ،ومن أعجب

ما رأينا سبع البحر والإنس الوحشى ، وكثيراً ماتذكرنا قوله تعالى ونحن نمر بالسباع والوحوش : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا » وقوله تعالى : « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » وكان الأستاذ محمد عبد الوهاب البناء قد أخذ معه غذاء يكفى لجماعة كبيرة يشتمل على أنواع الأطعمة وصلينا الظهر وتغدينا على العشب فتمتع بجمال الطبيعة ونظافة الجو ونظافة الهواء ولذة الطعام .

الجمعة ١٣٧٠/٦/٨هـ — ١٩٥١/٣/١٦ م

خطبتى فى قويسنا

سافرنا اليوم مع الشيخ محمد الغزالى إلى قويسنا وصلينا الجمعة وخطبنا الشيخ الغزالى ، وطلب منى إلقاء كلمة وكنت أريد أن أفسر سورة العصر ، فإذا هو يسبقنى إلى تفسيرها ، فأخذت آية مما قرأ الشيخ الغزالى فى الصلاة وهى قوله تعالى ، « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » وشرحت كيف يكون العبد حرباً لربه ، وحذرتهم من أن يكونوا فى حرب مع الله وهى مشاقة أوامر الله و الإباء من إجرائها على النفس ، وقلت قد يكون المسلم مصالحاً مع ربه مادام فى المسجد فإذا خرج منه عاد محاربا لله فتكون نسبة محاربته لله مع صلحه معه ، نسبة وقته الذى يقضيه خارج المسجد بوقته القليل الذى يقضيه فى المسجد ، فلينظر كل أحد ما نصيب المحاربة فى حياته ، فليترك الحرب مع الله وليدخل فى السلم ، والمسلمون لا يستحقون النصر ولا يجلبون إلى أنفسهم الرحمة حتى يدخلوا فى السلم كافة ، وخطب بعدى الشيخ أحمد سليمان العشماوى خطبة حماسية بليغة ذكر فيها أن محنة

الإخوان زادتهم إيماناً وحماسة ونشاطا وقوة والحركة انتشاراً ورسوخا، وسمعت أنه عذب فى السجن كثيراً .

السبت ٩/٦/٧٠ هـ — ١٧/٣/٥١ م

جاء فى الصباح الأستاذ صاوى شعلان، وكلما جاء تجددت ذكرى شاعرنا العظيم محمد إقبال وهبت نفحة من نفحات الهند الإسلامية تلك النفحة التى تحمل معها شذى الإيمان وأريج الحب والحنان ، ومكث الأستاذ ينشدنا قصيدة مولانا الرومى فى زيارة رومى لأمير المؤمنين عمر وسؤاله عن هذه المهابة التى ملكت قلبه وسرها ، وقد نظم الأستاذ صاوى هذه القصيدة بالعربية وأنشدنا إياها وأبدى رغبته فى ترجمة حديثى (من العالم إلى جزيرة العرب ومن الجزيرة إلى العالم) إلى الشعر العربى ، وأهديت إليه نسخا من « اسمعى يامصر » وأبدى استعداده لنقلها كذلك إلى النظم العربى

فى منزل الشيخ حسنين محمد مخلوف

توجهنا فى الساعة الثانية عشرة إلى حلوان فقد دعانا فضيلة الشيخ الأستاذ الكبير حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية سابقا وعضو هيئة كبار العلماء لتناول الغذاء فى منزله العامر بحلوان ، وتفرجنا فى الطريق على القرى والأرياف وكان السفر ممتعا ، وصلنا ووجدنا الشيخ فى انتظارنا فى منزله، فرحب بنا وفرح لقدومنا .

استأذنا فضيلة الشيخ وقد أهدى إلينا مجموعة من رسائله ومنشوراته ومجموعة من مؤلفات والده العظيم الشيخ محمد حسنين مخلوف مدير المعاهد الدينية بالأزهر وعضو كبار العلماء سابقا :

تقليد الأجانب جنون ذو فنون

وخرجنا لزيارة حديقة حلوان وقد دهشت برؤية تماثيل بوذا فى الحديقة وصف من التماثيل ، وقلت لصديقى الكريم أحمد عثمان أى داع لنصب هذه التماثيل فى هذا البلد الإسلامى وقد طهرها الله من هذه الأوثان ؟ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خيراً اهبطوا امصراً ، فقال متهكما : هذه حديقة قد نسقت على طراز الحدائق اليابانية فأراد منشؤها أن تضاهى هذه الحديقة الحدائق اليابانية فى كل شىء ، حتى فى الأوثان وتكون صورة صادقة لها وقد أنفق أسيادنا المصريون آلافا من الجنيهات على هذه التماثيل فلا حول ولا قوة إلا بالله . إن تقليد الأجانب فى الحقيقة جنون ذو فنون .

الاثنين ١١ / ٦ / ٧٠هـ — ١٩ / ٣ / ٥١م

مع سعادة الشيخ محمد صادق المجددى

بعد العصر زارنا الأستاذ عبد الله الكابلى وخرجنا معه لزيارة سعادة الشيخ محمد صادق المجددي سفير أفغانستان واجتمعنا بسعادته فى السفارة الأفغانية بالزمالك وجلسنا معه مجلسا طويلا ، وظل سعادة الشيخ يتكلم معنا فى أمور وصلينا خلفه المغرب وتعرفنا بنجليه الكريمين وسررنا بهذه الزيارة ، فإن سعادته لا يمثل الحكومة الأفغانية فحسب ، بل يمثل ذلك البيت المعظم الذى له منة على على كل مسلم فى الهند ، وتربطنا به روابط دينية وصلات روحية قديمة ، وكان جده الكبير السيد علم الله النقشبندى خليفة السيد آدم النبورى وهو خليفة الإمام الربانى الشيخ أحمد السرهندى صاحب الطريقة المجددية .

الثلاثاء ٧٠/٦/١٢ هـ — ٢٠/٣/٥١ م

مقابلة الأستاذ مصطفى مؤمن

ذهبنا إلي الأستاذ مصطفى مؤمن ، وقد عرفته في دهلى عام ١٩٤٧ وقد جاء يمثل الإخوان المسلمين فى المؤتمر الآسيوى الثقافى ، واجتمعت به مراراً مع الصديق الجليل الأستاذ محمد عمران خان الندوى الأزهرى ، وتعرف بعضنا ببعض ، وكانت لى رغبة في الاجتماع به وسألت عنه فأخبرونى أنه اعتزل الإخوان وأنه يحرر في صحيفة « الزمان » ، وذلك لم يعقنى عن زيارته لأنى كنت أعرف فيه رجلا مؤمنا مثقفا نشيطا صاحب مواهب ، والحياة الإنسانية ذات عقد وتركيب عجيب ، فلا يستطيع الإنسان بسهولة أن يعرف مشاكل الإنسان وتطورات فكره ، وعلى كل فقد اجتمعت به وحيّيا بعضنا بعضا وجددنا ذكريات الأيام الماضية وقلت له بصراحة : أنا أقابل سيادتك بصفة الأستاذ مصطفى مؤمن الذى جاءنا فى الهند يمثل الإخوان المسلمين لا بصفة محرر صحيفة الزمان و . . . و . . . . . وكان لا يزال يتذكر إقامته القصيرة فى دهلى وحوادث تلك الأيام والمجالس التى اجتمعنا فيها وطلب منى حديثا ينشره فى « الزمان » فوعدته به .

الأربعاء ٧٠/٦/٣ هـ — ٢١/٣/٥١ م

فى كلية الشريعة

ذهبنا فى الساعة التاسعة صباحا لزيارة كلية الشريعة . ثم دخلنا فى درس الأصول وكان ، فضيلة الشيخ عبد الله موسى يدرس كتاب « منهاج الوصول فى علم الأصول للأسنوى » وكان يقرر المسئلة ويحاضر بها من غير استعانة بالكتاب ، ولا شك أنه كان قويا بارعا فى محاضرته ، ثم خرجنا من الأزهر بعد ما أخذنا فكرة مجملة عن منهاج التدريس وأسلوبه ، وكانت فكرة لائقة بمقام الأزهر العلمى ولكنها غير لائقة بمقام الأزهر الدينى ، فلم أشعر

بروح دينية ولا لجو دينى يذكرنا بالسلف ويتفق مع حياة العلماء وسيرتهم ؛ ولم نشعر إلا ونحن فى القسم الشرقى فى جامعة مدنية فلا روح الخشوع ولا سكينة العلوم الدينية — القرآن والحديث — ونفحاتها التى يشعر بها الداخل فى مدارسنا الدينية الهندية ؛ أما اللحية فكأن سادتنا علماء الأزهر قد أجمعوا على حلقها.

فى دار العشيرة المحمدية

وذهبنا إلى دار العشيرة المحمدية وخطب الشيخ زكى إبراهيم ثم الحاج جلال حسين ؛ ثم ألقيت خطبة استلفت فيها الحاضرين إلى الخروج إلى الأرياف للدعوة والاتصال بالشعب ، وإلى أن ينظموا رحلات أسبوعية إلى الريف المصرى ، ثم تبعنى الأستاذ عبد العليم ، وخطب خطبة حماسية اعتاد الناس أن يسمعوها وينصرفوا ولا يخلو الخطباء ولا السامعون من هذه التبعة ، فقد تعودوا أن يلقوا خطباً كانت أقل منها تقيم القيامة فى العصور الأولى ، ولا تزال تؤثر تأثيراً كبيراً وتغير الوضع فى بعض الأحيان فى الأمم الحية ، وقد تعودت الجماهير أن تسمع هذه الخطب وتهضمها وتمضى ، فقلت للأستاذ: لا بد أن نصل إلى نتيجة عملية وإني أرى القلوب متأثرة فلا بد أن يعزموا على شيء فطلب الأستاذ منهم توفير وقت للخروج فى يوم الجمعة إلى بعض الأرياف ، فتقرر الخروج فى الجمعة التالية إلى بلد العاصرة ووعد كثير من الحاضرين بالخروج فى هذه الرحلة إن شاء الله .

يوم الخميس ١٤/٦/٧٠ هـ — ٢٢/٣/٥١ م

جاء الأستاذ البهى الخولى فى الساعة العاشرة ومكث ساعة وقرأت له مقالة « الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها » واقترح على ترجمة كتابه : « تذكرة الدعاة » فأبديت رغبتى فى ذلك واستعدادى له

مع طلبة الأزهر

وفى الساعة الرابعة بعد العصر ذهبنا إلى الأخ عبد الخالق وقد سبقنا إليه عدد من طلبة كليات الأزهر ، فألقيت كلمة فى موضوع العناية بتغذية الإيمان وتنميته وعدم استعداد الجو المدنى لذلك وإعراضنا عن هذه الناحية فى التربية . مع أننا لسنا أقل حاجة لذلك من العامة ، وشرحت لهم بعض طرق هذه التربية، منها مطالعة كتب السيرة وأخبار الصحابة رضى الله عنهم ، والخروج من هذا الجو المدنى الفاسد إلى بعض الضواحى مع الطلبة ، والاشتغال بالدعوة إلى الله . وأخبرتهم بأنا خارجون غداً إلى القناطر الخيرية ، ونرحب بمرافقتهم فوعد كلهم بذلك .

من بيت الأخ عبد الخالق توجهنا إلى دار جمعية الشبان المسلمين لزيارة اللواء محمد صالح حرب ولكن لم نجده ، فجلسنا قليلا عند الأستاذ عبد القادر مختار ووجهنا إلى محلنا .

يوم الجمعة ١٥/٦/٧٠ هـ — ٢٣/٣/٥١ م

زيارة القناطر الخيرية

ركبنا سيارة ووصلنا إلى القناطر ، وهنا لحقنا الأستاذ لقمان الهندى شيخ رواق الهنود ، تجولنا فى حدائق القناطر ، وتفرجنا على متنزهاتها ، ومشينا بين أشجارها وأزهارها ، ورأينا نظام القناطر ذلك المشروع العظيم والتنظيم الخطير الذى استطاعت به مصر أن تتمتع بمياه النيل وتسقى بها مزارعها و بساتينها ، وتنظم الرى حسب ضرورتها ، وقد أفاد القائمون على نظام القناطر وإدارتها من ماء النيل ، فسقوا حدائق ذات بهجة ، فأصبحت هذه القطعة كلها حديقة غناء

ولم ندخل فيها إلا وذكرنا كشمير وحدائقها مثل « شالامار » و « نسيم باغ » و « نشاط باغ » ولا شك أن بعض الحدائق هنا لا تقل فى نضارتها وبهجتها عن حدائق كشمير ، إلا أن بعض حدائق كشمير تمتاز بأن لها طبقات ، فهذه الطبقة الأولى من الحديقة وتليها الطبقة الثانية فالثالثة ؛ وكانت هذه الرحلة من غير شك رحلة لطيفة ممتعة يرجع الفضل فيها إلى صديقينا المخلصين الأستاذ البنا والأستاذ المرشدى جزاهما الله على هذه المحبة خير الجزاء .

* * *

وصلت جماعة الطلبة كما تقرر بالأمس ومعهم رهط من أهل قابوب الذين رافقوهم من الطريق ، صلينا الجمعة فى المسجد اللاصق بالمحطة ، وكان الخطيب من الجماعة الشرعية ، ألقى كلمة طيبة مفيدة قبل الصلاة فى معنى التوحيد ، واجتمعوا بعد الجمعة فى هذا المسجد ، وألقيت كلمة قصيرة بعد الصلاة ، وتكلم الأستاذ محمد عبد الوهاب البناء فى جماعتنا فى موضوع التوحيد ونفى الشرك والاستعانة بغير الله ودعائه والاستعانة به وغير ذلك ، فكان له وقع حسن .

في نسكله

وبعد الصلاة توجهنا إلى نسكله وقد سبقنا إليها الأخ عبيد الله والأخ محمد معين ، وتغدينا هناك مع الجماعة ، وهذه القرية تبلغ عدد نفوسها أربعة آلاف أو يزيدون ولأنصار السنة فيها أنصار كثير ، ولها فيها فرع تام وقاعة للمحاضرات ، اجتمعنا فيها مع إخواننا وقد أكرمونا جد الإكرام ، والتفوا حولنا ووجدنا فيهم روحا طيبة ، وبعد العصر ألقيت كلمة وجيزة ذكرت فيها أن نعمة التوحيد أجل نعمة ينعم بها الله على عبد ، وهى النعمة التى حرمها رجال لم نكن أشرف ولا أزكى ولا أقرب إلى الأنبياء منهم ، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء ، فهى نعمة تستحق أكبر شكر ، ومن شكرها القيام بالدعوة إليها ونشرها بين الناس .

السبت ٦/٦/١٣٧٠هـ — ٢٤/٣/١٩٥١م

في مكتب الإرشاد للاخوان

جاء الأستاذ صاوى شعلان وقد ترجم بعض أبيات إقبال التى أمليته إياها قبل اليوم ، وعرضت عليه بعض الأبيات الفارسية من « جاويدنامه » أريد أن أنقلها وأستشهد بها فى محاضرتى يوم الأربعاء فى دار العلوم فكتبها على ورق بآلة الكتابة ، وكان منظراً غريبا فالأستاد مكفوف البصر وكان يكتب كالمبصرين والآلة تشتغل ، فما لبثنا أن رأينا نقوشاً ناتئة على القرطاس ما نراها إلا نقطاً بعضها فوق بعض وبعضها جنب بعض لا نفقه لها معنى ، ولكن الأستاذ يقرأها كما تقرأ صحيفة مكتوبة وأنشدنا الأبيات الفارسية التى أمليناها .

الأحد ١٧/٦/١٣٧٠هـ — ٢٥/٣/١٩٥١م

اشتغلت بإعداد محاضرتى التى سألقيها إن شاء الله فى كلية دار العلوم عن شاعر الإسلام محمد إقبال ، والوقت قليل والعمل طويل والكتب التى استند إليها وآخذ منها لا توجد هنا ، كل ما استطعت أن أحصله ديوان (بانك درا) ومجموع مقالات اسمه « حكمت إقبال » و« شاعر الشرق » باللغة الإنجليزية للأستاذ أنور بيك فاعتمدت على ذاكرتى واقتصرت على هذه الكتب ، و بدأت أكتب ، وأعاننى الله .

مع الشيوخ الشباب

خرجنا بعد الظهر إلى دار العشيرة المحمدية ومن هناك توجهنا إلى منزل الشيخ زكى إبراهيم ، وهو كما وصفه بنفسه برزخ بين مدينة الأحياء ومدينة الأموات ، فهو في آخر القاهرة بعد الأزهر وأول الجبانة بنى هو فيها ، ووجدنا هنا جماعة من الضيوف وتلاهم آخرون وأكثرهم أصحاب الفضيلة أو أصحاب المشيخة

وقد جمع الأستاذ زكى إبراهيم مجموعة طيبة من مشايخ الطرق، وإن كانوا شبانا وبعضهم مثقفون الثقافة الأدبيـة أو الجامعية كالأستاذ التفتازانى شيخ الطريقة التفتازانية، وهو شاب يجمع بين ثقافة الأزهر وثقافة جامعة فؤاد متخرج من كلية الآداب وقد قدم كتابا للدكتوراه .

وقد تذكرت برؤيتهم مشايخ بنجاب الشبان المثقفين المدنيين الذين يجمعون بين المشيخة التى وصلت إليهم بالوراثة من غير كد أو إعداد لها أو تربية روحية وبين الأفندية وقد يجمعون بين المشيخة والوظيفة الرسمية ، وجلسنا بعد الغداء وحضرتنى كلمة فى مسئولية أصحاب الطرق فى هذا العصر وأن قوتهم التجرد من الشهوات والتغلب على إغراء الماديات والزهد فيما عند الناس من مال وجاه، فبذلك وحده يستطيعون أن يحاربوا المادية فى هـذا العصر ويهزموا دعاتها، ويؤدوا رسالتهم الروحية والدينية، أما بتقليد أهل العصر والاندماج فى مجتمعهم والاندفاع وراء التيارات المدنيـة فلا يستطيعون أن يعملوا شيئا ، ولا بد من حركة ونشاط ودعوة وإلا ضاعوا وابتلعتهم المدنية فيمن ابتلعتهم ... إلخ

يوم الثلاثاء ١٩/٦/٧٠ هـ — ٢٧/٣/٥١ م

خرجنا بعد المغرب إلى دار جمعيـة الشبان المسلمين وصادفنا هناك الأديب الكريم سيد قطب فعاتبنا على عدم الاتصال به بعد المرة الأولى وقال قرأت « اسمعى يا مصر » وأرجو أن تسمع ، قلت : إذا سمعتم فقد سمعت مصر ، وكان موعد محاضرة الشيخ أحمد الشرباصى عن كتاب التصوير الفنى فى القرآن لسيد قطب فتناوله بالبحث والتحليل ، وكانت محاضرة فنية دينية علمية .

الأربعاء ٢٠/٦/٧٠ هـ — ٢٨ / ٣/٥١ م

محاضرتى فى دار العلوم عن الدكتور محمد إقبال

بعد صلاة العصر توجهنا إلى دار العلوم و وصلنا قبل الخامسة وجلسنا مع الأستاذ محمد مبروك أستاذ التاريخ الإسلامى فى الدار نتحدث عن تاريخ دار العلوم ومكانتها فى مصر ، وعن دار العلوم وندوة العلماء فى لكهنو ومركزها فى الهند ثم دخلنا فى مدرج على باشا مبارك وهو خاص بالطلبة والمستمعين وقدمنى الأستاذ مبروك ، وافتتحت المحاضرة وكانت تقاطع بتصفيقات حادة وهتافات الإخوان ، وكان عنصر الإخوان بارزاً ومتحمساً ، وكان يظهر أن شعر محمد إقبال والتعليق عليه يصادف هوى فى قلوبهم و يعبر عن شعورهم،وقد أرضت المحاضرة عواطفهم الدينية واستقبلوها بحماسة وتقدير عظيم، وانتهت المحاضرة وعقبها الأستاذ مبروك بكلمة وتلاه طالب بقصيدة وعقب الأستاذ فريد عبد الخالق بكلمة خطابية متحمسة ، ثم جلسنا بعد الصلاة نتحدث عن إقبال وعن الجيل الجديد والعالم الإسلامى ، وشارك فى الحديث الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة فى كلية أصول الدين ، والأستاذ عبد الحكيم عابدين وكيل الإخوان المسلمين ، والأستاذ عمر الدسوقى أستاذ الأدب فى دار العلوم ، والأستاذ فريد عبد الخالق وقد كان الأستاذ عمر الدسوقى من كبار المعجبين بالمحاضرة و بشخصية محمد إقبال وقد فطن لروح المحاضرة وعمادها.قال: إن أكبر ما يميز محمد إقبال عن شعراء عصره هو أنه كان صاحب رسالة وقد استخدم شاعريته لرسالته ، ومع الأسف أن شعراءنا فى هذا العصر ليسوا بأصحاب رسالة ، وله كتاب فى الشعر العربى الحديث.والأستاذ من تلاميذ شيخنا الدكتور تقى الدين الهلالى قرأ عليه فى بون ويوف صديقنا الأستاذ مسعود عالم الندوى وكان من كتاب الفتح من سنة ١٩٢٦م

الخميس ٢١/٦/٧٠ هـ — ٢٩/٣/٥١ م

فى جبهة علماء الأزهر

كان موعدنا الساعة الخامسة مساء اليوم فى جبهة علماء الأزهر للاجتماع بأعضائها ، فذهبنا ، وهناك وجدنا جماعة من كبار علماء الأزهر .

وتقدم فضيلة الشيخ أحمد الشرباصى وحيانى بالنيابة عن الجبهة واقترح على الجبهة الاتصال الثقافى بالهند ومراسلة طلبة الأزهر وطلبة المدارس الهندية الدينية وتنظيم الرحلات الدعوية والنشاط الدينى فى الأرياف والقرى ، وقمت فرددت على تحيته واستلفت نظر علماء الأزهر إلى نشر الدعوة الدينية خارج الأزهر وتهيئة الشعب لقبول مبادىء الدين وتهيئة البيئة الدينية . وقلت . يعتقد كثير من الناس أن أصول المدارس فى داخلها ، وأنا أعتقد أنها فى خارج المدارس وهى فى نفوس الشعب فإذا كانت حية تستمد غذاءها ورواءها من التربة كانت المدارس مخصبة مخضرة ، وإذا ذويت وماتت وانقطع منها الغذاء والرى سرى الذبول فى عروق المدرسة وفروعها وأوراقها ولم يمكن إعادة الحياة والخصب إليها عن طرق صناعية ، وإذا كان فى الشعب إقبال على الدين واهتمام به وشعور بالحاجة إلى العلم كان الإقبال على المدارس بطبيعة الحال ، وإذا انصرف الشعب عن الدين وزهد فيه تبعه الانصراف عن المدارس والزهد فيها بطريق الأولى ، فالمهم إيجاد الوعى الدينى والشعور بالحاجة إلى العلم فى العامة ، فإذا وجد هذا فصدقوا أن الشعب لا يصرفه عن المدارس شىء ، وأن المدارس تنال منه كل مساعدة وتشجيع وإقبال وعناية ، وإلا أصبحت جزراً منقطعة ويثور عليها الشعب ويعارضها ، والأمر التالى هو إقبال الأزهر على البحوث الإسلامية والعناية بتربيتها وتزويدها بالثقافة الإسلامية والتربية الخلقية والدينية

والسهر على تعليمها وتقويمها الخلق ، فإن هذه البعوث تقصد مصر لأجل الأزهر من أنحاء بعيدة ومن الأقطار الإسلامية وغير الإسلامية ، وأمامها قوى في أنها تنال كل إرشاد وتوجيه من الأزهر الشريف أكبر جامعة دينية في العالم وفي مصر الإسلامية مركز الدين والعلم ثم لا تتحقق آمالها ، وها نحن نرى شباب العالم العربي والعالم الإسلامي يهيم على وجهه ويسرح ويتمشى من غير شغل ولا يجد موجها ولا مربياً ، فهذه مأساة دينية كبيرة ووصمة عار على الأزهر ، ولو أحسن الأزهر وعلماؤه توجيه هذا الشباب وانتهزوا الفرصة لكان هذا حقلا كبيرا لدعوتهم وعملا عظيما .

وقد نالت هذه الكلمة تأييد أعضاء الجبهة وأبدوا موافقتهم ودراستهم لهذه الاقتراحات ، وتقرر عود المجلس إلى النظر في هذه الاقتراحات في جلسته يوم الجمعة .

وللجبهة مواقف محمودة في الذب عن الدين والرد على أعمال الملحدين والسعي في تحفيظ القرآن ، وقد أظهرت نشاطها في ذم كتاب « الفن القصصي في القرآن » واستنكار تبجح الفتيات وتمردهن إلى غير ذلك .

وكان في هذا الاجتماع رئيس الجبهة فضيلة الشيخ محمد الشربيني عضو جماعة كبار العلماء والشيخ ابراهيم النجار مدرس بكلية أصول الدين ، والأستاذ أحمد الشايب أستاذ كلية الآداب في جامعة فؤاد والشيخ محمود خليفة والشيخ يوسف شلبي والشيخ أحمد فريد والأساتذة حسن وهدان ، ومحمد المتريس وأبو زيد شلبي والدكتور محمد يوسف موسى والشيخ أحمد أحمد علي والأستاذ صالح بكير والشيخ عبد العظيم بركة .

الجمعة ٢٢/٦/٧٠ هـ — ٣٠/٣/٥١ م

فى العزيزية

سافرنا مع فضيلة الشيخ محمد الغزالى إلى بنها حيث قصدنا دار الحاج عبد الله النبراوي ومن بنها ركبنا قطار العزيزية ووجدنا جماعة كبيرة من الإخوان فى انتظارنا وصلى الشيخ محمد الغزالى وخطب وخطبت كالعادة، وجلسنا فى بيت من بيوت الحاج عبد الله عامر وحضر الغداء، وقدم إلى بعض الحاضرين بعض الأسئلة عن الهند فرددت عليها ، ثم قمنا فى المساء إلى المحطة والجمع لايفارقنا، فتذكرت أيام حركة الخلافة فى الهند ولم يتركونا إلا عند تحرك القطار فانصرفوا مودعين ، وقد تركوا فى نفوسنا أثراً طيباً وصورة خالدة لحبهم و إخلاصهم .

يوم السبت ٢٣/٦/٧٠ هـ — ٣١/٣/٥١ م

مع الأستاذ سيد قطب

ذهبنا لزيارة سيد قطب وتحدث عن محاضرة « محمد إقبال شاعر الإسلام » وقال: سررت بهذه المحاضرة كثيراً وقد رأيت بين أفكار محمد إقبال و بين وجهة نظري توافقا غريبا قد تخطى المعانى إلى الكلمات خصوصا فى ما يخص الوجدان والروح ، وإنى لشديد الشوق الى دراسة إقبال ونصوصه وقد أرجأت لذلك تأليف « لحظات مع الخالدين » وأرجو أن تزودونى بالكتب عن إقبال ودواوين شعره فوعدته بذلك، ورجانى أن أواصل المحاضرات قبل مغادرتى لمصر .

قلت للأستاذ : أليست عندكم فكرة فى زيارة الهند والباكستان ؟ قال بلى وعندى باعثان إلى هذه الزيارة الباعث الدينى والباعث الطبعى ، أما الباعث الدينى فواضح فإنى أريد أن أزور هذه الأمة الإسلامية العظيمة ، وأما الباعث الطبعى فلأن جدنا السادس كان هندياً وهو الفقير عبيد الله ولا تزال السحنة

الهندية مورونة فى أسرتنا، وسررنا بذلك كثيراً وعزّ زنارغبته فى هذه الرحلة؛ وأهدى إلى الأستاذ نسخاً مما بقى من مؤلفاته «النقد الأدبى» و «كتب وشخصيات» و «طفل من القرية» و «أشواك» وأهدى إلى زملائى «العدالة الاجتماعية فى الإسلام» و «التصوير الفنى فى القرآن» و «مشاهد القيامة فى القرآن» وقد كان أهدى إلى هذه الكتب فى الزيارة الأولى .

الأحد ٢٤/٦/٧٠هـ — ١/٤/٥١م

حديث إلى طلبة الأزهر الأتراك

كنا طلبنا من الأخ ضياء الدين علوى التركى وهو شقيق صديقنا على علوى أفندى المدنى أن يعقد اجتماعاً للطلبة الأتراك فى الأزهر لنتحدث إليهم ونتعرف بهم ، فعقد اجتماعاً بعد المغرب فى لوكاندة بغداد حضرته مجموعة طيبة من الطلبة الأتراك، وسررنا بالاجتماع بهم والتعرف إليهم ، ونشطت للكلام لأنى وجدت الحيوية فيهم والنشاط ، وتمثل لى ماضيهم الإسلامى المجيد وحسنات أسلافهم وأعمالهم الإسلامية الخالدة ، ثم إنى رأيت هذه الشبيبة لهذه الأمة العظيمة ضائعة مهملة فى مصر، لا تلقى فيها مشجعاً ولا مساعداً علمياً ولا موجهاً دينياً فهم كزرع كريم لا يتعهده أحد بالسقى والحراسة فتعبث فيه الحيوانات .

افتتحت الكلام وذكرت صلة مسلمى الهند الروحية بالأتراك وحبهم فيهم وما تحملوه فى سبيلهم من أذى وعذاب فى عهد حركة الخلافة ، وذكرت آثار أسلافهم وجلائل أعمالهم فى تاريخ الإسلام ، وقلت لهم : إن مسئوليتكم أيها الطلبة عظيمة ضخمة لا أعرف لشباب إسلامى هذه المسئولية ، وستواجهون إذا رجعتم إلى بلادكم مشاكل معقدة ومسائل خطيرة لا أظن شباباً يواجهها فى قطر

من الأقطار الإسلامية ، ومهمتكم فى مصر كذلك عظيمة ومدة وجودكم فيها ودراستكم الدين فرصة فريدة لا تجدون أحسن منها لإعداد النفوس وتربيتها وفهم الإسلام الصحيح ، ولكن ثقوا كذلك بأنه لا يعينكم فيها أحد ولا يعينكم إلا أنفسكم فانصحوا لأنفسكم وكونوا لها أوفياء مخلصين، واعلموا أن كل ساعة تنفقونها فى هذه البلاد مجدية على أمتكم و بلادكم، و إنما تنفقونها من رصيد أمتكم فدققوا فى إنفاقها وتحرزوا من إتلافها، واتقوا الله فى أمة ابتعثتكم ووضعت ثقتها فيكم وعقدت بكم الآمال، ثم ذكرت لهم كيف ينتهزون هذه الفرصة، وكيف يفيدون من هذا الوقت، فذكرت لهم توجيهات ونصائح منها أن أول مهمتكم أن تفهموا الإسلام فهما صحيحاً والسبيل إلى ذلك القرآن والسنة والسيرة النبوية ، وذكرت لهم طريق تلاوة القرآن والتدبر فيه فلا يقرأونه إلا وهم يعتقدون أنه أنزل جديداً وأنه أنزل لهم. قلت: و بذلك تستطيعون أن تستاهموا القرآن وتتذوقوه. ثم الاعتناء بالتربية الروحية والخلقية والمحافظة على الفرائض والتحرز من التحلل. والتجنب عن ضياع الأوقات والاشتغال بما لا يعنى ، ثم لا بد لكم من أن تفكروا دائماً كيف تخدمون بلادكم من الناحية الدينية إذا رجعتم إليها وتستعدون لها . ومن وسائل هذا الاستعداد دراسة الدعوة الإسلامية والحركات الدينية فى مختلف الأقطار الإسلامية والاطلاع على تاريخ المجددين الدينيين ومشاريع التعليم وأساليب الدعوة والتمرن عليها فى مدة إقامتكم هنا ، وسوف أشرح إن شاء الله فى الاجتماع القابل بعض الحركات الدينية فى بعض البلاد الإسلامية ، ثم أشرت عليهم بمطالعة بعض الكتب التى تشرح الفكرة الاسلامية وتبعث الروح الديني وتعد للتفكير الإسلامى السليم ومواجهة المسائل التى حدثت فى هذا العصر.

وعلق طالب تركى اسمه على أرسلان تبدو على وجهه آثار النجابة والذكاء

على كلتي بلغته التركية ، وكنا جميعاً مسرورين بهذا الاجتماع وياليته استمر وتعدى إلى جاليات أخرى كالسودانيين والاريتريين والمغاربة والفلسطينيين وغيرهم ، فإني أعتقد أن الدراسة وحدها لا تكفي أبداً حتى تكون معها رسالة وفكرة وغاية وروح وتوجيه فكري ديني ، ولا يمكن ذلك إلا عن طريق هذه الاجتماعات غير الرسمية أو الأشخاص الذين يتطوعون لهذه الخدمة والدعوة ، ولا أظن الأزهر بما هو فيه من مسائل وشواغل يتفرغ لهذا العمل .

الثلاثاء ٢٦/٦/٧٠ هـ — ٣/٤/١٩٥١ م

مقابلة عبد الرحمن عزام باشا

مر بنا الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب في الصباح وأخبرنا بأنه حدد موعداً مع معالي عبد الرحمن عزام باشا للمقابلة اليوم الساعة الثانية عشر ظهراً ، وهكذا كان ، فتوجهنا إلى الإدارة في دار الجامعة ولم يخبره أحد بوجودي في الإدارة ، وعلى وشك انتهاء الميعاد المحدد أخبره أحد الموظفين فطلبني واعتذر عن عدم علمه بوجودي وقال : إنه على موعد مع معالي صلاح الدين بك وزير الخارجية ، فيريد مني موعداً آخر يتسع للكلام والجلوس فوعدته بذلك ، وأهديت إليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم » والمؤلفات الصغيرة .

الأربعاء ٢٧/٦/٧٠ هـ — ٤/٤/٥١ م

في اجتماع الطلبة الفلسطينيين

كنت قد رجوت الأخ ياسين الشريف أن يعقد اجتماعاً للفلسطينيين خاصة فانتهز فرصة اجتماعهم في الحفلة الأسبوعية لناديهم ، وطلب مني أن أحضره فحضرت هذا الاجتماع وكانت غير نشيط للفتور الذي كنت أشعر به ، ومما قلت : إن

انصر الله أسباباً معلومة مذكورة فى القرآن ، ومن أهم أسباب هذا النصر الإيمان والإخلاص فى إعلاء كلمة الله : « ولينصرن الله من ينصره » ولا بد للجهاد والحركة من الإيمان والاحتساب ، ولا يقصد إلا رضا الله وامتثال أمره .

انتقادى لزعماء المسلمين

ومع الأسف قد تجرد أكثر زعمائنا وأبطالنا وقادة الحركات السياسية والحزبية من هذا الروح والفكر ، وتشبعوا بالمادية والمصالح الشخصية أو الروح الوطني والقومى ، ودرسوا تاريخ الحركات السياسية والانقلابات فى أوربا فحاولوا أن يقلدوها ويعيدوها فى الأقطار الإسلامية ، واجتهدوا في تطبيقها فى ميدان الجهاد الإسلامى فوكلهم الله إلى نفوسهم وخذلهم ، فلا بد من تجديد الروح الدينى واستحضار الثواب والفضائل حتى نستحق من الله النصر والتوفيق .

كيف ننقذ فلسطين ؟

وقلت لهم : كونوا على ثقة بأن الدول والشعوب لا تنصركم ولا تنقذ فلسطين ، إنما تنصرون أنفسكم إذا صدقت نفوسكم وصحت عزائمكم ، وملكت فلسطين عليكم مشاعركم وتفكيركم وشهواتكم ، وإنما مثلكم ومثل الدول والشعوب الأخرى كمثل الكلب والغزال . قال له الكلب : لماذا لا أدركك وأنا شديد الجرى عداء ؟ قال . لأنك تعدو لسيدك وأنا أعدو لنفسى ! فهذه الدول لا تستطيع أن تكون جادة فى مسألة فلسطين مثل ما يمكنكم ، فربوا أنفسكم وأحسنوا القيام عليها حتى تنقذوا وطنكم العزيز وتردوه إلى الإسلام والمسلمين .

وعقب فتحى البلعاوى وهو طالب بكلية اللغة العربية على هذه الكلمة وألقى خطبة حماسية بليغة .

الخميس ٢٨ / ٦ / ٧٠ هـ — ٥ / ٤ / ٥١ م

مع الطلبة الأتراك

وصلنا بعد الساعة السابعة إلى لوكاندة بغداد حيث تقرر اجتماع الطلبة الأتراك، وانتظرنا قليلا حتى تكامل الجمع فتكلمت وشرحت لهم طريق الدعوة بعد رجوعهم إلى بلادهم، ونصحت لهم بالمبادرة إلى الدعوة على إثر وصولهم إلى بلادهم قبل أن تشغلهم تكاليف الحياة أو تبتلعهم دعوة أخرى أو جهود في ميدان آخر، وأنه لابد لهم من الجمع بين الاتصال بالشعب والجمهور عن طريق الدعوة والإرشاد.

الجمع بين الاتصال بالجمهور والاتصال بالطبقة المثقفة

ووصفت لهم الدعوة الدينية في الهند وأساليبها والرحلات الأسبوعية والشهرية إلى القرى والمدن، وفائدة الاتصال بطلبة الكليات والجامعات والطبقة المثقفة عن طريق المقابلات الشخصية والنوادي الأدبية والعلمية وعن طريق النشرات الدينية والمحاضرات التي تبث فيهم روح الدين وتوجه عقولهم توجيها دينيا، وذكرت لهم ما لهذه الطبقة من أهمية ونفوذ، وما جر ويجر على الإسلام والأمة إهمال هذه الشبيبة والإعراض عن توجيهها الديني وتربيتها الإسلامية من بلاء وشقاء، وذكرت طرق الاتصال بهم والنفوذ في عقولهم ونفوسهم، وما يتطلب ذلك من استعداد ومؤهلات ودراسة ومطالعات، وثقافة ومعلومات، وعزمت عليهم الجمع بين هاتين الطبقتين وأن لابد من الاستعداد والجهاد في سبيله حتى تتفادى بلادهم العزيزة ما أصيبت به في الماضي من فصل الدين عن السياسة والعداء بين المتدينين والمتمدينين وسحب الدين ورجاله من ميدان الحياة واتجاه الدولة الاتجاه اللاديني.

وقيد الأخ ضياء الدين علوى التركى النقط البارزة فى الخطبة ووعد بترجمتها إلى اللغة التركية و إلقائها فى الاجتماع القابل ، وعلق على هذه المحاضرة الأخ على أرسلان التركى، وقابلها جميع الطلبة بسرور عظيم و إخلاص وترحيب كبير .

الجمعة ٢٩ / ٦ / ٧٠ هـ — ٦/٤/٥١ م

جولة فى الريف

سافرنا إلى الحامول وقصدنا بلد العامرة نمشى بين الحقول والمزارع الخضراء والجو لطيف والهواء نقى منعش، فكانت رحلة ممتعة ، ولم نشعر إلا وكأننا فى قرية جميلة من قرى الهند ، وقصدنا المسجد وصلى بنا الأستاذ زكى إبراهيم وخطب خطبة الجمعة ، وألقيت بعد الصلاة كلمة،وقصدنا محطة الحامول يشيعنا جمع كبير من أهل العامرة وشبانها بطوله، وركبنا القطار إلى مصر ووصلنا بين المغرب والعشاء.

السبت غرة رجب ٣٧ هـ — ٧/٤/٥١ م

فى اتحاد أندونوسيا

كان الأخ الشيخ عبد الله قد اتفق مع الأستاذ ذو الكفل محمد الأندونوسى على عقد اجتماع لزملائه الأندونوسيين فى دار اتحاد أندونوسيا ألقى فيه كلمة خاصة بالأندونوسيين ، وقصدنا دار الاتحاد فى ميدان لاظوغلى ، واستقبلنا هناك الأستاذ ذو الكفل و زملاؤه،وما زلت من مدة طويلة معجباً بنشاط إخواننا الأندونوسيين وذكائهم ، وكان منهم عندنا عدد من الطلبة فى دار العلوم فى لكهنو ، يمتازون بنشاطهم واجتهادهم و رزانتهم ، ولا أزال أذكر الطالب النجيب الأستاذ محمد عدنان الندوى من سماترا . فكان من خيرة من أفاد من دراسته فى مدرستنا وأقام في الهند وقد درس الأردية ودرس شعر إقبال ، وكتب عن الهند وثقافتها الإسلامية .

دور الشباب فى توجيه البلاد الإسلامى

جلسنا قليلا فى غرفة من دار الاتحاد وتعرفنا بالإخوان وأكثرهم طلبة الأزهر ، ثم حضرنا فى قاعة المحاضرات وقدمني شاب من طلبة كلية الحقوق فى جامعة فؤاد وهو أندونيسى مولود فى القاهرة ، ولغته عربية فصيحة ، ثم تقدمت وألقيت كلمة تليق بهذا المقام ، وتتفق مع عقيدتى القديمة ودراستى وتجربتى ، فقلت لهم إن دولة أندونيسيا الوليدة محط أنظار المسلمين الآن ، وهى تشارك دولة باكستان فى الأهمية والآمال الإسلامية ، ولو وفقت هاتان الدولتان الجديدتان القويتان ، لمثلتا دوراً عظيما في التاريخ ، وأدتا رسالة الإسلام فى العصر الحديث ولكن ذلك يتوقف على توجيه المعارف توجيها إسلامياً وسبك التعليم فى البلدين سبكا جديداً واقتناع رجال الحكم والتعليم برسالة الإسلام وإيمانهم بها وتشبعهم بروحها واتجاههم بالدولة ووسائلها والشعب وقواه إلى الحياة الإسلامية والحكم الإسلامى ، وهنالك تقع المسئولية على أكتافكم أيها الشباب الأندونيسيون، فإن أحسنتم هضم تعاليم الإسلام وأحسنتم تمثيلها فى بلادكم، واتصلتم برجال الحكومة وموجهى البلاد ورجال المعارف والطبقة المثقفة اتصالا وثيقا متينا وأثرتم فى عقولهم تأثيرا حسناً،وتملكتم زمام التعليم والثقافة والأدب وكل ما يؤثر فى عقول الناشئة ونفوسها فى بلادكم فأخضعتموه لرسالة الإسلام وجعلتموه أداة ووسيلة للتوجيه الإسلامى والتربية الصحيحة،واستطعتم أن تتسربوا فى عقلية البلاد وأدبها وصحافتها بذكائكم ومهارتكم ورقة أدبكم وشخصيتكم العلمية فتتجه هذه البلاد العظيمة اتجاهاً إسلامياً وتخدم الإسلام خدمة عظيمة، أما إذا قصرتم فى الاستعداد العلمى والروحي وأداء رسالتكم والاتصال بالشعب ورجال الحكومة والتعليم والنفوذ فى عقليتهم وتزعم البلاد التعليمي والأدبى فلا ينفعنا ولا ينفع الإسلام قيام هذه الدولة نفعاً كبيراً، فليس الشأن فى وجود دول وقيامها وإنما

الشأن فى تنظيمها على أساس الدين وحسن تصرفها وحسن تمثيلها للاسلام .

- الأحد ٦ / ٧ / ٧٠ هـ - ٨ / ٤ / ٥١ م

رحلة إلى المحلة الكبرى

حضر الأستاذ عبد الرحمن جانو وصاحبنا إلى المحلة الكبرى وكان قد اتصل بصديقه الدكتور سعيد طبيب الأسنان وعضو الجمعية الشرعية العامل ورئيسها فى المحلة بالتليفون من طنطا ، وأخبره بقدومنا فاستقبلنا مع أصحابه وصلينا المغرب في مسجد الجمعية ، وذهبنا إلى بيته حيث تناولنا العشاء ، ورجع الأستاذ جانو على أثر ذلك إلى مصر وصلينا العشاء فى مسجد الجمعة وصلى الدكتور محمد سعيد رئيس الجمعية فى المحلة ومضيفنا ، فكانت أطول صلاة صليناها فى حياتنا ، وخطبت فى الناس واقتصرت على بيان الدعوة التى قمنا بها في الهند وما أثمرت من ثمرات ودعوت الحاضرين إلى القيام بهذه الدعوة في المحلة والخروج إلى الأرياف والقرى وكان للكلمة ، والحمد لله وحده ، أثر حسن ؛ وكأن الإخوان الشرعيين كانوا متعطشين إلى دعوة عملية وتوجيه عملى ، ورحب الدكتور بهذه الدعوة وحدث فى هذا الاجتماع ما كدر الصفو قليلا ، فقد حضره بعض الإخوان المسلمين وتأثروا لبعض الكلمات فى أثناء كلامى فهتفوا هتافهم المعروف ، فثار الدكتور محمد سعيد وأخذته حدة .

الاثنين ٣ / ٧ / ٧٠ هـ - ٩ / ٤ / ٥١ م

صلينا صلاة الفجر فى مسجد الجمعية وطلب منى الدكتور أن ألقى درسا فامتثلت أمره ، وبعد الدرس صلى الحاضرون ركعتى الإشراق ثم تريضوا في المسجد ، ويظهر أن الدكتور نشيط جدا فى عمله ، ولعل فرع المحلة الكبرى بفضل رئيسه النشيط أنشط فروع الجمعية الشرعية فى مصر وأعمالها ، وذلك يرجع دائما إلى

طبيعة رؤساء الجمعيات وأعضائها العاملين، فإذا وجدت شخصية مؤثرة عاملة نشيطة في جماعة كانت الجماعة كلها نشيطة وعاملة ، وإذا كانت عكس ذلك كانت النتيجة بالعكس .

وبعد العصر ألقيت درساً فى حفلة السيدات ، ومن خصائصي أنى لا أحسن الخطابة المنبرية يوم الجمعة والخطابة فى اجتماعات النساء ، وكان يتخلل المجلس التشويش وحديث السيدات وبكاء الأطفال وذلك طابع المجالس النسوية الذى لا يخلو منه مجلس من مجالسهن .

وصلينا المغرب فى مسجد الجمعية وخطبت خطبة وجيزة ، وكانت عملية أيضا ومقتصرة على أصول الدعوة وأساليبها وتجارب الهند، ورجعنا إلى القاهرة .

الثلاثاء ٥ / ٧ / ٧٠ هـ — ١٠/٤/٥١ م

محاضرة فى كلية الآداب

كان اليوم موعد إلقاء محاضرتى فى كلية الآداب فى جامعة فؤاد الأول، وكان موعد الحفلة الساعة الثانية عشرة، ولعل القائمين بأمر الحفلة حددوا هذا الموعد ليشارك الطلبة في هذه الحفلة بعد انتهاء الدروس فى الجامعة، مع أنه وقت السآمة والإعياء من الدروس ويصادف وقت الغداء أيضاً .

دخلنا فى مدرج المرحوم مصطفى عبد الرازق وهو قاعة واسعة جداً، ورأيت عدداً كبيراً من الطلبة والضيوف، وجلست على منصة المحاضرات مع خطباء اليوم وهم الدكتور عثمان أمين أستاذ كلية الآداب والدكتور محمد محمود الصياد والأستاذ عبد المنعم السكرى وحضر معالى محمد علوبه باشا وسعادة عبد الستار سيت سفير الباكستان فى مصر مع آخرين من المستمعين، وحضر عدد كبير من طالبات الجامعة

وجلسن مع الطلبة جنباً لجنب، وتقدم الدكتور عثمان أمين وألقى كلمته عن الدكتور محمد إقبال وكانت مكتوبة ، وتلاه الدكتور محمد محمود الصياد وقوبلت كلمته التي كان يلقيها شفهيا بالهتافات والاستحسان .

عدم نشاط الطلبة لسماع المحاضرة

وتبعه الأستاذ عبد المنعم الكرمى ، وقد تسربت السآمة ـ التى لا تحتملها الشبيبة اليوم ـ إلى النفوس ، وبدأ الجوع يساورهم ، فأبدوا رغبتهم فى اقتضاب هذه الكلمة والانتهاء منها سريعاً ، وكان دورى بعد الأستاذ الكرمى ، وكان موقفى حرجاً جداً ، لقد عيل صبر الطلبة ـ ورصيده دائماً قليل وسريع النفاد عند الشباب المثقف ـ ثم إنى غريب لا يعرفوننى ، ومظهرى لا يلائم ذوقهم ولا يبعث فيهم الإجلال ، وقد قصر من قدمنى إلى المستمعين فلم يذكر اسمى كاملا ، ولم ينسبنى إلى بلدى حتي آخذ نصيبى من احترام الضيوف الأجانب والاستماع إليهم ، ثم كانت الأفلام السينمائية عن الدولة الباكستانية ستعرض بعد محاضرتى فقمت حائلا بينهم و بين ما يشتهون من التمتع برؤية الأفلام ، افتتحت المحاضرة بعرض حياة الدكتور محمد إقبال فطلب منى الدكتور عثمن أمين أن أطوى هذا الفصل وآخذ فى الموضوع فافتتحت المحاضرة وأنا منكسر الخاطر ، فما مضيت قليلا حتى تلقيت منه إشارة الاقتضاب وكان يطلع الضجر فى وجوه الطلبة ويسمع همساتهم ، ومضيت فى المحاضرة طمعاً فى أن تشغل المستمعين وتثير فيهم الذوق والإعجاب ، فقد كنت واثقاً بما اشتملت عليه المحاضرة من معان سامية ومادة غزيرة ، وقلت مخاطباً للحاضرين: إنى ضيفكم وحضرت بدعوتكم ، فأرجو أن تعيرونى دقائق حتى أستطيع أن ألقى هذه المحاضرة ، ولكنى وجدت أن هذه الكلمة أيضاً لم تصادف آذاناً صاغية، وبجانبى المشرف على هذه الحفلة يطالبنى بالانتهاء من هذه المهمة التى لا تلقى الترحيب ،ويأتيني آت فيخبرني ان السيد

إلطاف حسين محرر جريدة « الدون » الباكستانية وهو عضو الوفد الصحافي سيخطب، ونفد صبري فجلست وأنا منكسر الخاطر متهدم الأعصاب ثائر الفكر، فقد منيت من الإعراض والانصراف بما لم أعرفه طول عمري ، وقبل أن تعرض الأفلام خرجت مع جماعتي وتبعني الأستاذ عبد الحكيم عابدين ، وجاء على أثري الشيخ عبد الوهاب بك خلاف ، فاعتذر إلى فوزنت الخطب وقلت لا بأس وأظهرت التجلد ، وسمعت بعض الناس يقولون : إن هذه المعاملة القاسية كانت بإيعاز الطلبة المسيحيين، لأن المحاضرة كانت صريحة جداً في الإشادة بالمسلم ، وقد وردت فيها بعض عبارات شائكة لغير المسلمين مثل قول محمد إقبال: « إنك أيها المسلم حق وحدك ، وكل ما عداك سراب خادع ودرهم زائف » إلى غير ذلك . وأظن أن أسباب هذا الحادث كانت طبيعية تافهة ترجع إلى سوء التقدير في تحديد الموعد ، وكون المحاضرة يغلب عليها الطابع العلمي ، وكل ما يدعو هؤلاء الشبان إلى شيء من إجهاد الفكر بغيض ثقيل ، وعلى كل فقد انتهى هذا الفصل من الرواية وقد تلقيت عنه دروساً نافعة و إن كانت قاسية قليلا ، أدعو الله أن ينفعني بها .

الأربعاء ٥ / ٧ / ٧٠ هـ — ١١/٤/٥١م

دار المنار وصاحبها

كنا اتفقنا مع صديقنا الشيخ أحمد الشرباصي على زيارة دار الهلال اليوم وتناول الغداء في بيته ، واجتمعنا عند جامع السيدة زينب ، وقصدنا دار الهلال ومررنا في طريقنا بدار المنار فتذكرت صاحبها العظيم ووقفت عندها وقلت للشيخ الشرباصي :

ما في وقوفك ساعة من باس　　　تقضى حقوق الأربع الأدراس

ودخلنا مكتبة المنار وتجولنا قليلا فى مطبوعاتها :

زيارة دار الهلال ووصفها

ودخلنا دار الهلال ، وهاك وصف هذه الدار وهذه الزيارة الممتعة وهى بقلم صديقنا الفاضل الشيخ أحمد الشرباصى قال : « استقبلنا في دار الهلال الأستاذ خليل جرجس خليل مندوبا من الدار ، ليطوف معنا على أرجائها ورحب بنا كل الترحيب ، وجلسنا قليلا في البهو الكبير الفسيح فى الطابق الأول من دار الهلال الهائلة ، وفى هذا البهو يوجد مكتب الاستعلامات واستراحة الزائرين كما توجد فيه منافذ لأقسام التحرير والاشتراكات وغير ذلك ، وبدأنا بقسم « جمع الحروف » فى الدار ، فرأينا هناك طريقتين للجمع ، الأولى هى طريقة جمع الحروف من الصناديق وتكوين الكلمات ثم السطور منها ، وهى العادة القديمة الشائعة ، والثانية وهى طريقة صب الحروف بسرعة من الرصاص المذاب بوساطة « ماكينة » ضخمة معقدة الأجزاء ، ويكفى هنا أن يضغط العامل على زر خاص بالحرف فيصب ثم غيره وغيره هكذا ، والآلة تكوّن من نفسها الكلمات والسطور ، وترتب الحروف تباعا بنفسها ، والآلة تسمى اصطلاحيا « ماكينة الانترتيب » ثم انتقلنا إلى قسم « البروفات » ، أى تجارب الطباعة التى تؤخذ أولا للتأكد من صحة المجموع ، وتصحيح الأخطاء التى قد تكون وقعت من العامل ، فرأينا أيضاً لهذه التجارب طريقتين : الطريقة الأولى تؤخذ بوساطة الورق العادي ثم تراجع وتصحح ، والثانية تؤخذ بوساطة الورق الحساس جداً اللامع الشفاف ويسمى : « السلوفان » والطريقة الأخيرة نافعة فى طريقة الطبع بوساطة الأسطوانة النحاسية التى يطبع عليها ما يكون على ورق « السلوفان » بطرق كيماوية خاصة ، ثم تدار لفات الورق على هذه الأسطوانة ، فيُطبع على الورق ما على الأسطوانة .

ثم انتقلنا إلى قسم التصوير ، فرأينا كيف تؤخذ الصور بالأحجام المختلفة والأوضاع المتعددة ثم ترتب كل صورة فى مكانها، ثم تنقل الصور إلى قسم (الرتوش) وهو قسم الإصلاح والتزيين فى الصور ، ومهمته أن يصلح ما قد يكون فى الصورة من عيب أو نقص ، وقد يدخل عليها أشياء من التزيين والتحسين ، وقد يلونها بالألوان الطبيعية حتى تخرج الصورة مطابقة للواقع، ولهم فى ذلك وسائل علمية مختلفة من تعدد أصول الصورة وتعدد طبعها وتتابع ألوان الحبر عليها أثناء طبعها وهكذا.

وشاهدنا كذلك الإسطوانات النحاسية ، وقد نقشت عليها السطور والصفحات مهيئة لإدخالها فى آلة الطباعة ، وشاهدنا هذه الأسطوانات بعد انتهاء الطبع عليها، وهى تطهر بمواد كيماوية خاصة ليعاد استعمالها من جديد .

وشاهدنا آلة الطباعة الهائلة المدهشة ، التى تسمى آلة (الروتوغرافور) وهى آلة ضخمة الشكل كبيرة الحجم جداً، فيها أدوات وأجهزة تمكنها أن تطبع المجلة ذات الصفحات التى تعد بالعشرات وتلونها وتطويها وتخرجها أعداداً كاملة، وذلك بأن تركب فى أحد طرفيها لفتان من الورق لتخرج هاتان اللفتان من الطرف الآخر مجلة كاملة مطبوعة بالألوان بمعدل ثمانية آلاف نسخة فى الساعة ، ورأينا كذلك أقسام التجليد والتسليك وقص الزوائد من الأعداد ، وكذلك قسم الإرسال الذى يتولى وضع الأعداد فى غلافات المشتركين لترسل إليهم بالبريد .

وعلمنا أثناء زيارتنا أن دار الهلال تخرج مجلات المصور والاثنين والهلال باللغة العربية ، وكذلك مجلة « إيماج » باللغة الفرنسية ، وتخرج مجلة سينمائيـة تسمى « الكواكب » كما تخرج روايات الهلال الشهرية » اهـ .

هذا ما كتبه الأستاذ الشرباصى عن هذه الزيارة الممتعة لدار الهلال ، وقد سألت العمال عن عدد نسخ (المصور) المطبوعة كل أسبوع، فأخبرونى أنها تطبع

مائة ألف وخمسة وعشرين ألف نسخة ، ولم أزل طوال زيارتي لهذه الدار ومشاهدة نشاطها الضخم الهائل ألاحظ وأتأسف على أن هذا الصرح الطباعي والأدبي الهائل والمؤسسة العظيمة التي كرست هـذه الجهود الكبيرة والأموال الطائلة في سبيل الطباعة والنشر لا تحمل رسالة ولا دعوة ، وإنما هي تجارة وارتزاق على حساب أخلاق الشعب وإيمانه ، فتنشر الصور العارية الخليعة والروايات الغرامية المثيرة للعواطف والمقالات التي لا تعود على القراء بفائدة جدية أو تربية خلقية ، ويتدفق سيل هـذه المطبوعات من هذه الدار كل أسبوع وكل شهر ، فيكتسح العالم العربي كله ، ويغزو الحجاز ، ويجوس خـلال الديار ، ويدخل على ربات الخدور ، ويسمم العقول والنفوس ، ويفسد المراهقين ومن دونهم في السن ، فضلا عن الشباب .

ساورتني هذه الفكرة طول الزيارة ، ولم أر حيلة إلا أن أهدى لأصحاب الدار والأستاذ فكرى أباظه (باشا) المشرف على مجلة المصور نسخاً من رسالتي الصغيرة « اسمعي يا مصر » لعلها تنوب عني وتعبر عن شعوري ورجائي .

وبعدما انتهينا من هذه الزيارة صلينا الظهر في مسجد السيدة زينب وقصدنا بيت أخينا الشيخ الشرباصي ، وهنا حضر الدكتور محمد يوسف موسى وتناولنا غداءاً أطابه إخلاص صديقنا الشيخ الشرباصي ، وعناية أهل بيته ، وحضور الدكتور محمد يوسف موسى ، ومكثنا هناك بعد الغداء نتحدث في موضوعات دينية وعلمية وقضينا وقتاً من أهنأ الأوقات في مصر

الخميس ٦/٧/٧٠ هـ — ١٢/٤/٥١ م

عرفنا من الشيخ الشرباصي أمس أن فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف أخبره أنه مريض من أيام ، وهو يعتذر عن عدم زيارتنا والاجتماع بنا

هذه المدة ، وتأسفنا بهذا الخبر فإن الشيخ ممن نشعر بانجذاب نفسي إليه ، وعزمنا على عيادته فى منزله العام بحلوان ، وركبنا القطار من محطة باب اللوق ووصلنا فى الظهر ودخلنا عنده، فوجدنا الشيخ الشرباصى قد سبقنا هناك ، جلسنا عند فضيلة الشيخ ساعة ووجدناه يشتكي من عرق النسا ، وكانت النوبة شديدة جداً حتى أصبح رهين الفراش ، لايتحرك على فراشه إلا بالمساعدة ولم يمنعه هذا المرض الشديد من الحديث العلمى والدينى والفقهى ، فذكر ما كتبه الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد عن عرق النسا ، وتكلم فى الأدوية التى وصفها النبى صلى الله عليه وسلم ومكانتها فى التشريع ، وتكلم فى موضوع الصبر وحقيقة الموت ، فكان كلامه كلام المؤمنين .

واستأذناه بعد ساعة لنخفف عنه ، وانصرفنا مع الشيخ الشرباصى ، وكانت رحلة ممتعة معه ، تحدثنا فيها عن شيوخ الأزهر السابقين ، وعن أخلاق الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق وحيائه وبره ومواساته لطلبة الأزهر ، وعن أنفة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى المراغي وكبر نفسه ونفوذه — وافترقنا فى محطة السيدة زينب ، فنزل الشيخ الشرباصى هناك ونزلنا عند محطة باب اللوق؛ واجتمعنا بالأستاذ وهبه فى مكتبته فى شارع إبراهيم باشا حيث كتبت عقد اتفاق معه لطبع الرسائل

حديثى فى اجتماع الإريتريين

اجتمع الإخوان الإريتريون المتعلمون فى الأزهر فى معهد القاهرة على طلبنا واقتراحنا ، وحضرت هذا الاجتماع ، وفرحت بلقائهم ونشطت للكلام معهم ، فإنى أرجو أن يأتى دور هؤلاء الذين تخلفوا عن قافلة الحياة وانطووا على أنفسهم : إذا احتضنوا الرسالة الإسلامية، واضطلعوا بالدعوة إلى الإسلام وقوى إيمانهم به ،

وتكلمت فى نفس هذا الموضوع وافتتحته بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين » واستشهدت على صدق ذلك بالتاريخ ، وتلقى الإخوان هذه الكلمة باستماع وترحيب وحيونا وأكرمونا .

فى اجتماع الأتراك

ومن هناك توجهنا إلى لوكاندة بغداد حيث اجتمعنا بالطلبة الأتراك ، وقرأ الأخ ضياء الدين علوى ترجمة محاضرتى السابقتين باللغة التركية ، وهو يريد أن يرسلها إلى بعض صحف تركيا الدينية ، وألقيت كلمة حضرتنى كانت خلاصة ما قلته فى المرتين السابقتين مذكراً لها . وعقب على كلمتى الأخ على أرسلان ، واقترحت عليهم الخروج معنا فى رحلة صغيرة إلى سنتريس فقبله بعض الطلبة ، رغم قرب الامتحان وصعوبته على الطلبة الأتراك لضعفهم فى اللغة العربية ، وكان محمد أمين التركي مسروراً جداً لهذه التوجيهات الدينية والعلمية ، ويقول إنه كان يتلقى هذه التوجيهات فى تركيا من الأستاذين الفاضلين على حيدر والأستاذ محمود جرودت ، ولكنه لا يجد هذا الغذاء الروحى والتوجيه الفكرى فى مصر .

فى سنتريس

يوم الجمعة ٧/٧/٧٠ هـ — ١٣/٤/٥١م

ركبنا من شبرا سيارة أقلتنا إلى سنتريس ، وهى قرية جميلة ريفية بعد القناطر الخيرية فى مديرية المنوفية مركزها أشمون على شاطىء النيل ؛ تسكنها أسرة عربية علوية ، صلينا الجمعة فى مسجد أهل السنة ، وخطب الأستاذ محمد عامر من الإخوان المسلمين ، وخطبت بعد الصلاة خطبة حثثت الناس فيها على تنظيم درس دينى عام كل أسبوع ، وتتبع الحالة الدينية فى البلد والاتصال بمن لا يحضر فى المسجد أو يرى فيه كسل أو ضعف فى أداء الواجبات الدينية وترغيبهم بلطف

ورنة فى التمسك بالدين ودعوتهم إلى المسجد ، وقد قبله الناس.

فى جبهة علماء الأزهر

وأدركنا اجتماع جبهة علماء الأزهر وقد يئسوا من قدومنا ، فتكلمنا معهم فى موضوع البعوث الإسلامية ، وأن تتولى الجبهة مساعدتها وتوجيهها الدينى والعلمى وتقيم لهم داراً خاصة يجتمعون فيها ، ويشرف عليها ويحضر جلساتهم أستاذ أو أساتذة منتدبون من جهة الجبهة ، وأيد هذا المشروع الدكتور محمد يوسف موسى تأييداً قويا ، ووضع قرار فى هـذا المعنى سوف يعرض فى جلسة مقبلة على أعضاء الجبهة .

وحضر هذه الجلسة الأستاذ الكبير أحمد الشايب الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول وعضو جبهة علماء الأزهر ، وحيانى ورحب بى ، وذكر أنه سيهدى إلى نسخاً من مؤلفاته الأدبية والتاريخية ، وسوف تصلنى عن طريق الشيخ أحمد الشرباصى لصلته بالأستاذ الشايب .

يوم السبت ٨/٧/٧٠ هـ — ١٤/٤/٥١ م

حديث مع الدكتور أحمد أمين عن بعض الشخصيات

ذهبت اليوم مع الأخ محمد معين إلى الإدارة الثقافية بالجيزة ، فقد طال العهد بالدكتور أحمد أمين ، قابلناه فى مكتبه وجرى ذكر المسلمين ، فقال حضرته : إن المسلمين تنقصهم شخصية قائدة ، قلت : وما رأيكم فى الأستاذ حسن البنا ؟ قال : لقد كان ذا شخصية قوية ورجلا موهوباً ، قال : ومن الغريب أنه كان وهو طالب شاباً حيياً خجولا ، لم أكن أعرف أنه سيكون خطيباً يوماً من الأيام ، وكان تلميذى فى مدرسة القضاء ، فإذا هو يفجأ البلاد بخطابته وشخصيته ، وكان له

بكل مقام مقال ، وإذا كان فى العامة ملاك عليهم فكرهم ، وإذا كان فى المستشارين ألقى خطبة تعجبهم وتؤثر فيهم ، وهكذا ، ولو استمر الإخوان المسلمون فى الإصلاح الخلقى والاجتماعى لكان لهم شأن عظيم ، قلت : وما رأيكم فى مستقبلهم ؟ قال : والله لو رزقوا شخصية قوية واقتصر نشاطهم على الإصلاح والدعوة الدينية نجحوا ، ولو لم يرزقوا هذه الشخصية وانغمسوا فى السياسة لكان لهم شأن آخر ، قلت : أظن أن سعد باشا زغلول كان ذا شخصية قوية ؟ قال : نعم وكان من أولئك الذين يسمعون ولا يقرأون ، ولكن لم يكن يستطيع أن يثير العاطفة الدينية ، إنما كان رجلا وطنيا وشعبيا ؛ قال : ومرة زرته فى مكتبه وحدثنى وكان حديثا عاديا ، ولكنى امتلأت قوة وحماسة ، حتى كان من تجارب هذا الروح إنى لم أستطع أن أركب الترام أو سيارة و بقيت ماشيا ؛ وكان السيد جمال الدين الأفغانى مؤثرا جدا ، يشعل القلب حماسة وحرارة مع أنه كان ألكن .

عن تعليم الأطفال

ثم انتقل إلى حديث تعليم الأطفال والتأليف لهم ؛ فقال : إن بعض المدارس تعلم الأطفال مادة ليسوا فى حاجة إليها ولا تليق بسنهم وعقولهم ؛ مثلا ولدى الصغير تعلم فى مدرسة ، وقد حفظ دعاء صلاة الجنازة مع أنه بعيد عنه ، ثم أثنى على طريقة الإنكليز فى ما يضعونه للأطفال فقال : إنى أطالع دائرة المعارف للأطفال فأراها موافقة لسنهم وعقليتهم ، والقصص فيها شائقة . وذكرت الأستاذ كامل كيلانى فأخذ عليه أيضا أنه يأتى فى قصصه فى بعض الأحيان بعبارات أدبية ، وذكرت له قصص النبيين للأطفال . قال : وكلفتنى دار الهلال تأليف كتاب فى سيرة هارون الرشيد ، وقد أصبح له دوى عظيم فى أوربا وهيام . والفضل فى هذا يرجع إلى حكايات ألف ليلة وليلة ، فإنها جعلته بطل حكايات كثيرة ؛ وإنه كان

يعس فى الليل ، ولعل واضعى هذه القصص رأوا مصير ابن المقفع فوضعوا قصصاً وصوروه فى صورة بطل

رحلة إلى المحلة الكبرى

كان اليوم يوم السفر إلى المحلة الكبرى ، كما كان قد تقرر فى الرحلة الأولى وكنا قد طلبنا من الشيخ أحمد الشرباصى أن يرافقنا فى رحلتنا وكان قد قبل هذا الطلب ؛ وأدركنا القطار إلى المحلة ، ووصلنا هناك متأخرين ، وكنا ضيفاً طارقاً عند الأخ الدكتور محمد السعيد أحمد ، وفرح بقدومنا وقدوم الشيخ الشرباصى الذى هو معروف بمقالاته ومحاضراته .

يوم الأحد ٩/٧/٧٠ هـ — ١٤/٤/٥١ م

في نبروه

صلينا الفجر فى مسجد أهل السنة ، وألقيت كلمة بعد الصلاة، وطلبت من الحاضرين أن يصاحبونا فى رحلة دعوة دينية نقوم بها ، ووقع اختيار الإخوان على نبروه ، وكان اختياراً موفقاً ، وفعلا أحضر الإخوان سيارة كبيرة ركبها نحو خمسين رجلا ، واعتذر الشيخ الشرباصي من المرافقة ورجع إلى القاهرة ، ووصلنا إلى نبروه فأحاط بنا الإخوان الشرعيون وأهل البلد المخلصون ، وقصدنا المسجد وشرحت للحاضرين غاية هذه الرحلة وآدابها ونظامها ثم بعد صلاة الظهر انقسم الناس فى جماعات ، وقصدت كل جماعة قرية من القرى المجاورة لأجل الاتصال بالمسلمين هنالك ونشر الدعوة فيهم ، ورجعنا قبيل المغرب إلى المسجد ، واجتمع الناس من القرى ومن نبروه وخطبت ، وكان من خطباء الليلة الأستاذ يوسف القرضاوى الذى هو إمام فى مسجد فى المحلة الكبرى ، وخطب خطبة لا بأس بهـا ، ولم يكن فيها شيء من التعرض لجماعة ، وخطب بعده الأخ الدكتور

وثار ثائره بمثل الأول ، وحدثت ضجة وقام الإخوان المسلمون يهتفون ويحتجون ، وختمت الجلسة بكلمة ، وكفى الله المؤمنين القتال

الاثنين ١٠/٧/٧٠هـ — ١٦/٤/٥١م

ألقيت كلمة فى الصباح بعد صلاة الفجر وخطب الأخ عبد الرشيد والأخ محمد معين والشيخ عبيد الله ، ورجعنا إلى المحلة وقضينا النهار هنا ، وخطب الأخ عبيد الله فى السيدات وخطبت بعد صلاة العشاء

الثلاثاء ١١/٧/٧٠هـ — ١٧/٤/٥١م

زيارة شركة مصر للنسيج والغزل

ذهبنا لزيارة شركة مصر للنسج والغزل ، وهى أكبر شركة مصرية للنسج والغزل ومن كبريات الشركات فى العالم ، وهى صرح صناعي هائل جدير بأن تفتخر به مصر وبرهان ناطق باستعداد الشرقيين للمشاريع العمرانية وإدارة المؤسسات الصناعية والتجارية العظيمة ، يرجع الفضل فى هذا المشروع الجبار الذى عاد على مصر وأهلها بخير كبير وإنتاج ضخم وتنظيم اقتصادى إلى رجل مصر العظيم الاقتصادى الكبير طلعت حرب باشا رحمه الله ، والشركة مدينة بأسرها تمتد فى مساحة واسعة جداً ، وقد رافقنا فى هذه الزيارة الأستاذ طه الذى كان يشرح لنا مختلف أقسام الشركة وأنواع الماكينات وشغلها ، وهى من أحدث طراز ، وكانت مصفغة مثل الدبابات والمدافع فى ميدان حربي كبير ، وقد مررنا بماكينات الغزل والنسيج والتحويل والتلوين والرسم والتخطيط والتصميم ، ورأينا كيف يمر القطن والخيوط فى رحلة طويلة متنوعة شاقة يمر فيها بمرحلة بعد مرحلة ، ومحطة بعد محطة ، إلى أن تصل إلى نهاية المطاف ، وتخرج فى شكل ثياب منسوجة ويشتريها الرجل من السوق وهو لا يشعر بطول هذه المسافة التى اجتازها الثوب ، ويلبسها

وهو لا يشعر بالمتاعب التي كانت في سبيل هذا الثوب الذي يكسوه ويزينه ، وقد علمنا أن الشركة تنسج كل عام مائة مليون ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ ذراعا ، ومررنا بالمسجد الجميل وانتقلنا إلى المطعم العظيم الذي أسسته الشركة للعمال ، وهو يحتوي على ثلاثة آلاف مقعد للطاعمين ، ويكلف كل يوم قرشين للغذاء ، ودخلنا المطبخ ورأينا نظام الطبخ ، ومكان الطبخ والأكل في غاية النظافة والإتقان ، وتراعى فيه أصول الصحة ويكافح الميكروب ، ثم ذهبنا إلى قسم الرياضة والألعاب ، وهو قائم على أحدث طراز وأرقاه ، ودار بنا مديره الذي تلقى التربية في أوربا على أقسامه ، وشاهدنا النشاط الرياضي ، وانتقلنا إلى المستشفى ، وهو يضارع أكبر المستشفيات في حسن النظام ، ولكل مرض قسم خاص وجناح في هذا المستشفى ؛ فأمراض الصدر لها مستشفى خاص ، وأمراض الأذن والفم والأنف وأمراض العين إلخ ، ولكل قسم طريق خاص به ومنظرة خاصة ينتظر فيها المرضى دورهم حتى لا يختلط مريض بمريض آخر ، ولا تتعدى الأمراض ، ويجب على كل عامل أن يذهب مرة كل شهر للكشف الطبي ، وقد رأينا دفترا خاصا لكل عامل والإجراءات فيه ، وفي المستشفى ٧٢ فراشا للمرضى الذين يأخذون العملية الجراحية ، وقد دخلنا في بعض الحجرات وقابلنا المرضى وعدناهم .

ومن هنا انتقلنا على السيارة الخاصة بزيارتنا إلى مدينة العمال العظيمة التي أسستها الشركة والتي كلفتها ٠٠٠و٢٠٠و١ جنيه مصري والتي تمتد في ٦٧ فدان إنجليزي وفيها مباني تسع ٥٥٠ من المتزوجين الذين يسكنون بأسرهم ، و ١٧٠٠ من العزاب ، وفي هذه المدينة مستشفى ، ومقاصف ، وحمامات عامة ، ومدرسة للبنين ، ومدرسة للبنات ، ومستشفى ، وملاعب ، وسوق يشتري منها العمال حاجاتهم .

ورجعنا من زيارة الشركة ومدينة العمال وقد أتخمنا بما شاهدنا وسمعنا ورأينا من الأقسام التي مررنا بها ، وبخامرنا سرور عظيم بأن الشركة يديرها المسلمون

وهى وطنية شرقية ، ونرجو أن تكون الحقيقة مطابقة للشهرة ، وسافرنا بقطار الظهر ووصلنا إلى القاهرة قبل العصر والحمد لله على السلامة .

الخميس ١٣/٧/٧٠ ـ ١٩/٤/٥١م

حديث مع الدكتور منصور فهمى
حياته الأولى

توجهنا اليوم إلى زيارة الأستاذ الكبير الدكتور منصور فهمي ، وقد وفقنا هذه المرة ، فوجدنا الدكتور موجوداً فى انتظارنا ، وجلسنا نتحدث فى بهو واسع مزخرف على طراز أرستقراطى ، وذكر لنا على سؤالى اتجاه حياته الأولى فقال إنه كان ثائرا على الدين ، وكان لا يابي من المصارعة واستعمال القوة كلما اضطر إلى ذلك ، سمع مرة أن عالما سودانيا من علماء الأزهر يكفره ويهدر دمه وكان قويا فذهب إليه فى قهوة وبارزه فارتعب منه وجلس معه وملأ مخه بما أراد أن يملأه به وانصرف ، وكان العلماء يكفرونه ويتجهمون له فكان يزيده ذلك بعدا عن الدين وثورة عليه ، ولا يزال يذكر حكمة الشيخ حسونة شيخ الجامع الأزهر ، فقد قدمه إليه أحد العلماء وذكر للشيخ بعض أرائه المعارضة للدين ولمقام الرسالة على صاحبها الصلاة والسلام فقا له الشيخ بلطف وقال : قد يخطىء الإنسان وتقع له زلة ، ولم يتجهم له ، فأثرت هذة المقابلة الرقيقة فى نفسه وهدأت ثائرته .

من أسباب اتجاهه إلى الدين

قلت للدكتور منصور فهمى : وأى شىء أثر فى نفسكم وحول اتجاهكم إلى الدين ؟ فقال : إنما كان شيئا طبيعيا وإنما أثر فى نفسى فشل الحضارة الغربية ، وخصوصاً تفكك الأسرة وانحلال رابطتها ، فإن تفكك الأسرة له أثره البعيد فى الحياة والحضارة ، قلت إن فشل الحضارة أول مايظهر فى تفكك الأسر ، قال : نعم .

والمذاهب الهدامة كالوجودية وغيرها التي يحاول الشرق أن يقلد فيها الغرب كلها وليدة الحضارة العربية المتحرجة عن الأخلاق ، وليست وليدة الحضارة التي خلقت العلوم ونظمت المجتمع ، قال : واندفاع الناس فى مصر إلى الحضارة الغربية أقوى منه فى الهند ، فقد وجد هنالك من ثار على هذه الحضارة وتمرد عليها بخلاف مصر

قلت للدكتور منصور فهمى : قد قرأت لكم قبل نحو خمس عشرة سنة مقالة لطيفة لا تزال معانيها مرتسمة فى الذهن ، وكانت فى وداع العالم الراحل واستقبال العام الجديد ، قال : نعم وقد ذكر هذه المقالة غير واحد وهى فى مجموع مقالات نشرت باسم « خطرات نفس » . ثم قام سعادته وأهدى إلى نسخة منها ، قال إنها من وحي الشباب فلا تبحث فيها عن فكر ولا دين ، ولكن اقرأها على أنها تسجيل للخواطر وأحاديث النفس

مركز الدكتور منصور فهمى الأدبى

ويظهر أن الدكتور منصور فهمى كان له مستقبل أدبى باهر ، وكان له أن يحتل مكانة فى طليعة الأدباء البارزين في مصر ، ولكنه لم يشتغل بالكتابة والتأليف كثيراً ، وآثر المطالعة والعزلة ومقالاته على قلتها ناصعة الجبين مشرقة الديباجة ، يظهر أن صاحبها متأثر بالمنفلوطى فى اختيار اللفظ الفصيح والعبارات الرشيقة .

ورجعنا من عنده بعد جلسة طويلة وحديث ضاف مفيد .

الجمعة ١٤/١/١٣٧٠ هـ — ٢٠/٤/١٩٥١ م

صلينا الجمعة فى دار الأرقم ، ووصلنا هناك والأستاذ حسين يوسف قائم يخطب

فى موضوع سيرة سيدنا عمر بن العزيز ، وبعد الصلاة طلب منى إلقاء كلمة فعلقت على خطبته ، وجلسنا في إدارته قليلا وتعرفنا بالموجودين هناك .

السبت ١٥ / ٧ / ٧٠ هـ — ٢١ / ٤ / ٥١ م

فى حفلة يوم إقبال

صلينا المغرب فى نقابة الصحفيين وحضرنا حفلة يوم إقبال ورأينا فيها الأستاذ عباس محمود العقاد أول مرة ، وسمعنا كلمته فى إقبال ، ومحاضرات الأساتذة الآخرين وتأسفنا على أن أحدا منهم لم يدرس إقبال حق الدراسة ولم يعرف رسالته وروحه لأن كتبه ومحاضراته بالإنجليزية لاتؤدى رسالته ولا تعرض فكرته ، إنما هى بحوث فى الفلسفة والتصوف وعلم الكلام أو السياسة ، وقد قوى عزمى على نشر المحاضرات التى ألقيتها عنه على قصرها ووجازتها ، وقد كان الأستاذ عباس محمود العقاد وعد بمقابلتى بعد انتهاء الجلسة وتحديد الموعد لمقابلة خاصة فى منزله ، ولكن كنت أغالب مرض الحمى الذى قد بدت طلائعه فرأيت من الخير أن أنصرف إلى منزلى قبل أن يغلبنى .

الأحد ١٦/٧/٧٠هـ — ٢٢/٤/٥١م

بقيت اليوم متأثرا بالحمى ومتعبا ، ولم يكن مايستحق التسجيل .

الاثنين ١٧/٧/٧٠ هـ — ٢٣/٤/٥١ م

ذهبنا اليوم إلى جمعية الشبان المسلمين ، وقدمنا كمية من رسائل « اسمعى يامصر » و « من غار حراء » لتوزع على فروع الجمعية ، وزرنا مركز لجنة التأليف والترجمة والنشر .

يوم الخميس ٢٠/٧/٧٠ هـ — ٢٦/٤/٥١ م

في بيت الشيخ صبرى عابدين

أصابنى من أمس قلص شـــديد ، وانزعاج بتأثير أدوية الملاريا ، و بقيت متكدراً طول اليوم ، وجاء اليوم ميعاد الغداء عنـد فضيلة الشيخ صبرى عابدين فذهبت مع زملائى إلى مصر الجديدة ، وقابلنا فى الطريق الشيخ محمد ابو السرين من علماء الأزهر فرحب بنا ترحيبا حارا، وأرشدنا إلى بيت الشيخ صبرى، وهو طول الطريق يشكو من تحلل المصريين الخلقى واستهتارهم ، ويحكى حكاية حفلة المحافظة على القرآن الكريم وكيف كانت البنات سافرات ، وأذن للمغرب على المبكرون ، وأخر المحتفلون صلاة المغرب رغم الأذان ، حتى ضاق صدر الأستاذ وصلى مع عدد من الحاضرين ، وأخرج من مخبأه رسالة «إسمعى يامصر» وقال : لا أزال أستصحبها ، وعزم علينا التعريج على بيته في الرجوع وفعلناورجعنا من بيته شاكر بن فضله وعرجنا على بيت الشيخ محمود أبى العيون وقدم بناعنده الشراب البارد و رجعنا إلى محلنا

الجمعة ٢١ / ٧ / ٧٠ هـ — ٢٧ / ٤ / ٥١م

ظللت النهار منزعجا مضطربا قلق الخاطر ، لا أتذكر أنى أصبت بمثل هذا القلق من زمان وساورتنى هموم وأحزان ، وملكت على [illegible] ى ، وما ذاك إلا بحرارة القلب الزائدة التى كانت نتيجة الأدوية الحارة وعدم تناول الحوامض والفواكه والمشروبات المروحة كما أوصى الطبيب ، وأردت أن أتروح فقصدت بعض الأماكن ، ورجعت الى غرفتى فوجدت زميلى الشيخ عبيد الله فى مثل حالتى أو أشد، فكلنا « ركاب سفينة واحدة » .

يوم الأحد ٢٣/٧/٧٠ هـ — ٢٩/٤/٥١ م

قصدنا الإدارة الثقافية بالجيزة ، وقابلنا الدكتور أحمد أمين وسألته عما تم فى شأن طبع كتاب جنة المشرق للسيد الوالد عليه رحمة الله ، فقال : من رأى الأستاذ محمد فريد أبو حديد الذى عهدت اللجنة إليه النظر فى هذا الكتاب وإبداء الرأى أن الكتاب قيم يشتمل على مادة غزيرة ، ولكنه فى حاجة إلى إتمام وزيادة فصول فى تاريخ الهند بعد احتلال الانكليز ، فلو تكملت بهذه الزيادة فلا مانع من طبع الكتاب ، فأبديت استعدادى لذلك ، وسآخذ الكتاب من إدارة اللجنة .

طلب منى محفوظ أفندى أن أكتب كلمة وجيزة على كل فصل من كتابى الجديد « إلى الإسلام من جديد » كتقديم لهذا الفصل إلى القراء ؛ ووجدت نفسى عاجزة عن الكتابة فى هذه الأيام ، وقد خمدت القريحة فكأنها لا تسيل أبداً . فرأيت أن أستعين فى ذلك بالصديق الكريم الشيخ أحمد الشرباصى الذى لا يحتاج فى الكتابة إلى عناء أو إجهاد فكر ، وزرته فى بيته وعرضت عليه الأمر فقبل ووعد بذلك من غير امتناع أو اعتذار .

يوم الاثنين ٢٤/٧/٧٠ هـ — ٣٠/٤/٥١ م

عيد شم النسيم فى مصر

اليوم يوم شم النسيم ، وهو عيد مصر المعروف ، وهو كعيد « ابنت » أو يوم الربيع عند الهنادك فى بلادنا و « النوروز » فى إيران ، وهو اليوم الذى يخلع الشعب فيه أعذاره ويجن باللهو والجنون ، ورأينا الناس يتوجهون إلى النيل زرافات ووحدانا ، ويقصدون الحدائق العامة رجالا ونساء ، ويطرح كثير منهم الحشمة فى هذا اليوم ويثور على التقاليد والأوضاع ، وكثيراً ما تشم رائحة الخمر

ذهبت إلى مطبعة الحاج حلمى المنياوى وصححت تجارب كتاب « شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال » ، وفجأنا فى محلنا الشيخ أحمد الشرباصى فقدمت مقالاتى التى طلبتها منه أمس ؛ ولم أكن أنتظر أنه سيقدمها فى يوم واحد، فكان السرور عظيما ، وإذا هذه الخلاصات بليغة مركزة ، فصيحة العبارة ، تتجاوب مع المقالات ومقاصدها ، ولاشك أن الشيخ .... فى سرعة الخاطر وارتجال الكتابة ورشاقة العبارة .

يوم الجمعه ٢٨ / ٧ / ٧٠ هـ — ٤ / ٥ / ٥١ م

في جامع الظاهر بيبرس الجاشنكير

زارنا فضيلة الشيخ محمد صبرى عابدين فى محلنا ، وقد تكرم بالزيارة مرتين وخرجنا معه إلى جامع الظاهر بيبرس الجاشنكير ، والشيخ يستعرض التاريخ فى الطريق ، ويذكر تاريخ المبانى والجوامع التى يمر بها ، ومنها زاوية « السلطان صلاح الدين » التى كان كبار المشائخ والعلماء يتنافسون فى تولى المشياخة فيها لعظم الأوقاف التى تشتمل عليها هذه الزاوية ؛ ووصلنا إلى الجامع وصلينا الجمعة فيه ، وهذا هو الجامع الذى كان الإمام السيوطى يتولى الإشراف على أوقافه ، وامتنع مرة عن دفع ريع الأوقاف إلى الرجال الذين لا يشتغلون بالعلم والذكر حسب شروط الواقف ، ويقضون أوقاتهم فى البطالة ، فثاروا عليه أولئك وألقوه فى ميضأة فى وسط الجامع ولم يخرج إلا بمشقة ، واجتمعنا بعد الصلاة بالشيخ نجم النقشبندى ، وهو خليفة الشيخ محمد أمين البغدادي أحد كبار المشائخ النقشبندية فى مصر ، والذين يرجع إليهم الفضل فى انتشار هذه الطريقة فى هذه الديار ، وصادفنا هنالك صديقنا محمد رشاد الذى يتردد كثيراً إلى الشيخ .

يوم السبت ٢٩/٧/٧٠ هـ — ٥/٥/٥١ م

ذهبنا بعد الظهر إلى حلوان ، وعدنا فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وصادفنا صديقنا الشيخ الشرباصى ، ومن بيت فضيلة الشيخ توجهنا لزيارة الأستاذ سيد قطب ، فقد طال العهد بزيارته ، وكنا قد نسينا عنوانه فى البيت فلم نهتد إليه على كثرة السؤال وكثرة الدوران فرجعنا إلى القاهرة .

يوم الأحد ٣٠/٧/٧٠ هـ — ٦/٥/٥١ م

روضنا إلى الجبهة وقابلنا الدكتور محمد يوسف موسى ، وكانت مقابلته غاية هذه الرحلة الشاقة وثمرتها ، وتحدث عن كتابى الماثل للطبع « إلى الإسلام من جديد » وقال لعل الوحدة التى تربط هذه المقالات والمحاضرات المكتوبة فى ظروف مختلفة ومناسبات مختلفة هى إعادة الثقة إلى نفوس المسلمين بدينهم ورسالتهم ؛ قلت : نعم ، وعجبت من حسن ملاحظة الدكتور وسلامة تفكيره .

يوم الأربعاء ٣/٨/٧٠ هـ — ٩/٥/٥١ م

فى ضيافة سماحة المفتى

ذهبنا اليوم إلى سماحة المفتى السيد أمين الحسينى فى شارع محمد على بمصر الجديدة ، وتغدينا مع سماحته مع جماعة من الضيوف الكرام ، وكان الغداء شهياً فاخراً أقرب إلى ذوقنا الهندى ؛ وكان حديث سماحة المفتى عذباً رقيقاً كعادته فكان ذلك يزيد فى الأنس واللذة .

يوم الخميس — يوم السبت ٤ و٥ و٦/٨/٧٠ هـ — ١٠ و١١ و١٢/٥/٥١ م

لم يكن فى هذه الأيام الثلاثة غير الزيارات العادية و بعض المقابلات اليومية ما يستحق أن ينوه به غير زيارة فضيلة الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا والد فضيلة الشيخ حسن البنا فى منزله ، وقد زارنا يوم السبت الإخوان الأعزاء يوسف القرضاوى ومحمد الدمرداشى وعبد الله آل عقيل وفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى والدكتور خليل عشماوى .

يوم الأحد ٧/٨/٧٠ هـ — ١٣/٥/٥١ م

حديث مع المفتى

ذهبنا لمقابلة سماحة المفتى السيد أمين الحسينى فى مكتبه فى شارع رمسيس

بمصر الجديدة ، وكانت هذه المقابلة من أمتع المقابلات التى جرت بمصر ، وإن كانت قد جرحت الفؤاد وأثارت الأحزان، و بعثت الأسى على حالة المسلمين ، تحدث معنا سماحة المفتى طويلا فى جلسة خاصة ، وتحدث عن تاريخ جهـــاد فلسطين ومطامع اليهود السافرة حتى طمعهم فى احتلال المدينـــة المنورة وخيبر ومستعمرات اليهود القديمة ؛ ومطالبتهم بذلك بكل صراحة والتهيؤ والاستعداد له ، ونفاق الإنجليز وكيدهم للمسلمين ، والروح الكامنة فى نفوسهم ، بل البادية فى أحاديثهم وأعمالهم : « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » وسذاجة الشعوب الإسلامية وسرعة انخداعها ، وأخطاء الدول العربية وغفلتها عن مصيرها ، والأخطار الصهيونية التى تهدد كيانها ، واشتغال ملوك العرب بنفوسهم وترفهم ، وجناية الجامعة العربية على قضية فلسطين بتكفلها بهذه القضية ثم تقاعدها عنها ، وعزل الشعب الفلسطينى المجاهد عن السلاح ، وتسليم المناطق العربية إلى اليهود ، فلا تركت الشعب الفلسطينى الغيور الباسل يواصل جهـــاده ، ولا أغنت عنهم شيئاً وحلت محلهم ، وذكر اضطهاده وكيف طوقه المستعمرون الإنجليز وجعلوه فى شبه جزيرة منعزلة لا يستطيع أن يقوم بدوره فى قضية فلسطين حراً مطلقاً ، وكيف كتفوا يديه وكيف حالوا بينه و بين إخوانه الفلسطينيين ، حتى أبوا عليه بطرق غيرمباشرة أن يتصل بهم فى مصر وفى غزة ، وكيف سافر خلسة مرة إلى غزة فاستعادوه إلى مصر ، وكيف أصبح اللاجئون فى غزة فريسة الجوع القاتل والتبشير النصرانى والدعاية الشيوعية ، وكيف رفضوا أن يتصل بهم ويقوم بنشاط دعوة إسلامية ، وكيف يمنعون بريده من أن يصل إليهم بواسطة وكلاء الصهيونية فى دوائر البريد ، وكيف نسجوا حوله نسائج من شائعات وأراجيف ليشوهوا سمعته ويسقطوا مكانته ويفقـــد الفلسطينيون ثقتهم به ، قال : ولكننا مع ذلك مصممون على مواصلة الجهاد مهما كان ولا نيأس من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وكان حديث سماحة

المفتي مشجياً ، وكان يتجلد و يكف الدموع ، فإنه معروف بعصاميته وبجلادته ، وقد لمحت في حديثه إلى أي مـــدى وصل انحطاط المسلمين وجهلهم بالحقائق ونكرانهم لرجالهم ، وإلى أي حد نجحت سياسة المستعمرين ، وكيف طمست البصائر واشترت الذمم والضمائر وعبثت بالأفكار والعقول ، فالله المستعان ؛ وقد رجعت من عند سماحة المفتي حزيناً منكسر الخاطر ، وعرفت أنه لم يخطئه حظه ، حظ زعماء المسلمين والمصلحين .

وقد أثنى المفتي على الشهيد حسن البنا رحمه الله ، وأثنى على الإخوان المسلمين المجاهدين في فلسطين ، وأثنى على رجولتهم وقوة إيمانهم وحماستهم ، وقال : كان الواحد منهم قد يقابل عشرات من اليهود

يوم الاثنين ٨/٨/٧٠ هـ — ١٤/٥/٥١م

في حفلة تكريم الوفد السوداني

كنا اتفقنا مع الشيخ الشرباصي على زيارة جمعية الشبان المسلمين ومقابلة رئيسها العام سعادة محمد صالح حرب (باشا) الذي رجع من أسوان بعد مدة طويلة ، ودخلنا في مكتبه بدار الجمعية ، فوجدنا ضيوفاً محترمين ؛ منهم سكرتير الملك الذي ينوب عنه في هذه الحفلة ؛ ومعالي محمد علوبة باشا ، وقابلني سعادة محمد صالح حرب (باشا) بحفاوته المعروفة و بشاشته العادية ، وقدمني إلى سكرتير الملك ومعالي علوبة باشا ، وذكر معاليه أنه يعرفني ، وقدمت إليهم نسخة من « شاعر الإسلام » التي ظهرت قريباً ، وحضر سماحة المفتي السيد أمين الحسيني وتلقاني بالبشر ، وأشار إلى معالي محمد علوبة (باشا) وقال : هذا السيد أبو الحسن الذي كان يزورنا في الفندق في لكهنو وأخذنا إلى دار العلوم ، فوافق عليه علوبة باشا وقال : أذكر ذلك ، وحضر كذلك سعادة السيد محمـــد صادق المجددي وزير أفغانستان المفوض في مصر ، وأهديت إليه نسخة من « الدعوة الإسلامية وتطوراتها في الهند » ثم أشار معالي حرب (باشا) فقمنا وقصدنا ميدان

الرياضة فى دار الجمعية ، وتكامل جميع الضيوف السودانيين ، وتفرجنا على الألعاب الرياضية والجمبازية والمناورات العسكرية ، وكان لها أثر عميق فى النفوس وهزت مشاعرى ، وأنا دائماً — مع ضعفى ونشأتى البعيدة عن الأعمال العسكرية والرياضية — أهتز لمشاهدتها ومظاهرها ، وعرفت كيف تؤثر البيئة والجو الحربى فى نفوس المقاتلين ، ووثقت أنى لو كنت فى [illegible] إجابة داعيه الروحى ، ثم خرجنا إلى قاعة كبيرة لتناول العشاء ؛ وكان العشاء فاخراً ملوكياً ، وجلست مع الشيخ الشرباصى ، وشيخ كلية اللغة العربية الأزهرية ، والشيخ عبيد الله إلى ضيوف آخرين ، ثم خرجنا إلى قاعة أخرى ، ورأينا استعداد الموسيقى وتمثيل رواية « بلال » فخرجنا معتذرين .

يوم الخميس ١١/٨/٧٠هـ — ١٧/٥/٥١م

صحت عزيمتنا على زيارة السودان : فاستشرنا فى ذلك سعادة محمد صالح حرب (باشا) فاستحسنها ، وأثنى على السودان وروحه الدينية وحفاوته برجال الدين ودعاته ، واتصل بالأستاذ محمد حسن مساعد وكيل حكومة السودان بالتليفون ، وطلب منه أن يقدم إلينا كل مساعدة فى موضوع السفر إلى السودان ويرشدنا إلى الإجراءات اللازمة بشأن هذا السفر .

وقابلت اليوم الشيخ محمد حامد الفقي ، وقدمت إليه نسخة من « الدعوة الإسلامية وتطوراتها فى الهند » فلم ترضه إشارتى بالصوفية ، ونصيبهم فى الدعوة الإسلامية فى الهند ، وانتقدهم انتقاداً شديداً ، ووصفهم بالوثنية وقال : لأحب أن تطلع على رأيى فى الصوفية أقدم إليك رسالة العبودية ؛ ففيها تعليقاتى ورأيى فى الصوفية ، وقال : وقد تفردت فى رأيى عن الصوفية عن الشيخ ابن تيمية أيضاً فإنه يستثنى أمثال الجنيدى ، ولكنى لا أستثنى أحداً ؛ وقال : أنا غير مرتاح إلى

كتاباتك وآرائك ، لذلك لم ينشرح صدرى ولم أنشط لزيارتك فى محلك ، وأنا أشم من كتبك رائحة الاشتراكية ، لأنك دائما تنكر في كتبك على المادة والمادية وتشيد بالزهد والفقر ، وهذه نزعة اشتراكية ، وأعتقد أن المادة لها أهمية كبيرة ، ولم ينكرها الإسلام ، ولم يدع إلى مكافحتها ومعارضتها ، وأن الأموال لا بأس باقتنائها والتكثير منها ، وأن النعيم لا بأس به ، وأن الدولة الأموية ليست حيث ينتقدها الناس ، وأن المادية لا تهم شيئاً ولا تستحق أن يعنى بها الداعى ويشتغل بإنكارها ونفيها وأن موضوع الدعوة هو تربية الشخصية وإظهارها واستعمال القوى ، وما خلق الله فى الكون من خيرات وخزائن الاستعمال الصحيح ، وهذا الذى يدور حوله القرآن ويلهج به ويسمى خلافه الظلم ، أما ما عدا ذلك فسائل فرعية ، حتى الزنا لم يذمه القرآن إلا فى مواضع معدودة لأنه متفرع فى الحقيقة عن وضع الشهوة فى غير موضعها ، فالأصل استعمال هذه القوة ، والمهم أن يربى الإنسان شخصيته وينمى قوته ، ويستقل بتفكيره حتى يعتقد أن الرسول لا يمتاز عنه إلا بالوحى .

قلت لفضيلة الشيخ: ليست كتاباتى وانتقاداتى للمادية إلا لطغيانها وإسراف الناس فيها وكرد فعل ضد هذه النزعات المادية ، وأنا أعتقد أن التوحيد هو الأساس الذى يجب أن تبنى وتقوم عليه الدعوة، وقد أطلعت حضرتك على كلامى فى هذا الموضوع فى رسالة « من الجاهلية إلى الإسلام » التى طبعها أحد إخوان جماعة أنصار السنة ، قال الشيخ : وذلك أيضا غير واضح . وأكدت لفضيلته أنى برىء من كل مذهب متطرف ونزعة غير إسلامية، وقد درست الاشتراكية والشيوعية وفهمتهما وأنا أعارضهما وأراهما معارضين للإسلام الصحيح ، قال الشيخ: أنا أعرف أنك رجل طيب ونيتك سليمة، وقد بقيت متتبعا لسيرك فى مصر وحركاتك فعرفت أنك لا تقصد إلا الخير .

جمعة ١٢ / ٨ / ٧٠ هـ — ١٨ / ٥ / ١٩٥١ م

زرنا الوكالة السودانية وعرفنا الإجراءات اللازمة والخطوات التي لا بد أن نتخذها إذا سافرنا إلى السودان ، ومنها أن تضمن لنا السفارة الهندية وأن نحصل على التصريح بالعودة إلى مصر . وصلينا الجمعة في مسجد الشامية جنب جبهة علماء الأزهر خلف الشيخ أحمد الشرباصي وسمعنا خطبته البليغة العصرية وكان موضوعها «الإسلام إصلاح لا ثورة» وقد استعرض فيها مايتغنى به الناس من مبادئ الثورة الفرنسية ، ثم أظهر الفروق الواسعة بينها وبين مبادئ العدالة والحق والمساواة والأخوة في الإسلام، مفضلا الإسلام عليها ، وأوضح طريقة الإسلام في الإصلاح.

السبت ١٣/٨/٧٠ هـ — ١٩/٥/٥١ م

مقابلة معالي مولانا أبو الكلام أزاد

قضينا النهار في السفارات المختلفة والدوائر المتعددة للحصول على التأشيرات والتصريح بالعودة، وذهبنا بعد صلاة العشاء مع الأستاذ الفاروقي وأعضاء الجالية الهندية إلى مطار فاروق حيث استقبلنا معالي مولانا أبو الكلام أزاد وزير الهند في طريقه الى لندن وكان ذلك في نصف الليل ، وكان مولانا أزاد متعبا تبدو عليه آثار الشيخوخة والإعياء : وجلس معنا على مائدة الشاي يتحدث وأحاط به مراسلو الصحف يوجهون إليه أسئلة في سياسة الهند وأحزابها وغاية سفره، وهو يجيبهم تارة بالإنجليزية وطورا بالعربية وهو معروف باللباقة في الحديث والتحفظ فلم ينجح المراسلون في اختلاس الأسرار، وكان جوابه دائما وجيزا مركزا وكان يستشهد في بعض الأحيان ببعض الآيات القرآنية فكان الصحفيون يعجبون لذلك ، وأدركت أنه بعيد العهد بالحديث بالعربية مع ذلك استطاع أن يتكلم بلغة القرآن، وذكاؤه ونبوغه مما لا يكابر فيه معارضوه، ولما شعرت بأنه لم يعرفني مع أنه نادرة في التذكر أردت أن أتعرف اليه وتقدم الأستاذ أبو النصر فعرفني فأقبل على بالحديث وذكر والدي رحمه الله وأخي ، وسألني عن سيرة

الإمام السيد أحمد الشهيد التى ألفها وأدلى ببعض المعلومات فى هذا الموضوع تدل على أن السفر الطويل لم يذهله ولم يشغله عن مثل هذه الموضوعات العلمية .

رأى معاليه فى الكتب الحديثة

وسأل الأستاذ نجم المصرى عن رأيه فى الكتب التى ألفت حديثا فى موضوع الاقتصاد الإسلامى والنظريات السياسية فقال . آخذ على هذه الكتب أنها تريد أن يساير الإسلام قافلة الأفكار الحديثة والفلسفات الحديثة وتؤول الإسلام على حسبها ، ولا تفهم الإسلام فهما مجردا خالصا من التأثير الخارجى وقال : ومن أعجب هذه الكتب تفسير الجواهر للطنطاوى ولما قرأته ظننت أنه كتاب مدرسى فى علوم الطبيعة ، قلت : وكيف يتخلص المؤلف من ظلال الظروف المحيطة به وتأثير العصر والأفكار السائدة . وهل ذلك ممكن ؟ قال : نعم إلى حد ما ولكنه صعب ، وكان الحديث حديثا علميا دسما وذلك عهدى به فى مجالسه فى الهند ، وأخطروه بقرب ميعاد الطيران فقام نشيطا وودعنا و « كان معنا فطار عنا » كما قال عبد الحميد الكاتب عن مروان بن محمد .

الاثنين ١٥/٨/٧٠ هـ — ٢١/٥/٥١ م

تجربة غريبة في وزارة الداخلية

ذهبت إلى إدارة الجوازات فى وزارة الداخلية وكان العمل ربما يستغرق أسبوعا أو أكثر إذا سار الأمر سيره فى الإدارات وقطع جميع المراحل الشكلية فى طريقه الطبيعى ، ولكن الموظف المختص بذلك ترك شغله وذهب بنفسه إلى مصلحة الأجانب وأكمل الإجراءات ثم عرض المسألة على كل من تتصل به ، وأتم الإجراءات بسرعة ممكنة ولما أردنا أن نقدم إليه بعض الرسائل امتنع وأبى

وقال لقد حلفت أن لا آخذ من أهل الأشغال شيئا قلنا هذه هدية ليست فى مقابلة خدمة ولا مكافأة للصنع ، إنما هى هدية علمية فقال: عندى مكتبة خاصة ولا أستطيع أن أقبل هذه الهدية بحال من الأحوال ، وهذه هى المعاملة الأولى من نوعها جربناها فى دوائر الحكومة على اختلاف أنواعها وأسمائها ، فأعجبنا كذلك هذه النزاهة ولو كانت مصر كلها على هذه الصورة وكانت مع كل واحد لكان لها شأن غير الشأن ولكانت مضرب المثل فى حسن الإدارة .

زرنا اليوم العالم الجليل الشيخ محمد زاهد الكوثري وجلسنا معه قليلا وأهدى إلينا بعض مؤلفاته التى لم يهدها فى الزيارة الأولى .

الجمعة ١٩/٨/٧٠ هـ — ٢٥/٥/٥١م

زرنا القناطر الخيرية مرة أخرى مع الدكتور غلام مصطفى إيناساً له ، وتغدينا فى ضيافة الشيخ لقمان الندوى ، وسافرنا إلى حلوان وحضرنا مناقشة كتابى ماذا خسر العالم ، وقد تقدم هذه المناقشة عرض للكتاب قام به أحد أعضاء الندوة ، وكان أكثر الحاضرين متخرجين من جامعة فؤاد ، وسررت وتشرفت بطبيعة الحال باعتنائهم بهذا الكتاب، ولما علموا بوجود مؤلف هذا الكتاب وجهوا إليه أكثر الأسئلة واستفسروا عن بعض ما جاء فيه فأجبتهم وتباحثنا عن طريق الدعوة الاسلامية الصحيحة والنهضة الإسلامية الجديدة .

رأى الأستاذ سيد قطب فى منهاج الدعوة الإسلامية

وأدلى كل برأيه ، وأبديت رأيي وتحدث الأستاذ سيد قطب فى تفصيل ووضوح ، ويتلخص رأيه فى أن المرحلة الأولى تربية الإنسان نفسه وإعدادها للدعوة الإسلامية وتحقيق مطالبها ، ثم دعوته لغيره وتربيته له حتى تتكون الجماعة الإسلامية الصحيحة، ورأيه أن الجماعة لا بد أن تتكون من أفراد صالحين

كما كان فى العصر الأول وأن يبتدي من أفراد، وهؤلاء الأفراد يتكتلون وتقديره أن هذه العملية قد تأخذ خمساً وعشرين سنة وقال إن الناس يستبطئون هذه المدة وأنا أستعجلها، ثم جرى الكلام عن الفرد الأول الذى يتعهد هذا العمل فأشار إليه بعض الحاضرين وأثنوا عليه وقالوا إن الكتب العظيمة التى ألفها لا تصدر إلا عن قلب مؤمن وعقيدة متينة وخلق مستقيم، هنالك تكلم الأستاذ وشهد على نفسه بكل صراحة وجسارة وقال: أنا لا أعتقد أنى أستحق هذا الثناء والأمل، وليس صدور الكتب دليلا على أن المؤلف اجتاز المراحل الأولى فى التربية الإسلامية و إعداد النفس، وأنا أعرف معركة قائمة بين بيئتى وما أنا فيه من راحة و رخاء وفرص، و بين ما يطلبه الإيمان والجهاد من التضحية والإيثار والزهد والقوة الروحية، وأعرف أن المرحلة النهائية لا تزال بعيدة وأن الميزان ما ذكره القرآن: « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم و إخوانكم » الآية فما لم أر هذا المنزل الذى أسكنه والحص والوظيفة والعطلة وأسباب الغنى والفقر سواء فإنى لا أزال بعيداً عن حقيقة الإيمان والتربية الإسلامية فلا أريد أن أخدع نفسى ولا غيرى، وقد أعجبتنى هذه الصراحة جداً وأصبحت أجل الأستاذ سيد قطب وأحبه أكثر من ذى قبل.

الأستاذ يذكر تطورات حياته

وذكر الأستاذ مراحل حياته وكيف وصل إلى العقيدة الإسلامية أو الإيمان بالإسلام من جديد، وذكر كيف نشأ على تقاليد الإسلام فى الريف وفى بيئته ثم انتقل إلى القاهرة فانقطعت كل صلة بينه و بين نشأته الأولى، وتبخرت ثقافته الدينية الضئيلة وعقيدته الإسلامية، ومر بمرحلة الارتياب فى الحقائق الدينية إلى أقصى حدوده، ثم أقبل على مطالعة القرآن لدواع أدبية، ثم كيف أثر فيه القرآن وتدرج

به إلى الإيمان ، وكيف أثرت فيه كتب السيرة ونصح إخوانه بالاعتناء بدراسة القرآن وكتب السيرة ، وأفدت من هذا الحديث القيم كثيراً . ثم استأذناه وطلبت منه أن يقدم لكتابي « ماذا خسر العالم » . وقد كانت هذه الفكرة تساورني من زمان إلا أنها ملكت عليّ اليوم فكري .

الخميس ٢١ / ٨ / ٧٠هـ — ٢٧ / ٥ / ٥١م

في حفلة عيد الاستقلال في السفارة الأفغانية

جاء الأستاذ فريد عبد الخالق والأستاذ عبد الحفيظ الصيفي وجلسنا قليلا وقمنا إلى السفارة الأفغانية لحضور احتفالها السنوي بعيد الاستقلال ، وقد كنت تلقيت دعوة من سعادة السفير إلى الحضور ، ودخلنا السفارة وهناك سلسلة طويلة من المناضد المملوءة بالحلويات والكعك . وتناولنا الشاي وألقى سعادة السفير كلمة بمناسبة عيد الاستقلال تنم عن روحه الدينية وثقافته الإسلامية وختمها بهتاف : الله أكبر ولله الحمد .

وكان مما تمتاز به هذه الجلسة خلوها من « السيدات » البتة ، وقد سمعت أن سيدة قصدت الحفلة فمنعها الحارس على الباب .

وبعد صلاة المغرب صادفت الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر وعرفته نفسي فقال : قرأت نصف كتابك (ماذا خسر العالم) وقد أعجبت بسلوك في هذا الكتاب ودعا بالخير .

الثلاثاء ٢٣ / ٨ / ٧٠هـ — ٢٩ / ٥ / ٥١م

حديث مع الأستاذ الأكبر

ذهبنا لزيارة الأستاذ الأكبر ودخلنا مكتبه الخاص بالإدارة فاحتفى بنا

وقدمني إلى أستاذ بجنبه وذكر كتابي « ماذا خسر العالم » وقال : لقد قرأته في مرضي وذكر كتاباتي ، وقدم الأستاذ إلى فإذا هو فضيلة الشيخ محمود شلتوت رئيس قسم البحوث الإسلامية ، وقد كنت طلبت مقابلته أول مجيئي إلى مصر ولكنه كان مرهقا متعبا في تلك الأيام فلم يقدر اللقاء إلا في مكتب الشيخ هذا اليوم ، ولما سمع اسمي عرفني ورحب بي وأبدى سروره بهذه المصادفة، وكان قد قرأ رسالتي « الدعوة الإسلامية » وكلمت الأستاذ الأكبر في مسألة البعوث الإسلامية وما تحتاج إليه من توجيه وعناية وتعهد، وأشرت إلى أهميتها وأنها أعظم ثروة تنفرد بها مصر ويعتز بها الأزهر ، وأنه لو أحسن توجيهها لأمكن إصلاح كبير في الأقطار الإسلامية بواسطتها إلى ما حضرني في ذلك الوقت ، فأصغى الأستاذ الأكبر إلى هذا الحديث وأبدى اهتمامه به ، وذكر أنه لم يغفل المسألة ، وذكر بعض إجراءاته وآرائه في الموضوع وطلب مني أن أكتب مذكرة بشأن البعوث وأبدى فيها آرائي وملاحظاتي وأقدمها إلى فضيلة الشيخ محمود شلتوت فوعدته بذلك ، وإني سأقدم ذلك بعد غد ، وكلمته كذلك في إرسال بعثة من علماء الأزهر إلى الهند تدرس الحالة الدينية هناك وتتصل بالمسلمين وتطلع على الحركات الإصلاحية والدعوة الإسلامية ، فاقترح علي تقديم هذا الاقتراح أيضا .

الخميس ٢٥ / ٨ / ٧٠ هـ — ٣١ / ٥ / ٥١ م

مع الشيخ محمود شلتوت

ذهبنا إلى مكتب فضيلة الشيخ محمود شلتوت وقدمت إليه المذكرة ووقف في أثناء القراءة عند بعض التعبيرات وهو قولي: « وقد ألقت الأقطار الإسلامية أفلاذ أكبادها إلى الأزهر » وقال قبل أن أنتهي من قراءة هذه المذكرة أريد

أن أسمع قصة تعلمكم ومراحل التعليم التى اجتزتموها فحكيت له حكايتى من أول دراستى إلى اشتغالى بالتدريس ثم اعتزالى عن الوظيفة واشتغالى بالدعوة ، وقد وافق على نظام تعليمى فقد كنت أتوفر على دراسة علم واحد بغير أن أجمع بينه وبين علم آخر وقال هذا هو النظام الطبعى المعقول وأستحسن تقديم دراسة الأدب العربى على التفسير والتفسير على الحديث والحديث على الفقه وذكر آراءه فى علم التفسير واقترح تعريب كتابى « محاضرات فى القرآن » وأعجب بتقسيم علم التفسير فى دار العلوم بين تدريس متن القرآن المجرد والمحاضرات فى موضوعات القرآن العامة وكتب تفسير للمتقدمين ؛ وبعد ذلك قرأ المذكرة وقدمها لطبعها على آلة الكتابة ، وطلب منى مذكرة بشأن البعثة إلى الأزهر وملاحظاتى عما رأيت فى أروقة الأزهر وما تحتاج إليه من إصلاح وتنظيم .

الأحد ٢٨ / ٨ / ٧٠ هـ — ٣ / ٦ / ٥١ م

اقتراح الدكتور محمد يوسف موسى

ذهبنا إلى مجمع فؤاد الأول حيث وجدنا الدكتور منصور فهمى فى انتظارنا وجلسنا قليلا ثم أصحبنا سعادة الباشا موظفا فى المجمع يشتغل بالترجمة . وفى الطريق فاجأنا الدكتور محمد يوسف موسى وهو يسرع خلفنا ليدركنا فسررنا بهذه المفاجئة وقال : كنت فى المجمع فسمعت بخروجكم فعدوت خلفكم لألحقكم ، وأبدى إعجابه بكتاب شاعر الإسلام وقال قرأت فيه أفكارا غريبة جدا ، وواجب عليك أن تؤلف كتابا مستقلا عنه وهذا حق عليك ، وعزم على وألح فى ذلك فوعدته به وعزم علينا أن نخبره برجوعنا ونفطر عنده ، وأن أقدم إليه نسخة مصححة لكتاب (ماذا خسر العالم) وأنه استأذن الأستاذ أحمد أمين فى نشر الكتاب فأذن

له وسيكتب مقدمة عليه[1].

زيارة دار الآثار المصرية

ودخلنا دار الآثار وصحبنا الأستاذ جمال افندى وهو حافظ لتاريخ مصر القديم فصار يلقى درسا فى آثار الفراعنة وحضارتهم وعاداتهم عند كل أثر، ولكن الوقت كان قصيرا فألقينا نظرة عجلى وقضينا العجب مما رأينا.

الأحد ٢٨ / ٩ / ٧٠ هـ — ٣ / ٦ / ٥١ م

إلى السودان

من القاهرة إلى الشلال

صحت عزيمتنا على السفر إلى السودان، وكان ذلك خيرا، وصلنا إلى المحطة قبل صلاة المغرب، ووجدنا زحاما من الطلبة السودانيين، المشيعون أكثر من المسافرين، وأوصوا بنا إخوانهم خيرا وودعونا إلى بلادهم وداعا حارا، ووجدنا مكانا طيباً فى الدرجة الثانية، وبعد ساعتين وجدنا المسافرين قد نزلوا فاستطعنا أن نستلقي على مقاعدنا ونتمدد وننام، ومررنا بأسيوط بلد الإمام السيوطى فى نصف الليل ونحن نيام.

الاثنين ٢٩ / ٨ / ٧٠ هـ — ٤ / ٦ / ٥١ م

فى مقر حكومة الفراعنة

صلينا الفجر وجلسنا نتفرج على صعيد مصر مقر حكومة الفراعنة، ومن غريب المصادفات بل من عجائب القرآن أنى كنت أتلو سورا من القرآن من

---

(١) ظهرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب منذ حين، أخرجتها جماعة الأزهر للنشر والتأليف، وقد قدم لها الدكتور محمد يوسف موسى والأستاذ سيد قطب والشيخ أحمد الشرباصى.

في الجزء الخامس والعشرين وهي مملوءة بالأحاديث عن فرعون ، وقد صادف أن القطار وقف بالأقصر وهي عاصمة الفراعنة القديمة وأنا أقرأ: (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) وقرأت وأنا أمر بهذه المنطقة الخصبة الجميلة قوله تعالى: (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) صدق الله العظيم (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

ومما استحسنته في هذا القطار وجود الماء المثلج طول السفر في القطار ، يستطيع المسافرون أن يأخذوه من صنبور قريب منهم ، ووجود مستخدمين يساعدون المسافرين في الركوب وأخذ مقاعدهم وترتيب حوائجهم ، وذلك كله مما يحسن أن تقتبسه مصلحة القطر في بلادنا .

مررنا بعد أن تعالى النهار على الطلبة السودانيين في محلهم وهم يطالعون بعض رسائلي وتحدثت معهم قليلا وهم طلبة كليات الجامعة يرجعون إلى بلادهم في الإجازة الصيفية .

أرى الوادي – وأنا أكتب هذه السطور – يتضايق بين سلسلتين من جبال وبينهما يجري النيل ، وقد يتوسع هذا الوادي وقد يقرب النيل وقد يبعد .

مررنا بأسوان وتذكرنا خزان أسوان ، ولكن لم يسمح الوقت بزيارته ، وانتهى سفر القطار على الشلال .

في الباخرة

ونزلنا منه نستقبل نوعا آخر وهو السفر بالباخرة ، ولكنها لا تسير في البحر

بل تسير فى النيل ، إذن لاخوف من الدوار والغثيان وانتهينا من مراحل الجمرك وعرض الجوازات وأخذنا محلنا فى الباخرة ، وكان من لطف الله بنا أنا وجدنا مكانين محجوزين باسم طالبين فى الأزهر لم يحضرا وكان بعض الطلبة قد أخبرنا بذلك وقيدنا أسماءهما و بذلك استطعنا أن نسافر فى الدرجة الثانية .

الحر شديد وغرفتنا فى الباخرة مستقبلة الشمس، وقد احتمت الباخرة لطول وقوفها فى الشمس فكأننا فى المطبخ ، كان اليوم اليوم التاسع والعشرين من شعبان فكان الهلال مرتقبا إلا أنه لم يظهر ، جمعنا بعد المغرب ركاب الدرجة الثانية فى الصندل الذى نحن فيه ، وأكثرهم طلبة جامعة فؤاد والقليل طلبة الأزهر ، وتحدثت إليهم حديثا دينيا وتعرف بعضنا ببعض .

يوم الثلاثاء ٣٠/٨/٧٠ هـ — ٥/٦/٥١ م

أصبح كثير من الركاب صائمين لأنهم اعتمدوا على التقويم، ولم نصم لأنا لم نر الهلال ، فأكملنا شعبان ثلاثين .

رأينا الهلال وقد كان رقيقاً جداً فأهلا ومهلا ومرحباً بالشهر المبارك ،اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى .

كان الصندل الذى نحن فيه تقوده باخرة ذات طبقات ومطعم كبير ، ثم قادته باخرة صغيرة لأن النيل كان قليل الماء ، ووصلنا فرس ـ بدل الحلفة ـ فى الثانية عشرة من الليل ، و بقنا الليلة فى الباخرة ولم ننزل منها

الأربعاء غرة رمضان ٧٠ هـ ــ ٦/٦/٥١ م

أصبحنا بتوفيق الله صائمين ، تمت مرحلة الجوازات والجمرك وأخذنا محلنا المحجوز فى القطار فى الدرجة الثانية ؟ وأبرقنا إلى السيد على ميرغني بقدومنا

وسار القطار يقطع الصحراء تسفي في وجوهنا الرياح التي تحمل شيئاً كثيراً من رمال الصحراء ، أفطرنا في غرفة بعض السودانيين الذين دعونا إلى الإفطار بالحاح . وتعشينا في عربة الأكل في القطار بعد ما تأكدنا من نظافة الطعام وخلوه من الريبة ، لأن كثيراً من ركاب الدرجة الأولى والثانية إنجليز ونحن نسافر في الحدود الإنجليزية .

الخميس ٢ / ٩ / ٧٠ هـ — ٧ / ٦ / ٥١ م

نزلنا في الخرطوم البحري والساعة الرابعة والنصف في العصر والحر شديد ، واستأجرنا سيارة وتوجهنا إلى مقر السيد علي ميرغني ، وعرفنا أن السيد أخبر بقدومنا وأن الخدم ينتظرون تعليماته لشأننا ، وبعد قليل أشار إلينا بعض رجال السيد أن نركب معه السيارة ونتوجه معه إلى حيث صدر الأمر بنزولنا، فركبنا ونزلنا عند بيت لأحد تجـــار الخرطوم البحري اسمه الشيخ الطيب إبراهيم عبد المقصود من حلفاء السيد وأقاربه ،وقال صاحبنا هذا مضيفكم وعنده تعليمات السيد،وسألناه عن موعد زيارة السيد فقال ستعرفون . ونزلنا في بيت رحب وعند رجال كرام ، واسترحنا بعد الفطور فقد كنا متعبين ، وعند ما أردنا القيام للتراويح إذا بالعشاء يحضر ، ومن عادة بلادنا أن العشاء يلي الفطور لا يفصل بينهما إلا صلاة المغرب ، فاستغربنا لأننا لم نحسب لهذا العشاء حسابا ، وقد قضينا حاجتنـــا من الأكل مع الفطور ، ولـــكنا نزلنا عند رغبة الضيف وتعشينا .

الجمعة ٣ / ٩ / ٧٠ هـ — ٨ / ٦ / ٥١ م

نمنا بعد صلاة الصبح لنستوفي حظنا من النوم وقمنا بعد ما ضربتنا الشمس وتهيأنا للجمعة ، وصليناها في الخرطوم البحري في جامع السوق ، وطلب مني الإمام إلقاء كلمة فاعتذرت عنها ، وكانت خطبة الخطيب حول الصيام والقيام

فى رمضان ، قضينا رمضان كله فى منزلنا الجديد ونحن نترقب إذن السيد وميعاده للمقابلة وشق علينا الانتظار ، وفى الليل جاء الخبر بأن السيد يقابلنا غداً فى الساعة العاشرة فاستبشرنا ونشطنا لهذا الخبر

السبت ٤ / ٩ / ٧٠ هـ — ٩ / ٦ / ٥١ م

السيد على الميرغنى باشا

قمنا من النوم والشمس فى ظهورنا وتهيأنا لزيارة السيد ، وعرفنا أننا سنستقبل رجلا طالما سمعت عنه .

وهو الرجل الذى يتمتع بنفوذ واسع ،وثقة كبيرة من الشعب السودانى ويحل فى قرارة نفوس أتباعه الذين يعدون بألوف وألوف ، وهو الذى استطاع بنفوذه الروحى وشخصيته القوية وعقله الكبير أن يقوم فى وجه الإنكليز وأن يحافظ على زعامته الروحية ومكانته السياسية ، وهو زعيم حركة «وحدة وادى النيل» الأكبر فى السودان ، وقد كنت سمعت أنه صاحب اطلاع واسع متسع على الحركات السياسية والدينية شغوف بالمطالعة حريص على المعرفة والدراسة ،وأنه رجل يقظ نشيط ، وأنه نظم آلافاً من السودانيين وشغل الشباب السودانى بنظام يجمع بين الرياضة والذكر والنظافة والنشاط ، كان له الشغل الشاغل عن الحركات الهدامة والأشغال المفسدة للأخلاق ، ويرجع إليه فضل كبير فى تهذيب أخلاق هؤلاء الشباب ، وانتشار الدعوة فى السودان ، سمعت كل ذلك ممن زاروه واجتمعوا به فى مصر والسودان ، ولكن الأمر الذى بعث فى نفسى الإعجاب بشخصيته والإجلال لها ، هو أنه لم يقع فى شرك الأجانب وأنهم لم يستطيعوا أن يشتروه ويشغلوه ، ولم ينخدع بهم على كثرة من انخدع لهم من المشايخ والعلماء والزعماء والعظماء .

مع السيد

تقدمنا لزيارة السيد وجلسنا فى قاعة كبيرة فاخرة الرياش فيها كراسى جميلة عليها مساند من ريش الطاووس تحت مروحة كهربائية والقاعة تمتاز بالبساطة وحسن الذوق ، وطلع علينا السيد بعد قليل فاستقبلنا شيخاً فى السبعين من عمره نحيف الجسم سودانى السحنة، وتبدو على محياه مخائل الهم والتفكير وآثار الدراسة المضنية والسهر الطويل تشف عيناه عن ذكاء ممتاز ، وتدل ناصيته العريضة على علو الهمة وكبر النفس ، وتلقانا بترحيب وبشاشة ، وجلسنا نتحدث وكان الحديث دائراً حول الهند وتاريخها ودياناتها واضطراباتها الطائفية ونتائجها ومصير المسلمين وشئونهم الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية ، وعن الجوامع والآثار القديمة وعن المنبوذين والشيوعية وكان يعلق على أجوبتى ويبدى رأيه ، وكان ذلك يدل على اطلاعه الواسع ودراسته المتنوعة ، ويظهر أنه مطلع على النظم السياسية المختلفة ، متصل بما يجرى فى أوربا متتبع للأخبار الجديدة ، والأحوال الأخيرة ، فيه الاستطلاع الزائد على معرفة الحديث الأحدث عن كل بلد ، وظهر كذلك أنه رجل متزن الفكر سديد النظر دقيق الملاحظة وقد رأيت فيه شبهاً كبيراً بمولانا أبو الكلام أزاد فى اتساع المعلومات والنشاط الفكرى .

الأحد ٥/ ٩/ ٧٠ هـ — ١٠/ ٦/ ٥١ م

نفوذ السيد

مما لاحظته فى هذه الأيام القليلة فى السودان أن القلوب مجتمعة على حب السيد وأنه يتمتع بنفوذ عجيب وثقة غريبة، فكل من سمع أنا مقيمون فى ضيافة السيد أبدى ارتياحه إلى ذلك، ولم أجد إلى الآن من يتكلم فى السيد أو يطعن فيه ، وكلهم يثنون على إخلاصه وتجرده من الأغراض وعلو نسبه وسعة اطلاعه

السخط ضد الإنجليز

لاحظت أن موجة السخط ضد الإنجليز عامة وقوية ، والحديث عن إضراب البوليس حديث النوادى والشغل الشاغل للناس ، قلما يخلو منه المجلس ، وقد أفطرنا على هذا الحديث وتسامرنا به

٦ / ٩ / ٧٠ هـ — ١١ / ٦ / ٥١ م

جولة فى العواصم

بقيت اليوم كذلك متعطلا لم أخرج من البيت وقد شق على البقاء بغير شغل وانتظرنا زيارة السيد .

و بعد صلاة المغرب والإفطار أخذنا الشيخ عبد الرحيم شقيق المضيف على سيارته وطاف بنا فى العواصم الثلاث حتى انتهى بنا إلى جامع أم درمان أكبر العواصم الثلاثة والبلد الشعبى ، وهناك زرنا الشيخ عوض عمر إمام الجامع

الانجذاب إلى مصر

لاحظت أن فى الشعب السودانى انجذابا قويا نحو مصر وكل ما يتصل بها وتشيعاً واضحاً متحمساً لمصر ، ولم ينجح الإنجليز فى صرف الشعب عن هذا الانحياز.

يوم الثلاثاء ٧ / ٩ / ٧٠ هـ — ١٢ / ٦ / ٥١ م

حديث مع الأستاذ إسماعيل الأزهرى بك

اتفق مضيفنا وشقيقه الشيخ عبد الرحيم مع الأستاذ إسماعيل بك الأزهرى رئيس حزب الأشقاء على مقابلتنا فى إدارة جريدة الأشقاء قبل الظهر ، فقصدنا

الخرطوم العمومى واجتمعنا به فى إدارة الأشقاء ، وتحدثنا طويلا عن إمكانيات الدعوة الإسلامية فى قارة افريقيا والرجال القائمين بها .

رأيه فى العلماء الرسميين

وانتقد الأستاذ جماعة العلماء الموظفين فى الحكومة ، وقال : إنهم تعلموا الدين لمجرد التحاقهم بقسم الشريعة الإسلامية فى الكليات ؛ وليسوا من بيئة دينية ، ولم ينشأوا فى الدين ، ثم تولوا القضاء الشرعى والإفتاء فى الحكومة فهم لا ينتسبون إلى الدين ولا يعالجون شئون الدين إلا بحكم وظائفهم وحرفتهم ، بخلاف شيوخ الطريقة الذين ولدوا فى بيوتات دينية عريقة فى الدين والعلم ، ونشأوا فى بيئة الصلاح والديانة ، فتجدون فيهم الدعاة المخلصين والمرشدين المتحردين . قال : كنا فى كلية غردون وكان الطلبة يقسمون على أقسام الدراسة بطريق المجازفة والتحكم ، لا على اختلاف الأذواق والمناسبات ، ووقع على الاختيار كطالب فى قسم الرياضة والعلوم المدنية ، وحشر كثير من زملائى فى قسم الشريعة فكان منهم القاضى والمفتى والعالم فليس منهم عرق دينى ، وليس لهم تراث على ؛ وذلك هو السبب فى أنهم مشغولون بالوظائف غير مهتمين بالدين والشعب .

رأيه فى السيد

وأثنى الأستاذ الأزهرى على مولانا السيد على الميرغنى وعلى إخلاصه وحكمته فى الدعوة ونشاطه وقال : هذا رجل موفق لا شك ، وإليه يرجع الفضل الأكبر فى حفظ الشباب من مفسدات الأخلاق والاندفاع وراء التيار ، قال : وكان من توفيق الله تعالى أن عنى السيد بالحركة والتنظيم ، وهو فى سن عالية ، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد خيرا على يديه لهذا الشعب .

الحاجة إلى الدعوة الإسلامية في افريقيا

وتكلمت عن الحاجة إلى حركة قوية للدعوة الإسلامية فى المناطق الإفريقية التى لا تزال على جاهليتها وبداوتها ، وأن هذه الحركة من أعظم القربات إلى الله وأقوى الأسباب لقوة المسلمين والنهضة الصحيحة ونيل الغايات التى يهدف إليها أمثاله ، ورجوته أن يصرف بعض عنايته ونشاطه إلى هذا الجانب ، فاعتذر باشتغاله بحركة وحدة الوادى وأنه لا يعتبر نفسه من رجال الدين وأنهم أولى بذلك منه ، وأقدر عليه ، إلا أنه يعتنى به ولا يستهين بقيمته وأخبرنى بقيام جمعية التبشير الإسلامى لنفس هذا الغرض ؛ وطلب منى مقابلة سكرتيرها الشيخ شوقي الأسد فأبديت استعدادى لذلك ؛ وأبديت رغبتى فى زيارة نادى الخريجين وزيارة النادي السودانى والنادى المصرى ، فقال إنه يتوسط فى ذلك ويهيىء الأسباب ، وخرجنا من عنده متشكرين معجبين بثقافته وفهمه وحسن حديثه

ومن هنا قصدنا إلى المحكمة الشرعية حيث اجتمعنا بالشيخ حسن المدثر القائم بأعمال قاضى القضاة والشيخ أبى القاسم مفتى الديار الســـودانية ، وكلمناهما فى موضوع الدعوة والتبشير فى جنوب السودان والمناطق التى لا تزال على الكفر والجهالة ، وأخبرنى قاضي القضاة أن الحكومة الإنجليزية سمحت أخيرا بالتبشير الإسلامى فى جوبا وكان ممنوعا ، فتفاءلنا بهذا وقوينا عزمه على الاعتناء بالدعوة .

يوم الاربعاء ٩ / ٧٠ — ١٣٠ / ٦ / ٥١ م

مقابلة الشيخ شوقي الأسد

ذهبنا اليوم لزيارة الشيخ شوقى الأسد سكرتير جمعية التبشير الإسلامى

وتكلمنا فى موضوع الدعوة ، وذكر ما تم فى هذا الشأن وأبدى استعداده وعزمه على القيام بهذه المهمة الجليلة ، واسترعيت نظره إلى أهمية وجود الناس المتطوعين والدعاة المخلصين العاملين لوجه الله وأن ذلك أهم وأقوم من الجانب المالى وجمع الإعانات والميزانية الجيدة للجمعية ، واقترحت عليه إرسال بعض العلماء وأعضاء الجمعية إلى الهند ، يدرسون هناك طرق الدعوة وأساليبها ويتصلون بالدعاة المخلصين ، واقترحت عليه زيارة الهند والباكستان كذلك ، فرحب بهذه الفكرة ووعد بجمع رئيس الجمعية وأعضائها حتى أتحدث إليهم وأعرفهم .

صلينا العشاء والتراويح فى جامع الخرطوم البحرى وألقيت كلمة وجيزة عن رمضان وأنه كنهر طالوت للمسلمين يبتليهم الله به .

يوم الخميس ٩ / ٩ / ٧٠ هـ — ١٤ / ٦ / ٥١ م

حديث ضاف مع سماحة السيد

جاء رسول السيد يخبر بميعاد الزيارة فى الساعة العاشرة والنصف فانتعشت قلوبنا ، وقد عيل صبرنا فى انتظار هذه الزيارة وقصدنا داره ، وكان الاجتماع اليوم مما يروى الغليل ويشفى العليل ، فقد استمر المجلس ساعتين ونصف ساعة تناولنا فيه الكلام عن موضوعات كثيرة ؛ تحدث السيد فى موضوع الدعوة فى إفريقية وأدلى بمعلوماته القيمة وعن العراقيل التى تنشئها الحكومات المستعمرة فى سبيل هذه الدعوة وما يواجه الدعاة من الصعوبات والمشاكل فى مهمتهم وذكر الاختلاف بين المناطق المختلفة ، وإحصاء النفوس فيها ونسبة المسلمين ، واختلاف طباعها وأقاليمها وعاداتها فكان كلام خبير مدقق ، وذكر أن لم يبتكر هذا النظام للشباب السودانى إلا لأجل نشر الدعوة وحفظ الشباب من الجائحات والتيارات المعارضة للدين والأخلاق ، وكان لهذا النظام تأثير كبير ومفعول

عظيم فى تهذيب الأخلاق وتنظيم الشباب والإقبال على الدين ، وانجذاب كثير من غير المسلمين إلى هذه المنظمات ودخولهم فى الإسلام بفضلها ، وأيده فى ذلك الشيخ عمر إسحاق من رجال السيد وزملائه ، وذكروا تجاربهم ومعلوماتهم فى هذا الصدد ، وأنه هو الحارس الوحيد فى السودان من التحلل الخلقى والفوضى والاستهتار .

وذكرت للسيد نشاط الدعوة الإسلامية الأخير فى الهند وسيرة رجاله وجولاتهم فى طول البلاد وعرضها ، ونظام الجماعات ورحلاتهم ونظام التعليم والذكر والاجتماعات .

الحركة غريزة فى الشباب يجب أن تستثمر وتشغل بالمفيد

فسر بذلك وقال : لاشك أن الحركة وحدها هى التى يمكن بها حفظ الشباب وتربيتهم، فإن الحركة فى الشباب غريزة وهى تقهر ولا تقاوم ولكنها تشغل وتستثمر بالمفيد الصالح ، وهذه هى الجامعة التي تجمع بين نظامنا فى السودان وحركتكم فى الهند ، هنالك اقترحت على السيد إرسال بعثة سودانية إلى الهند لدراسة الأحوال الدينية والمشاريع الإصلاحية وأساليب الدعوة وبذلك يكتسب رجال الدعوة بعض المعلومات الجديدة والتجارب المفيدة وتكون فى صالح البلدين والشعبين الشقيقين ، وفى صالح الدعوة الاسلامية بوجه عام ، فأعجب السيد بهذا الاقتراح ورحب به وقال: لا مانع عن إرسال هذه البعثة وسوف يكون هذا الاقتراح موضع دراستنا وتفكيرنا ، واقترحت عليه ذلك إرسال وفد سودانى إلى الحجاز فى الموسم يتصل بالدعاة الباكستانين والهنديين ، فرحب بهذا الاقتراح أيضا .

وطلب من الشيخ عمر إسحاق أن يدعونا إلى حفلة للشباب الميرغنى يوم

الجمعة حتى أرى نظامها ، وكان في حديث اليوم أيضا نصيب للحديث عن الهند وشرح نظامها السياسى وما يستقبل المسلمون من صعوبات فى سبيل البقاء على ثقافتهم ولغتهم والتعليم الدينى ، وما يجر توحيد التعليم ، والتعليم الإجبارى ، وتوحيد القضاء عليهم من عقد ومشاكل ؛ وتكلمنا عن حلولها .

بعض آراء السيد

وتكلم السيد عن مشاكل للتعليم المدنى العصرى فى جميع البلاد الإسلامية .

لا يمكن تجريد التعليم عن طبيعته وعلاته

وقال . لا يمكن تجريد التعليم المدنى عن طبيعته وعلاته ، فإنه إذا طبق فى بلاد فإنه يؤتى أكله كلها من حلو ومر ، وقال : إن تأثير الحضارة الغربية قوى فى العالم الإسلامى .

الأقطار الإسلامية على أثر تركيا

وإن الأقطار الإسلامية كلها تسير على أثر تركيا الكمالية ، إلا أنه وجد فى تركيا مثل أتاتورك الشديد الذى نفذ المدنية الغربية والآراء التى كان يعتقدها بشدة وإجحاف وسرعة ، ولكن الأقطار الأخرى تصل إلى ما وصلت إليه تركيا فى خمسين سنة ، وأبدى رأيه عن ضرورة دراسة اللغات الغربية ، وذكر أنه لا يصح الاستغناء عنها .

تدريس العلوم بالتراجم محاولة فاشلة

وقال : قد حاولت مصر أن تدرس الطب باللغة العربية وتراجم

الكتب الغربية ، ولكن ثبت بعد مدة أنه لا تمكن مسايرة تقدم العلم والتجارب فى لغة أخرى فتتخلف التراجم وتتقدم العلوم والاكتشافات، وحركة الترجمة حركة بطيئة قاصرة ؛ فأقبلوا على التدريس الطب باللغات الأوربية .

وفي هذه الآراء الحصيفة والملاحظات الدقيقة لمحت مرة ثانية سعة اطلاع السيد وألمعيته ، وعرفت كذلك أنه مطلع على الحركة العلمية والأدبية في مصر وغيرها ، ويطالع المجلات على اختلاف مشاربها ومناهجها ويميز بينها .

مصر يغلب عليها الطابع الأدبى

ومن رأيه أن مصر غلب عليها الطابع الأدبى والنزعة الأدبية المجردة ، وأن الحركة العلمية الجديدة ضعيفة بالنسبة إلى الأدبية ، وإقبال الشعب عليها ضعيف فاتر ، لذلك لم تجد مجلة «المقتطف» المجلة العلمية الوحيدة رواجاً كبيراً ،

تنزل المجلات المصرية إلى التبذل

واضطرت مجلة «الهلال» أن تتنزل من مستواها العلمى إلى هذا التبذل والإسفاف الذى نزلت إليه ، وهذا مما يؤسف له .

وقد انبسط السيد لهذه المقابلة كثيراً ، وبدا السرور في وجهه وانتهزت هذه الفرصة فتكلمت بحرية ونشاط وذكرته بكتبي التي بعثتها إليه وطلبت منه أن يعيرها نظرة فوعد بذلك ، ورأيت مجموعة قديمة من الرسائل التى أهداها إليه الأخ الشيخ عبيد الله موجودة ، وقد أعطاها السيد للشيخ عمر إسحق للمطالعة .

فى ضيافة سودانية شعبية

أفطرنا عند الشيخ عوض عمر إمام الجامع ، وكانت دعوة شعبية تمثل السودان

عشيلا صحيحا جميلا ، وكان كل شيء وطنيا وعلى سجيته ، فجلسنا على سفرة ممــــدودة مزدانة بأنواع الفطور ، تغلبت فيها المشروبات الباردة المروحة ، والمأكولات السودانية .

كلمتى فى الضيافة

وتــكلمت بعد العشاء ، وذكرت أن السودان وقارة أفريقيا تستطيعان أن تمثلا دوراً مهماً فى تاريخ العالم وفى تاريخ الإسلام ، إذا عرف إخواننا السودانيون قيمتهم وأحسنوا استعمالها ؛ ووجهتهم إلى تزعم حركة الدعوة الإسلامية ، وكان أكثر الحاضرين أساتذة المدارس الثانوية والمعاهد

محاضرتى فى دار خريجى الجامعة

ومن هنا توجهنا إلى جامع أم درمان ، حيث صلينا العشاء والتراويح . ثم توجهنا إلى دار خريجى المعهـــد حيث كان قد تقرر الاجتماع فى هذه الليلة ، وحضر هناك عــدد كبير من علماء العاصمة المثلثة وأساتذة المـدارس والشبان ، وألقيت محاضرة حول أهمية أفريقية الدينية وقلت : لقد لعبت آسيا دورها فى تاريخ العالم ، وتولت قيادة الأمم ، فـكان عهد سعادة للعالم ، لأن قيادتها كانت مبنية على تعاليم الأنبياء ومبادىء الدين ، ثم انتقلت إلى القيادة ـ لأسباب قاسرة ليس هـــذا محل شرحها ـ إلى أوروبا المادية المستعمرة ، فشقى العالم وشقيت الإنسانية بهذه القيادة كما يعلم الجميع ، وهذا دور قيادة أفريقية أيها المسلمون الأفريقيون ؛ فإن الله يمنح كل أمة وكل قطر فرصة القيادة والخدمة (هو الذى جعلكم خلائف) الآية ، ثم ذكرت كيف ينتهز الأفريقيون هذه الفرصة وكيف يستطيعون أن يأخذوا نصيبهم من هذه القيادة ، وكيف يستطيعون أن يوجهوا العالم توجيهاً دينياً ويخدموا الإسلام .

يوم الجمعة ١٠ / ٩ / ٧٠ هـ — ١٥/٦/٥١ م

فى احتفال الشباب الميرغنى

بعد صلاة العصر قابلنا الحاج سليمان موسى زعيم العمال ورئيس جمعية الشبان المسلمين فى السودان ، وكان معالى محمد صالح حرب (باشا) أعطانا كتاب توصية باسمه وقد تأخرت زيارتنا له ، واستقبلنا استقبالا كريمـاً ، ورحب بنا وتأسف على تأخير المعرفة والزيارة ؛ ودعانا إلى الفطور غداً فقبلنا شاكرين .

حضرنا بعد العشاء احتفال الشباب الميرغنى فى أم درمان ، وسمعنا أناشيد فى المدائح النبوية لبعض مشايخ هذه الطريقة وأجداد السيد ، وأعجبنا نشاط الشباب ونظافة ثيابهم ورشاقة أجسامهم وجمال بذلتهم

كلمتى فى الاحتفال

وطلب منى الشيخ عمر إسحاق إلقاء كلمة ، فألقيت كلمة تدور حول الشباب الإسلامى ، وتربيته ، وذكرت فيها دار الأرقم وشبابها الذين غيروا مجرى التاريخ ، ونصحتهم باقتفاء سيرتهم والتمسك بالشريعة ، والحرص على اتباع السنة ، وعلمت أن هذه الكلمة وقعت منهم موقعاً حسناً

نشيد لم يعجبنا

رأينا ونحن خارجون من الدار حلقة قائمة من الشباب يرددون فى لحن : (شيئاً لله ياحسن . أنت سلطان الزمن) فأنكرنا هذا النشيد الذى لا أرى له مبرراً ، والذى يعارض التوحيد معارضة صريحة ، وكيف تجوز الاستغاثة بشيخ ميت ، والاعتقاد بأنه سلطان الزمن ، ولست أدرى هل يعلمه السيد فيوافق عليه أو لا يعلمه ، وعلى كل حال فإنى أعتقد أن عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة

لله تعالى يجب أن يكون أول ما يهتم به المصلح ويدعو إليه الداعى والمرشد ، ولا يسعه التغافل عنه فى حال من الأحوال ، قال الله تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »

فى ضيافة الحاج سليمان موسى

ذهبنا إلى بيت الحاج سليمان موسى للفطور ، ووجدنا مجموعة طيبة من الضيوف المحترمين ، وأكثرهم أعضاء جمعية الشبان المسلمين ؛ وكان الفطور فاخراً قد تأنق فيه صاحب الضيافة ، وجمع بين لونى مصر والسودان فى الأكل .

وبعد الفطور والصلاة تكلمت بطلب المضيف ، ونوهت بجمعية الشبان المسلمين وشكرته على هذه الضيافة والروح الطيبة .

وداع السيد

ومن هنا خرجنا إلى دار مولانا السيد على الميرغنى باشا ، فقد دعانا للتوديع والحديث الأخير ، ووجدت أن ما ألقيته ليلة السبت فى اجتماع الشباب قد بلغ رجال السيد وشكرنى عليه ، وأثنى على الكلمة نائب السيد وخليفته ، وكان الشيخ عمر إسحاق حاضراً ، وكان حديث الليلة دائراً حول أحوال الحجاز الدينية وما يحدث المسلمين فى العالم على القلق من فشو التحلل ورقة الدين فى مركز الإسلام ، والترف الزائد والملاهى ، وغزو الأدب الفاجر والروايات الماجنة لبيوت المسلمين وعقول الشباب واتجاه التعليم وغير ذلك .

يوم الأحد ١٢/٩/٧٠ هـ — ١٧/٦/٥١ م

السودان طبيعيا وجغرافيا وسياسيا ودينيا

قبل أن نغادر السودان يحسن بنا أن نلقي نظرة عابرة على السودان وجغرافيتها فإنها من حقوق البلاد التي يزورها الإنسان ويقيم بها مـدة من الزمان .

تبلغ مساحة السودان مليونين و ٦٢٧ ألف كم ، ويبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ١٢٠٠ كم من وادي حلفا شمالا إلى «جوبا» جنوبا ، وأقصى عرض من الشرق إلى الغرب ١٥٠٠ كم ؛ بين البحر الأحمر وحدود مديرية (دارفور) و (أفريقيا) الاستوائية غربا ؛ فهو أكبر أقطار أفريقيا من حيث المساحة ويبلغ عدد سكانه حسب إحصاء ١٩٤٧ مقدار ٧ ملايين نسمة

ينقسم السودان من الناحية الطبيعية إلى المناطق الثلاث التالية :

(١) المنطقة الصحراوية ؛ وتمتد بين دائرة عرض ١٧° وبين الحدود المصرية وهي منطقة جافة ذات مناخ صحراوي . وتدعى هذه الصحراء باسم صحراء النوبة .

(٢) المنطقة السهبة ، وتمتد خمس درجات عرضية بين دائرتي عرض ١٢° و ١٧ شمال خط الاستواء ؛ وهي العصب الحساس في السودان من الناحية الزراعية بعد قيام مشروع الجزيرة لإنتاج القطن ، والجزيرة منطقة واقعة في هذا الإقليم بين النيل الأزرق والنيل الأبيض ، وسكان هذا الإقليم خليط من عرب وسودانيين ، وهم أنشط أهل السودان .

(٣) المنطقة الاستوائية وتمتد من دائرة عرض ١٢° إلى أقصى الجنوب

وتهطل الأمطار أكثر أيام السنة وتزداد صيفاً ، وهى منطقة غنية جداً بمواردها الطبيعية ؛ وأكثر السكان سودانيون ، وفيهم زنوج وثنيون .

* * *

أكثر سكان السودان من العرب ومن السودانيين ، وقد اختلطوا كثيراً وخاصة في المناطق الشمالية ، ودان كثير منهم بالإسلام ، وقد رحل العرب إلى السودان قبل الفتح الإسلامى عن طريق باب المندب ، وامتزجوا بالسودانيين امتزاجاً قوياً وصاهروهم ، ولا تزال فيه قبائل من أصل عربى احتفظت بكثير من عادات العرب وأخلاقهم ولهجاتهم ، ويشعر الزائر بالطابع العربى والطبيعة العربية فى اختلاطه بهذه القبائل .

نظام الحكم : يخضع السودان رسمياً ــ وبالأصح اسمياً ــ لحكم ثنائى ، مصرى إنجليزي وهو الحكم الإنجليزى البحت ، وأخذت مصر بعد الحرب العالمية الثانية تطالب بجلاء الجيوش الإنجليزية عن وادى النيل فخلقت بريطانيا لهــا مشكلة السودان ، وقامت حركة قوية فى مصر والسودان تعتبر أنها جزء من مصر كما هو الواقع طبيعياً ــ وعاكستها بريطانيا وأخيراً ألغت حكومة مصر معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى السودان وأعلنت اتحاد وادى النيل ونادت بملك مصر ملكا للوادى .

مديريات السودان : وفى السودان خمس عشرة مديرية أهمها مديريات (دارفور) ، (الجزيرة) ، (كسلا) ، (الخرطوم) ، (كُردفان)، (المديرية الشمالية) ، (خط الاستواء) ، (أعالى النيل)

المدن الهامة : الخرطوم (٥٠ ألف نسمة) وتقع على لسان يشبه خرطوم الفيل عند ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض وهى عاصمة السودان وأكبر مدينة وأعظمها تجارة وكانت قديماً « أم درمان » الواقعة مقابلها على الضفة اليسرى للنيل

الأبيض هي العاصمة ولا تزال مدينة شعبية كبرى يزيد عدد سكانها على مائة ألف نسمة

والخرطوم مدينة حديثة فيها شوارع منظمة ، وفيها مدرسة كتشنر الطبية ، وكلية (غوردون) التي افتتحت سنة ١٩٠٢ م وبدأت بتعليم ابتدائي وثانوي ، وفي سنة ١٩٤٠ أصبح فيها تعليم جامعي .

عطبرة : أهم مركز للسكك الحديدية في السودان ، وتقع على الخط الذي يصل القاهرة بالكاب وتجتاز القارة الأفريقية .

الأبيض : وهي مركز كردفان بغرب السودان ، وتشتهر بنشاطها التجاري والإداري وتقع على النهاية الغربية لخطوط السودان الحديدية .

ومن المدن الهامة : (بور سودان) و (سواكن) (و بربر) و (شندي) وغيرها .

الحياة الاقتصادية : اعتماد السودان على الزراعة قبل كل شيء ثم على الرعي وجمع الصمغ العربي وأهم زراعتها الحالية القطن ، شجر الصمغ العربي ، الذرة ، غذاء السودان الرئيسي وغلات أخرى .

الصناعة والتجارة : ليس في السودان صناعة راقية ، أما التجارة فقد تقدمت بفضل تقدم زراعة القطن الذي تحتكره بريطانيا تقريباً بنفسها[1] .

الحالة الخلقية : كان السودانيون على فطرتهم وسذاجتهم حتى ابتلوا

---

(١) المعلومات الجغرافية والأرقام منتقاة من كتاب « جغرافية البلاد العربية » لمؤلفيها الأساتذة بسام كرد علي ، شاكر مصطفى ، أنور الرفاعي .

بالإستعمار الإنجليزى الذى رافقه - بطبيعة الحال - الأدواء الخلقية التى تحملها الحضارة الغربية والدول المستعمرة معها ففشا فيهم شرب الخمر وتقاليد الإنجليز فى كثير من عاداتهم وأزيائهم، ونشأ عنصر مزيج مضطرب بين الطبيعة الشرقية والعادات الغربية كما نشأ فى الهند فى حجر الحكم الإنجليزى فيها وفى مصر وغيرها، وهو عنصر غريب لاتنتفع الأمة والبلاد به، وأكثر ماترى هذه الطبقة فى المراسم الثلاث والمدن الكبيرة

الحالة الدينية : كان السودانيون معروفين بالتصلب فى الدين والمحافظة وقوة العاطفة الدينية بعيدين عن التحلل والإلحاد وخلع ربقة الدين حتى دهاهم الاستعمار فظهر فيهم الاضطراب في الدين وأثر فيهم التعليم المصرى كما أثر في غيرهم إلا أنهم بحكم طبيعتهم وطبيعة إقليمهم وتغلغل الدعوة الإسلامية فيهم لا يزال التدين غالباً فيهم، إلا أن هذا التدين يغلبه التقديس الزائد لرجال الطرق والمشائخ والخضوع لهم والمبالغة فى تعظيمهم وإجلالهم حتى يتخطى ذلك الحدود التى رسمها الشرع ويبلغ حد العبادة والشرك ، وأقوى الطرق تأثيراً فى السودانيين وأعظمها انتشاراً فى السودان الطريقة الختمية الميرغنية التى يرأسها الآن السيد على الميرغنى فترى صور السيد معلقة فى كثير من المساجد فضلا عن البيوت وكثير من الجوامع فى السودان والحبشة لا يخطب فيها إلا من ينتمى إلى الطريقة الختمية ويكون من أتباع السيد

وداع السودان

توجهنا إلى المحطة وعرفنا أن الحاج سليمان موسى قد سبقنا إلى المحطة وحجز لنا مكانين فى القطار كما وعد ، مع أن الوقت كان ضيقاً وكان الحجز فى هذا الوقت الضيق يكاد يكون مستحيلا .

وودعنا إخواننا الذين كنا فى ضيافتهم وهم متأثرون بفراقنا ونحن كذلك،

فسبحان الله ما أقوى الرابطة الإسلامية وما أعمقها .

الاثنين ١٣/٩/٧٠ هـ — ١٧/٦/٥١م

ركبنا فى فرس الباخرة فى الظهر وتوجهت الباخرة و بعد بضع ساعات غرز الصندل الذى كنا فيه فى الرمل لقلة ماء النيل وحاول ربان الباخرة والملاحون كثيراً فى إخراجها وفشلوا ، و بتنا الليلة ونحن واقفون فى النيل وتعطلنا ليلة كاملة ونحن فى غاية السآمة والضجر ، ولكن لا حيلة لنا ولا مفر .

الثلاثاء ١٤/٩/٧٠ هـ — ١٩/٦/٥١ م

جاءت باخرة الإسعاف فأخرجت صندلنا من هذا الموقف ووصلت به إلي الباخرة الكبيرة التى ستقودها إلي الشلال وتسلمتها هذه الباخرة وواصلنا سفرنا على بركة الله .

و بعد الظهر غرزت الباخرة بتوابعها فى مخاض آخر من النيل فكان أدهى من الأول وأمر، و بقينا بقية اليوم والليل فى موقفنا وقد بلغت النفوس غايتها من العناء والسآمة وأفرغ الملاحون والقائمون على السفينة جهودهم فى إخراج الباخرة من هذه الورطة فلم ينجحوا وكلت أيديهم ففوضنا أمرنا إلى الله وارتقبنا الصباح.

فرق بين المسلمين وغيرهم

وهنا لاحظنا فرقا بين المسلمين وغيرهم وكان أكثر الركاب من الإنجليز وغير المسلمين فلم نرمنهم رجوعا إلى الله أو التجاء إلى الدعاء وهم فى لهو ولعب وذهاب و إياب وأكل وشرب وقصف وغناء . أما المسلمون فرأينا منهم من ينيب إلى الله و يلتجىء إليه فى كشف هذه الغمة و رأينا كما لاحظنا من قبل أن الديانات الأخرى قد أفلست فى الروح وقد انقطعت صلة رجالها أو ضعفت جداً بالله تبارك وتعالى والالتجاء إليه

الأربعاء ١٥ / ٩ / ٧٠هـ — ٢٠ / ٦ / ٥١م

بقينا إلى بعد الظهر فى ورطتنا هذه وقد عيل صبرنا وضاق صدرنا والناس فى هرج ومرج إذ جاءت سفينة الإسعاف وأخرجت بعد محاولات عدة باخرتنا وتوابعها فاستقبله الخواجات بتصفيق حاد وكان بعض الركاب المسلمين قد نذروا لله ركعتين يصلونهما إذا خرجوا من هذه المشكلة فأوفوا نذورهم وصلوا لله شكراً وكان ذلك فى الساعة الثالثة نهاراً ، فالحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات واستمرت الباخرة فى السير بسرعة زائدة ويقولون إنها ستصل ببركة الله تعالى صباحا .

الخميس ١٦ / ٩ / ٧٠هـ — ٢١ / ٦ / ٥١ م

من الشلال إلى القاهرة

وصلت الباخرة إلى الشلال ضحى وفرح الناس بالشلال كفرحهم بطلائع البلد وسوابق القرية وركبنا القطار مسر ورين وقضينا الليلة فى القطار فى الظلام مع أنا فى الدرجة الثانية وشكونا إلى رحال القطار فلم يسعفنا أحد، ولم يكن القطار فى الانتظام ووجود أسباب الراحة مثل توفر المياه والنور مثل القطار الذى من القاهرة وتعشينا فى عربة الأكل

الجمعة ١٧ / ٩ / ٧٠هـ — ٢٢ / ٦ / ٥١ م

فى مصر مرة ثانية

السرور بالرجوع إلى مصر

استقبلنا القاهرة بقلوب متطلعة وعيون شاخصة وكأننا نستقبل وطننا الحبيب، وماذاك إلا لوجود أصدقائنا هناك وإقامتنا فيها وانتهاء مرحلة من مراحل السفر ولعلها أصعبها .

توجهنا من المحطة إلى الأزهر حيث نزلنا فى رواق الأفغان فى محل صديقنا الشيخ عبد الله التابلى ، وعلمنا أن الأخوين العزيزين محمد معين وعبد الرشيد قد سافرا إلى الحجاز قبل أيام .

شعور غريب

وتجدد الحنين وشعرت بشىء من الوحدة والغربة فى البلد الذى قضيت فيه شهوراً ، أتمثل بقول الشاعر :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وأسرح طرفى فى الأزهر وهو مزدحم بالمصلين فلا أرى أحداً أعرفه ويعرفنى إلا أنى قابلت الأخ محمد أمين التركي واحتفى بى كثيراً وفرح جداً .

ومن الأزهر قصدنا بيت الأخ أحمد عبد النبى لأقابله والشيخ رياض الدين الفاروقى وصادفناهما فى السكة الجديدة وذهبنا معهما إلى بيت الحاج أحمد عبدالنبي وجلسنا ساعة ودعانا الأخ أحمد عبد النبي إلى الفطور اليوم ، فوعدناه بذلك ؛ ومن هنا ذهبنا إلى رواق الشوام لنقابل الأخ يس الشريف فوجدناه مسافرا إلى قريته وجلسنا قليلا مع الإخوان السوريين ورجعنا إلى محلنا واسترحنا قليلاً ثم ذهبنا إلى العتبة حيث قابلنا الحاج إسحق الدهلوى فى لوكاندة البرلمان وعلمنا أن الحاج إسماعيل الدهلوى قد سافر إلى مكة ، ثم رجعنا إلى الحاج أحمد عبد النبي وأفطرنا عنده بفطور هندى وعشاء هندى ، وتوجهنا إلى بيت صديقنا الفاضل الشيخ أحمد الشرباصى بالحلمية الجديدة بعطفة السادات ونحن نخشى أن لانجده ولكنا وجدناه وجلسنا عنده قليلا وخرجنا معه .

فى المركز العام للشبان المسلمين

خرجنا معه إلى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين وإذا بنا أمام حفلة كبيرة لذكرى وقعة بدر الكبرى وقابلنا هنا اللواء محمد صالح حرب باشا وسماحة المفتى أمين الحسينى والشيخ محمد صبرى عابدين والشيخ السيد مبشر الطرازى وعجبوا من بقائنا فى مصر وأخبرناهم برجوعنا من السودان ، فهنأونا على سلامة الوصول ، ورجعنا من الجمعية من غير أن نحضر التمثيل .

يوم السبت ١٨ / ٩ / ٧٠ هـ — ٢٣ / ٦ / ٥١ م

ذهبنا إلى مكتب الحاج جلال حسين وأخذنا الرسائل التى تجمعت فى مدة غيابنا، وأنا فى غاية الشوق إلى هذا البريد فأخبار الأهل والأصدقاء فى الهند منقطعة عنى منذ أيام طويلة وفيها رسالة السيدة الوالدة متعنا الله بطول حياتها ورسالة الأهل والأخوات ورسالة أخى الأكبر الدكتور السيد عبد العلى، وكنت نذرت إذا وجدت رسائل تبشر بصحتهم وتحمل مايسر أن أصلى لله أربع ركعات فأوفيت نذرى والحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات .

ذهبنا إلى مكتب الأجانب حيث سجلنا دخولنا فى القاهرة ، ثم ذهبنا إلى مفوضية (سورية) وطلبنا مد الأجل فى التأشير ورجعنا إلى محلنا واسترحنا .

فى إدارة الأزهر

ثم زرنا إدارة الأزهر حيث قابلنا الشيخ الشرباصى والدكتور محمد يوسف موسى واعتذرنا له من عدم التمكن من قبول دعوته ، وقدمنا إليه النسخة المصححة من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » ثم دخلنا فى مكتب فضيلة الشيخ محمود شلتوت وقابلناه وذكرناه بالمذكرات التى قدمناها إليه .

طلبة البعوث الإسلامية على الفطور

وذهبنا إلى رواق الهنود إجابة لدعوة صديقنا الجليل الشيخ لقمان الندوى إلى الفطور ، ورأينا جمعا حاشدا من طلبة البعوث الإسلامية مجتمعين للفطور وعلمنا أنهم يفطرون كل يوم فى هذا المكان ضيوفا لوزارة الشئون الاجتماعية ، وكان منظرا جميلا يدل على المساواة والجامعة الإسلامية ، فكان الطلبة من مختلف البقاع ومختلف الأجناس والألوان والطبقات جالسين جنبا لجنب ، ولكن لاحظنا أن الجو لايشعر بالخشوع والسكينة ، وأن الحاضرين لايشعرون بجلال الصوم وحرمة رمضان وقرب الفطور فيشغلون بذكر الله ، أو يجلسون بوقار وسكينة ، بل بالعكس من ذلك كان المكان صاخبا وكنا نسمع جلبته وضجته ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ضعف الروح الدينية والشريعة الإسلامية في نفوس طلبة الدين .

يوم الأحد ١٩/٩/٧٠ هـ — ٢٤/٦/٥١ م

توجهنا إلى مكتب شركة مصر للطيران فى ميدان إبراهيم باشا وحجزنا مكانين فى الطائرة التى تقوم لدمشق صباح الاثنين .

مع الإخوان

جاء الأخ ياسين الشريف وذهبنا معه إلى بيت الأخ عبد الله الفضل حيث أفطرنا وتعشينا مع جماعة من شباب الإخوان ، وتوجهنا إلى المركز العام فى شارع صبرى ، وصلينا التراويح خلف الشيخ سيد سابق وألقيت كلمة بطلب الشيخ سيد سابق والإخوان وقابلت الأستاذ عبد العزيز كامل وقد طال العهد به وعظم الشوق إليه فجلسنا نتحدث ساعة ، وقابلنا الأستاذ صالح العشماوى وشقيقه

الدكتور خليل عشاوى ، وأعطانا الأخ عبد النافع السباعي رسائل توصية وتعارف إلى إخوانه بدمشق .

مع الأسف لم أستطع أن أقابل بقية الإخوان لأن أكثرهم مسافرون فى المدن بمناسبة احتفالات بدر الكبرى وغزوة الخندق ، فالأستاذ عبد الحكيم عابدين مسافر والأستاذ سعيد رمضان مسافر والأستاذ الغزالى مسافر قبل رمضان إلى غزة ولعل الأستاذ فريد عبد الخالق مسافر أيضا .

يؤسفنى أننا نسافر إلى دمشق بالطائرة كما تقرر فستفوتنا زيارة الإسكندرية وكنا قررنا من قبل السفر بالباخرة إلى بيروت عن طريق الإسكندرية . ولكنا آثرنا السفر بالطائرة بعد ذلك حرصا على الراحة في رمضان وتوفير الوقت ، وزيارة الإسكندرية مهمة من وجوه مختلفة ، وكان أحد الإخوان الكبار قد دعانا إلى الإسكندرية ولكن تأخر السفر حتى فات وقته ، فعسى أن تكتب لنا زيارة العاصمة الثانية لمصر فى رحلة أخرى .

توديع لمصر

وها نحن أولاء نودع مصر العزيزة بعد ما أقمنا فيها نصف عام تقريبا وطاب لنا المقام فيها فعز علينا الفراق ، لقد نزلنا فى مصر ونحن لا نقدر من الإقامة فيها إلا شهرا أو شهرين فإذا بنا نفسح الأجل ونتساهل فى السفر ونتعلل بعسى ولعل حتى أربت الإقامة على خمسة أشهر ، ولو قيل لنا عند قصدنا لمصر إنكم ستقيمون فيها نحو ستة أشهر لضاقت صدورنا وأنكرنا ذلك أشد الإنكار ، فقد كانت أمامنا رحلة طويلة فى الشرق الأوسط وما كان نصيب مصر فى أيامنا — لو دققنا فى الحساب — إلا بضعة أسابيع ولكنا غلبنا على أمرنا

فأرخينا لمصر العنان وتساهلنا لها في الزمان ، وكذلك الحبيب يأخذ أكثر من النصيب ، وما كل شيء فى الدنيا خاضع لقوانين رياضية ، وخير أن لا يكون ذلك ! فلو تحكمت الرياضيات فى الحياة لضاقت بأهلها ولضاقوا بها ذرعا . وأصبحت الحياة حركة ميكانيكية لا قلب لها ، ولا جدة فيها ولا طرافة ، ولا متعة فيها ولا سلوى ، ولكن كثيرا ما يثور القلب على العقل والعاطفة والهوى على القوانين الوضعيـــة والنظم الرتيبة فتعيدان إلى الدنيا الحياة والنشاط .

إن مصر — على ما فيها من جمال الطبيعة وضخامة المدنية — لم تكن لتحولنا عن نظامنا المرسوم لهذه الرحلة ، ولم تكن لتستهوى قلوبنا لتأخذ منا أكثر من حقها فقد نشأنا فى بلاد عرفت من فجر التاريخ بالطبيعة الفاتنة ، والمناظر الساحرة والخصب الزائد والمدنية الراقية ، ولكن الذى راودنا عن نظامنا المرسوم فلم نستعصم هو وجود إخوان مخلصين التقت قلوبهم بقلوبنا وأرواحهم بأرواحنا ، فكانما كانت من اللقاء والاجتماع على ميعاد ، هو وجود أحبة كرام غمرونا بلطفهم وأنسهم حتى أنسونا متاعب السفر ووحشة الغربة ، بل الشعور بالغربة ، هو وجود قلوب متفتحة كالأزهار واقدة كالعيون ، مشتعلة بالإيمان كالجمرات أحببتنا وأحببناها ، هو وجود فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ، ولكنهم خرجوا من الكهف وتحدوا الشر ونازلوا الباطل وصارعوا قواه ، هو وجود حركة دينية وثابة ونشاط علمي قوى ، وإنتاج سريع ضخم يجعل من مصر مركز العالم العربى ، ومدرسة الشرق الأوسط بلا نزاع ، ويكتب لها الإمامة والزعامة والتوجيه العقلى والعلمى ، وإن وجود هذا وذاك هو الذى فرض علينا طول الإقامة فى ربوع مصر وحسن لنا التخلى عما رسمنا لأنفسنا والزيادة لمصر فى قسطها من رحلتنا .

وكم من سائل بعد الرحلة من مصر : ماذا أعجبك فى مصر ؟ وماذا لم يعجبك .

إن السؤال عسير وإنه لسؤال محرج ولكنه سؤال مهم وسؤال مفيد ، فلابد من مواجهة هذه المشكلة ولابد من الإجابة عن السؤال .

أما الذي أعجبني فى مصر فحيويتها ونشاطها وعظم إنتاجها العلمى والأدبى وسرعته، وعنايتها باللغة العربية وتبنيها لها وغيرتها عليها وجهادها فى سبيلها والنظرة الواسعة إلى القضايا العربية والإسلامية والعطف عليها ووجود اليقظة والوعى بالنسبة إلى الأقطار العربية الأخرى .

وأعجبنى من أخلاق أهلها سلامة صدورهم ورحابتها ، وحسن الوفادة للضيف المسلم وتكريمه وتشجيعه والاعتراف بما عنده وقوة العاطفة والإيمان وخفة الروح وقلة العبوس وسرعة الائتناس والصداقة والشغف بالعلم والجد فيه والإقبال على المطالعة واقتناء الكتب .

أما الذى لم يعجبنى فى مصر ، وبالصراحة الذى أنكرته وأنتقده — ومعذرتى إلى قلبي الذى أحب مصر وأهلها — فهو الميل الفاشي فى الشعب إلى التسلية والمتعة الرخيصة ، ووجود طبقة كبيرة العدد واسعة النفوذ تتجر بالأدب الفاجر وتعيش على أثمان الأعراض والأخلاق وتتمتع فى مصر الإسلامية بالحرية والاحترام .

ولم يعجبنى فى مصر وجود الأحزاب السياسية الكثيرة من غير فارق كبير بينها فى العقيدة والمبدأ واحتدام الخلاف بينها واستغلالها للشعب السليم استغلال الأدوات أو الجمادات .

ولم يعجبنى كذلك كثرة الجمعيات والهيئات وكثير منها ليس لها رسالة خاصة ولا دعوة ممتازة ، وأنكرت منها ومن رجالها المناقشات الشخصية والخلافات الجزئية وتحرش بعضها ببعض وتخطى الحدود الخلقية والدينية لذلك .

أنكرت فى مصر وجود طبقة مثقفة تملك زمام البلادوزمام التعليم والصحافة والأدب قد تعفن ضميرها وتعفنت عقليتها فهى لا تهضم الإسلام ولا تصدق أن له مستقبلا ، ولا تخلص للاسلام والمسلمين وهي الطبقة التى عرفناها فى الهند والباكستان وفى تركيا و إيران وسورية والعراق وهى ثمرة التربية السابقة ونتاج التعليم الذى أحسن المستعمرون الغربيون وضعه ودققوا فى تجريده من الروح الإسلامية والتربية الدينية وهى طبقة متشابهة فى العقيدة والعقلية لأن المرضعة واحدة

أنكرت فى مصر التفاوت الفاحش بين الطبقات فى الثراء ومستوى المعيشة ووسائل الحياة ، إنه لا مانع من التفاوت ولكن وجود عدد ضخم من الفقراء الذين لا يجدون قوت يومهم وكسوة جسمهم ووجود أغنياء يتخمون بفضول أموالهم ومطاعمهم وملابسهم فى مجتمع واحد وفى صعيد واحد ثم لا يرحم هؤلاء أولئك ولا يرثون لما هم فيه من فقر مدقع وجوع قاتل ولا ينفقون فى سبيلهم العفو، تفاوت لا يقره دين ولا يقبله عقل ولا عدل ، ووضع شاذ غير قابل للبقاء والاستمرار.

إن كل ذلك أو بعضه ، لا شك أنه من رواسب العصور المنحطة الأولى وعهد الاستعمار الأوربي ، وإن الحركات الدينية والإصلاحية الصحيحة ووجود اليقظة الإسلامية خليق بمعالجة نواحى الضعف والعلل الاجتماعية ، و إن مصر لاشك تجيش بثورات دينية إصلاحية وتتمخض بعهد جديد للاسلام والعرب .

أما بعد فسلام على مصر وأهلها ، وتحية من زائر لقى فى هذا البلد الإسلامى كل ما يتوقعه مسلم من عطف وكرم حسن وفادة .

سورية

الاثنين ٢٠/٩/٧٠هـ - ٢٥ / ٦/٥١ م

من قارة إلى قارة

توجهنا بعد صلاة الصبح إلى مكتب شركة مصر للطيران بميدان إبراهيم باشا ومعنا السيد ياسين الشريف ، وتمت الإجراءات العادية ، وجاء الأخ عبدالله العقيل ، والأخ محمد الدمرداشى ، وأحمد العسال ، للتوديع ، وقد أكبرت همتهم وإخلاصهم ، فإن الوقت وقت النوم ؛ وتوجهت بنا الطائرة إلى دمشق فى الساعة السابعة صباحا ، وفى ساعتين انتقلنا على متن الريح من قارة أفريقية إلى قارة آسيا ودخلنا في حدود سورية ، وبعد ربع ساعة كنا فى مطار المزة بدمشق وهكذا انتهت هذه الرحلة الطويلة من غير أن نشعر بطول أو تعب ، فسبحان الله الذى علم الإنسان ما لم يعلم .

في دمشق

كنت سألت الأخ عبد النافع عن فنادق نظيفة متوسطة فأشار علينا بالنزول فى فندق قصر الأندلس بالمرجة ، وكان اختياراً موفقاً . بقينا ننتظر سيارة الشركة التى تقلنا إلى مكتب الشركة فى البلد إلى أكثر من ساعة وتأخرت السيارة حتى كانت المدة التى قضيناها فى الانتقال من دمشق إلى دمشق أقل قليـلا من المدة التى قضيناها فى الانتقال من أفريقية إلى آسيا ، وعلى كل فقد وصلنا إلى فندق قصر الأندلس وأخذنا غرفة واسترحنا قليلا وصلينا الظهر .

الطقس جميل فى دمشق وهو يشبه الفصـل المعتدل فى بلادنا إذ لا نشعر بالحر

ولا بوهج الشمس، والمدينة ظريفة هادئة نشعر بهدوء كبير وراحة بالنسبة إلى القاهرة الصاخبة الزاخرة .

فى جامع الشيخ محى الدين

أردنا أن نقابل صديقنا الجليل مولانا الشيخ أحمد كفتارو فى أول فرصة. فسألنا رجال الفندق عن حى الأكراد فقالوا: تركبون ترام الشيخ محى الدين وتزورون الشيخ وتسألون عن صاحبكم ، ولم يخطر ببالنا إلا أن الشيخ محى الدين من مشاهير هذا البلد، وبعد قليل انتقل ذهننا فجأة إلى الشيخ محى الدين بن عربى الشيخ الأكبر ، وتذكرت أنه مدفون فى دمشق وعجبت لشرود ذهنى ، ونزلنا فى الحى المنسوب إليه وقصدنا مسجده وإذا هو مسجد جميل عامر بالمصلين ، ورأينا الناس فى انتظار الصلاة مشتغلين بالذكر والتلاوة وذلك قبل أذان العصر فشعرت بامتياز سورية فى المحافظة على الدين وبقايا الحياة الدينية فى هذا البلد ، ورأيت هذا المسجد مثل المساجد الأخرى التى بنيت على القبور ودفن فيها رجال من الصالحين فرأيت لوحة على الجدار فيها « ياشيخ محى الدين » وهى معارضة صريحة لقوله تعالى: « إن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً » .

وزرنا بعد صلاة العصر الشيخ محى الدين فرأينا هذا البيت مكتوبا على الجدار :

أفلت شموس الأولين وشمسنا   أبداً على أفق العلا لا تغرب

وكان ذلك مثار العجب والاستنكار أيضا :

فى الجامع الأموى

طرقنا باب الشيخ أحمد كفتارو وسألنا عنه فقيل هو فى الجامع الأموى وله درس هناك، وفرحت بهذه المصادفة فقد أراد الله أن لا نتأخر عن زيارة هذا الأثر الإسلامى العظيم الذى مازلنا نقرأ عنه من أول عهدنا بالتاريخ الإسلامى، وتوجهنا إلى السور الحميدى ومشينا فى أسواق مسقوفة حتى وصلنا إلى هذا الجامع العظيم،وابتدرت أبصارنا إلى هذا البناء الشامخ ودخلنا من بابه الكبير ومررنا بصحنه الواسع حتى دخلنا فى داخل المسجد، وهنا رأينا حشدا كبيرا من المسلمين ما بين مصل وذاكر، ومسبح ودارس، ومتحدث، وتمثلت لنا الحياة الأولى فى العواصم الإسلامية الكبرى.

فى درس الشيخ أحمد كفتارو

ومشينا إلى حلقة كبيرة جدا تضم مئات من الناس والمكبرة تذيع صوت الشيخ أحمد كفتارو، وجلسنا نستمع وحانت من الشيخ التفاتة فرآنى على بعد وعرفنى فدعانى وأدنانى إليه، وعجبت من سرعة خاطره لأننا لم نتقابل بعد الحج وما عنده علم بتوجهى إلى دمشق، واستمر الدرس نحو ساعتين وكان درسا في سورة البروج، إلا أنه كان درسا دينيا عاما يتناول الحياة كلها، وأعجبنى من الشيخ تطبيق الآيات على الحياة والتعرض للواقع والحاضر من غير اقتصار على المعانى العلمية والكليات، وتنزله إلى مستوى الثقافة العامة والتحدث في لغتهم المحلية الدارجة وانتقد لادينية المعارف فى البلاد ونشوء الشباب على الجهل التام بالدين والغفلة عنه، وتعرض لنكبة فلسطين وخوف المسلمين ـ إذا استمروا فى سكوتهم وجبنهم ـ من أن يستولى اليهود ـ لا سمح الله على سوريا ودمشق ويعتلى حبر من أحبارهم هذا المنبر العظيم، وسرنى أن نسبة الشباب

وأبناء المدارس كانت طيبة فى حلقة الدرس ، و بعد الدرس تصافحنا وتقابلنا وقال: قد طالت إقامتكم فى القاهرة فقلت : وهل كان عندكم خبر بوجودنا فى مصر ؟ قال نعم، ومشى الشيخ ونحن معه عن سماطين من المسلمين والمصافحين والمودعين فكان منظرا يذكر بما كان للعلماء من إجلال واحتفاء فى الزمن السابق ، وتوجهنا إلى بيت الشيخ في حى الأكراد وأفطرنا وتعشيناوجلسنا نتحدث.

يوم الثلاثاء ٢١/٩/٧٠ هـ — ٢٦/٦/٥١ م

الشيخ محمد بهجة البيطار

سمعت اسم الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقى من أستاذنا الشيخ تقى الدين الهلالى المراكشى ، ووكان يظهر اسمه بين حين وآخر فى المجلات العلمية والدينية وكنت أعرفه كعالم ضليع سلفى،ثم سمعت أن تحرير المنار بعدوفاة صاحبها العلامة السيد رشيد رضا أسند إلى الشيخ بهجة البيطار وأنه سيقوم بتكميل تفسير المنار فكان الأستاذ من الشخصيات المعروفة والقريبة إلينا ، وكنا متتبعين المنار وأصحاب مدرسته والمجمع العلمى وأعضائه ، لذلك سررت عندما كتب الوجيه الفاضل الشيخ محمد نصيف كتاب تعارف وتوصية إلى صديقه الشيخ بهجة وأردت اليوم ـ وهو يومنا الثانى فى دمشق ـ أن أنتهز أول فرصة لمقابلة الشيخ بهجة ولكن لم نجده .

زيارة الشيخ أبى الخير الميدانى

وقصدنا دار مولانا الشيخ أبى الخير الميدانى رئيس رابطة العلماء ومعنا رسالة العلماء ورسالة تعارف من سماحة المفتى الحاج أمين الحسينى، ودخلنا داره وهى على على الطراز التركى القديم وعلمنا أن الشيخ يصلى بالحريم وجاء الشيخ وهو رجل

وقور منور الشيبة عليه سيما الصالحين ، وقدمنا إليه كتاب السيد أمين فرحب به وأثنى عليه خيراً وقرظ استقامته و إخلاصه .

فى مركز الإخوان المسلمين

وزرنا مركز الإخوان المسلمين فى سنجقدار ، ومعنا كتاب تعارف من سماحة المفتى أيضاً إلى الدكتور الشيخ مصطفى السباعى المراقب العام للاخوان المسلمين وأنا حريص على زيارته .

فى جامع الدقاق

ذهبنا إلى جامع الدقاق لمقابلة الشيخ بهجة البيطار وحضور درسه وفجئنا بأن الشيخ لم يرجع بعد ، فحضرنا فى درس تلميذه الشيخ عبد الرحمن الطيبى وكان موضوع الدرس الحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهناقابلنا فضيلة الشيخ زين العابدين التونسى وهو شقيق العالم الكبير الشيخ محمد الخضر حسين رئيس جمعية الهداية الإسلامية وعضو هيئة كبار العلماء فى مصر .

فى البرلمان السورى

وفى المساء صادفنا فى الطريق الأخ توفيق الكنجى مع بعض أصدقائه ، وأخبرنا أنه حصل لنا تذكرتين لحضور جلسة البرلمان فرحبنا بذلك ، لأننا لم نحضر جلسة لبرلمان عربى إلى الآن ، ولم نسمع المناقشات الدستورية فى اللغة العربية ، وكنت أريد أن أعرف مدى صلاحية اللغة العربية للبحوث الدستورية ونجاح أبنائها فيها ، و إن كنت أومن بسعة اللغة العربية ومرونتها وقابليتها لكل جديد ولكنى كنت أحب أن أختبره فأراه عمليا

حفلة دوحة الآداب

فاتنى أن أذكر أنى وردت دمشق والطبقات الدينية يشغلها حادث خاص والحديث عنه حديث المجالس ، وذلك أن مدرسة دوحة الآداب عقدت حفلة فى قصر آل العظم وحضرته الطبقة الارستقراطية فى البلدورجال الجيش وظهرت فيها البنات سافرات وجرى فيها الرقص وكانت حفلة داعرة متحللة ، ولكن سورية لطابعها الدينى ومحافظتها لم تستطع أن تحتمل هذه الحفلة الماجنة، فأنكرها أهل الغيرة الإسلامية والشعور الدينى، وحدث أن الأستاذ على الطنطاوى — وهو قاض — كان يخطب فى جامع الجامعة السورية ، وكانت الإذاعة السورية تذيع حديثه ، فتناول هذا الموضوع وانتقد الحكومة واستمرت الإذاعة فى نقل هذا الحديث، واشتغلت أمواج الأثير تحمله إلى أنحاء الدنيا وهى لاتبالى ، فغاظ ذلك رجال الحكومةوحاسبوا الخطيب محاسبة شديدة وأحالوه إلى المحكمةوعزلوامراقبة الإذاعة، ومن هذا أصبح الحادث حديث البلد ، وتناولت الصحافة الدمشقية الشيخ على الطنطاوى بالتجريح والتهكم والتنكيت ،وقام رجال الدين والعلماء ورؤساء الجمعيات الدينية بالدفاع عن الشيخ الطنطاوى وأبدوا موافقتهم وتأييدهم للشيخ ، وقد قدم أحد النواب سؤالا بشأن هذه القصة ، فاليوم موعد البحث فيه والناس يتوقعون أن يحتدم النقاش ويحمى الوطيس ، وكانت الجمعيات الدينية خصوصاً الإخوان المسلمين يريدون أن يبدو استنكار الشعب لهذه المظاهر وموافقته للشيخ الطنطاوى ، فحاول رجالها أن يحضر هذه الجلسة أكبر عدد من العلماء ورجال الدين حتى يعرف النواب — ودائماً يدهم على نبض الشعب لايريدون أن يخسروا تأييده وصداقته — أن الرأى العام لا يزال يهتم بالجانب الخلقى ، فحضر فى الجلسة الشيخ محمد بهجة البيطار وبعض العلماء وتبادلنا التحية على بعد .

وابتدأت الجلسة فى دار جميلة بنيت على الطراز الشرقى وتبوأ الدكتور معروف الدواليبى مكان الرئاسة وأخذ المجلس في البحث إلى أن جاء دور المسألة التى أشرت إليها فارتفعت الأعناق وتفتحت الآذان

كلمة الأستاذ محمد المبارك

وتقدم الأستاذ محمد المبارك نائب دمشق، وهو من أعضاء الجمعية الاشتراكية الإسلامية التى يرأسها الدكتور مصطفى السباعى ، فتلا كلمة قيمة قوية مدعمة بالبراهين ، كتبت فى أسلوب علمى أدبى فى اللغة البرلمانية فى أهمية الأخلاق في حياة الشعوب ، وتمسك المجتمع العربى القديم والجاهلية العربية بالمبـــادىء الخلقية ، وحاجة المسلمين وخصوصاً الشعوب العربية وهى أمام الخطر الصهيونى وفى ساحة القتال إلى التمسك بالأخلاق والتماسك والتربية المتينة ، ومقاومة كل ما يضعف فيهـا روح الرجولة والكرامة والفتوة ، وقد قوبلت هذه الـكلمة باستحسان و إعجاب كبير ، خصوصاً ممن كانوا في صف الزائرين والمستمعين ، وألقي الشيخ السباعى كلمة وجيزة لائقة بالظروف المحيطة بالقضية ، ولم يقع ما كان ينتظر من الرد على هذه الـكلمة والدفاع عن الحكومة ، ويقال إن المعارضين رأوا رجال الدين والعلماء فى صف المستمعين وعرفوا استياء الشعب من هذه المظاهر، ومشاركته للشيخ الطنطاوى وأنصاره ، فتراجع هؤلاء وفضلوا السكوت، وأبدى رئيس المجلس لباقته البرلمانية ، فأهدأ الثائرة ، ونصح للحكومة بالرفق والحكمة ونصح المجلس بالانتظار وتأجيل البحث ، وهكذا برد الجو الذى كان قد تـكهرب بالسخط .

جدارة اللغة العربية للمناقشات البرلمانية ومقدرة النواب

ولاحظت أن مناقشة النواب وكلماتهم لا تقل فى قوتها وتركيزها وفصاحة

لغتها عن مناقشات أى برلمان يبحث أعضاؤه فى اللغة الإنجليزية ، فقد شهدت بعض جلسات مجلس التشريع فى بلادنا ، فرأيت أن اللغة العربية قد أثبتت جدارتها ، وأن النواب العرب قد أثبتوا كفاءتهم ومقدرتهم البرلمانية ، وأعجبت بكلمة الرئيس وأجوبة رئيس الوزراء خالد العظم فكانت مركزة ، هادئة ، لبقة وأظن أن لغة النواب السوريين أقرب إلى الفصحى والبعد عن اللهجات المحلية من النواب المصريين ، مع أنى لم أحضر جلسة للبرلمان المصرى .

مقابلة علماء دمشق

وخرجنا وصادفنا فى الطريق الشيخ بهجة البيطار ، ومعه الشيخ محمد أحمد دهان رئيس الدراسات الإسلامية وهو من كبار علماء دمشق ، والطبيب محمد أبو اليسر عابدين وهو من بيت الخليفة السيد ابن عابدين المشهور والشيخ محمد سعيد برهانى وقابلت الشيخ محمد بهجة البيطار ، وعرفنا بعضنا بعضا .

الأربعاء ٢٢ / ٩/ ٧٠ هـ — ٢٧ / ٦ / ٥١ م

في دار الشيخ بهجت البيطار

توجهنا إلى دار الشيخ محمد بهجت البيطار ، وجلسنا عنده نتحدث ونتذاكر

حديث عن شيخ الإسلام ابن تيمية

وانتقل الحديث إلى شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية رحمه الله والشيخ البيطار من كبار المطلعين على مؤلفاته وآرائه . فذكر ملخص الافتراءات عليه ودحضها بدلائل تاريخية وعلمية ، منها ما ذكر ابن بطوطة فى رحلته أنه سمع ابن تيمية يخطب على منبر الجامع الأموى فى دمشق ، وينزل من درجة إلى درجة ويقول

هكذا ينزل الله تبارك وتعالى ، وقال إن ابن بطوطة لم يصادف ابن تيمية فى دمشق فقد كان دخول ابن بطوطة فى دمشق فى شهر رمضان سنة ٧٢٦ هـ وكان شيخ الإسلام قد دخل السجن فى شعبان فى نفس السنة ، ولم يكن ابن تيمية فى يوم من الأيام خطيب الجامع الأموى ، و إنما كان خطيب الأموى في عصره الشيخ جلال الدين القزوينى ، فما هو إلا وهم من ابن بطوطة أو غلط ، ويؤيد ذلك أن الرحلة إملاء لا وضع ، وتعجب الشيخ من قول الشيخ زاهد الكوثرى إن الأمير خربنده تشيع لشدة ابن تيمية ، مع أن الحكاية أن خربنده طلق امرأته ثلاثاً، وندم بعد ذلك أشد الندم ! فسأل العلماء هل: له من مخرج؟ فقالوا : كلا ! لقد بانت امرأتك ولا تعود إلا بحلالة ونكاح ، وصادف الأمير خربنده ابن المطهر الحلى الفقيه الشيعى المشهور ، فقال: هى واحدة والطلاق رجعى ، وأنا أثبت ذلك من السنة ، فقال : هل تستطيع أن تناظر أهل السنة؟ قال نعم ، فجمعهم وناظرهم ابن المطهر ، وأفحمهم ، وتشيع خربنده فما ذنب ابن تيمية فى هذا ؟ واتفقت كلمتنا على أن كتب شيخ الإسلام لا تزال مادة غزيرة إلى هذا العصر ، ولا تخلو من جدة ومسايرة للتطور العقلى مع تقدم زمانها ، وصالحة لإقناع كثير من العقول العصرية ، وذلك لتمسك ابن تيمية رحمه الله بأصول الدين ، ولأنه تمسك بأطراف الدين ، قال الشيخ بهجت البيطار : حدثنى بعض علماء الأزهر قالوا : درسنا كتب التوحيد فى الأزهر فنشأت فى نفوسنا شكوك وشبهات وكدنا نخرج من الإسلام ، إلا أننا طالعنا كتب شيخ الإسلام فغرست الإيمان فى قلوبنا من جديد وقلت له: يبدو للناظر لأول وهلة أن المعتزلة أرق وألطف في فهم الدين، وأنهم من العقليين ، ولكن يثبت للمدقق والراسخ أنهم كانوا فى دور الطفولة العقلية فى الإسلام ، فإن أفكارهم فجة غير ناضجة و إن المحدثين أكثر توفيقا ورسوخا فى العلم وآراؤهم أقرب إلى العقل بعد التحقيق من آراء المعتزلة ، قلت : وقد قلت

للدكتور أحمد أمين بك بصراحة إنكم أعطيتم المعتزلة فى كتابيكم فجر الإسلام وضحى الإسلام أكثر من حقهم ، قال الشيخ : وقد سألته فى زيارته لدمشق ما هى أقرب الفرق الإسلامية إلى الصواب فى نظركم ؟ فتروى قليلا ثم قال : المعتزلة قلت : لقد ظل الانتصار للاعتزال والمعتزلة والانحياز إليهم رمزا للتنور الفكرى والعقلى زمنا طويلا فى بلاد الإسلام حتى وجدت فى أوربا مدارس جديدة للفلسفة قللت من قيمة العقل المجرد وحدت من سلطانه ، ففقد الاعتزال كثيراً من نفوذه وسحره .

آثار حكم الفرنسيين في دمشق

قمنا لزيارة المجمع العلمى كما تقرر بالأمس ، وركبنا الترام ثم نزلنا نمشى فى أسواق دمشق ، ومررنا بشارع يسمى « الحريق » حكى لنا الشيخ بهجة البيطار قصته أنه كان من أفخر أحياء دمشق وكان مركزاً لأسرة القوتلى وعظماء دمشق وكان هدفا لإصابات الفرنسيين ورصاصاتهم ، حتى وقعت حرائق كثيرة وخرب الشارع بما فيه من بيوت ومنازل ، وكان الناس فى حصار وكان الفرنسيون لا يميزون بين رجل وامرأة وصغير وكبير ، وقال لقد كانوا وحوشاً أخروا البلاد مدة طويلة ، وكانوا فى مستعمراتهم لا يمثلون أبداً أنهم دعاة الثورة الفرنسية والحرية والمساواة .

فى دار المجمع العلمى

ووصلنا إلى المجمع العلمي ووجدنا هناك الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المغربى نائب رئيس المجمع والأستاذ خليل مردم بك ، وقد عرفتهما من أيام الطلب بمقالاتهما ورسائلهما ، فقد كانت جمعية الإصلاح - وهى نادى أعمار الطلبة

فى دار العلوم مشتركة فى مجلة المجمع ، وقد قابلناهما وجلسنا نتحدث عن المسلمين فى الهند ، وأهديت إلى مكتبة المجمع نسخة من الجزء الأول من نزهة الخواطر للسيد الوالد رحمه الله، ودخلنا فى مكتبة المجمع و وجدنا هناك تمثالا لأبي العلاء المعرى ، وقد تسلطت الأصنام على سادتنا العرب مرة أخرى ، وعادت باسم التذكار والعلم والتاريخ

المكتبة الظاهرية

والمجمع العلمى فى بناء المدرسة العادلية الكبرى وهى بناء ضخم مشيد وكان اختياره للمجمع العلمى اختياراً مناسباً(١) ويقابل هذا البناء المكتبة الظاهرية نسبة إلى السلطان الظاهر البيبرس المدفون فيها ، وهى مكتبة دمشق الكبرى ومن أغنى مكتبات الشرق الأوسط فى مخطوطات المؤلفين الكبار كالحافظ ابن حجر العسقلانى وشيخ الإسلام ابن تيمية الحرانى والحافظ ابن عساكر الدمشقى والذهبى وغيرهم.

من نفائس المكتبة

ومن أقدم ماتحتوى عليه هذه المكتبة كتاب مسائل الإمام أحمد للامام أبى داود السجستانى صاحب السنن وترجع كتابتها إلى سنة ٣٦٥ . . . ومن نفائس هذه المكتبة كتاب الكواكب الدرارى فى ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخارى لابن عروة الحنبلى .

والكتاب على خلاف مايشعر اسمه يكاد يكون دائرة معارف إسلامية أصله

---

(١) والمدرسة العادلية المنسوبة إلى الملك العادل ابن السلطان صلاح الدين وهو مدفون فيها فى القاعة التى فيها المكتبة وفى هذه العادلية وضع ابن خلكان تاريخه المشهور على باب العادلية وكان يقف ابن مالك النحوى ويدعو الناس لحضور درسه : هل من متعلم هل مستفيد ؟ وفى العادلية نزل ابن خلدون:

١٢٠ مجلدا والباقى فى المكتبة ٤٤ مجلدا ولكنها مفرقة ، ومن هذا الكتاب استخرجت رسائل كثيرة لابن تيمية رحمه الله طبعت مفردة ككتاب الوسيلة وتفسير المعوذتين وتفسير سورة الإخلاص وتفسير سورة النور وغيرها، وفى المكتبة دار واسعة للمطالعة فى الدور الثانى ، وقابلنا مديرها وهو رجل فاضل مطلع ومعتن بالآثار العلمية .

على قبر السلطان صلاح الدين

خرجنا من المكتبة الظاهرية وتوجهنا إلى جهة الجامع الأموى ، وقبل أن ندخل فيه زرنا ضريح شرف الإسلام والمسلمين ناصر الملة والدين الغازى صلاح الدين الأيوبى الذي بيض الله به وجه الإسلام والمسلمين، ورفع رأسهم عاليا ورد غارة الصليبيين وكسر شوكتهم . وقفنا أمام باب المقبرة وقفة واستحضرنا مآثره الكبرى وجلالة عمله الخالد ، وذكرنا وقعة حطين التى قضت على الصليبيين وكانت فتحاً للاسلام تضاءلت أمامه الفتوح ، وأثنت عليه الملائكة والروح ، وتمثلت ببيتى الزركلى على لسان فلسطين الشهيدة وأهلها :

وهاتى صلاح الدين ثانية فينا
وجددى حطين أو شبه حطينا

وأنا من قديم الزمان أحمل للسلطان الشهيد نور الدين الزنكي والغازى صلاح الدين الأيوبى من الإجلال والاحترام مالا أحمل لملك من ملوك الإسلام وأتقرب إلى الله بحبهما والدعاء لهما.

دخلنا إلى قبر المجاهد العظيم الذى انتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم وأدخل السرور على روحه وغضب لدينه وحفظ للاسلام شرفه وبيته المقدس ، وللأمة

الإسلامية كرامتها وحريتها . وترحمت عليه ودعوت الله له ، وأخبرني الرفاق أن جنرال « غورو » الفرنسي لما جاء وفتح سورية جاء إلى ضريح السلطان وركله برجله وقال : إلى متى ياصلاح الدين تبقي نائماً ؟ هاقد حضرنا هنا وفتحنا سورية . ولا يستبعد ذلك من طيش الفرنسيين وكبر الأوربيين ، ولكن كما قال الشاعر : « كذاك الحي يغلب ألف ميت » .

قبـــــة النسر

ومن هنالك قصدنا الجامع الأموي وصلينا فيه الظهر ، ولما مررنا تحت قبة النسر ذكر الشيخ بهجة البطار أنها كان من عادات البلاد أنه لم يكن يدرس تحتها إلا أكبر عالم من علماء دمشق ، وكان السيد بدر الدين الحسنى محدث دمشق المعروف يدرس قريباً منها ولا يدرس تحتها ، ثم اجترأ الناس وصار يدرس تحتها كل أحد .

في دار الحديث

وخرجنا من الجامع الأموي وزرنا في طريقنا دار الحديث التي كان يدرس فيها الإمام النواوي ، والتي يقول فيها الشيخ تقي الدين السبكي :

وفي دار الحديث لطيف معنى إلى بسط لها أصبو وآوى
لعلي أن أمس بحر وجهي مكاناً مسه قدم النواوي

مع الأستاذ الأميري

وفي الطريق ذكر لنا الأخ عبد الرحمن الباني أن الأستاذ عمر بهاء الأميري وزير سورية المفوض في الباكستان نازل في فندق سميراميس بالمرجة ، فذهبنا نزوره وسررت بهذه المفاجأة ، لأني لم أكن أتوقع وجوده في سورية فضلا عن

دمشق . دخلنا فى غرفته وقلت له : هل عرفتني ؟ فقال : كيف لا وقد تقابلنا فى مكة مراراً ؟ وأخذنا فى الحديث ، وأبدى الأخ عبد الرحمن رغبته فى محاضرة ألقيها فى الجامعة السورية .

الخميس ٢٣/٩/٧٠ هـ — ٢٨/٦/٥١م

زيارات كريمة

جاء الشيخ محمد بهجت البيطار وأخذنا بأطراف الأحاديث . والشيخ البيطار فكه المحاضرة عذب الحديث عالم خفيف الروح لا يمل حديثه ، ولم أر بعد أستاذنا الشيخ تقى الدين الهلالى أفصح لغة وأفصح عربية منه .

أربعةُ كتب مختارة فى نظر الأستاذ محمد المبارك

وبعد قليل جاء الأستاذ محمد المبارك صاحب الكلمة المقبولة فى جلسة البرلمان السورى يوم الثلاثاء ، وقد حضر أمس ولم يجدنا ، وهنأته على كلمته القوية الجريئة ؛ فقال : لقد كانت مستمدة من كتابكم « ماذا خسر العالم » وهذا يدل على تواضعه ، وإلا فقد كانت الكلمة مستقلة مستمدة من الإيمان القوى والثقافة الإسلامية ، وقال مخاطباً للشيخ بصحبتى أربعة كتب ظهرت حديثاً كانت زيادة حسنة فى المكتبة الإسلامية المصرية وهى كتاب « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » لسيد قطب و « الإسلام على مفترق الطرق » لمحمد أسد و « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وأما الكتاب الرابع فليس فى درجتها وهو « الإسلام الرسالة الخالدة » لعزام باشا ، أما « الاسلام على مفترق الطرق » فموجزو مركز جدا وأما العدالة الاجتماعية فمبسط فى ناحية خاصة وأما كتاب « ماذا خسر العالم » فهو أبسط الكتب . ولقد كنا فى أول عهدنا نقرأ كتب الأستاذ فريد

وجدى وغيره فى الدفاع عن الإسلام ، وكانت هذه الكتب مبنية على استدلال واستشهاد بأقوال الأوربيين ولكن كتاب « ماذا خسر العالم » جاء يفند الحضارة الأوربية بنفسها ويزيف مقاييس الأوربيين .

مع الشيخ أحمد كفتارو

اتصل مولانا الشيخ أحمد كفتارو بالتليفون وأخبرنى أنه قادم إلى الفندق بعد قليل، ويريد أن يأخذنا إلى غوطة دمشق للتفرج عليها واعتذر بأشغاله المشتركة عن عدم الزيارة والإيناس . وحضر بعد قليل وجلس ساعة وتكلم عن مناهجه وآرائه وخدمة الدين فى هذه البلاد ، فكان حديثنا مفيداً وتبادلنا الآراء فى الموضوع

آراء الشيخ فى الإصلاح

ويرى الشيخ أحمد أفندى — وقد عرفت ذلك منه فى الحجاز ولا يزال على رأيه — أن أقرب طريق وأنجح وسيلة لإصلاح الأوضاع الفاسدة وتطبيق الدين فى المجتمع والحياة هو التأثير فى رجال الحكومة الذين بيدهم أزمة الأمور والسلطة التنفيذية ، وذلك عن طريق الاتصال بهم والمقابلات الشخصية وإيجاد الثقة فيهم ، وأن ما يكتب من النجاح فى عام عن طريق الدعوة العامة يكتب فى أسبوع أو أقل من ذلك عن طريق هؤلاء ، وله خطة ومنهاج فى الإصلاح يعتقد أنه إذا نفذ اتجهت البلاد بأسرها اتجاها دينياً وهو إصلاح المعارف وتوجيهها الإسلامى ، وإصلاح الإذاعة وإصلاح السينما ورقابة الأفلام وتربية أئمة المساجد ، وهو قوى الأمل عظيم الثقة . بتأثير هذه الوسائل العصرية فى توجيه الشعب ، والشيخ أحمد عالم مثقف مطلع ناضج العقلية واسع آفاق الفكر نشيط

فى عمله ، وقد تمكن فعلا فى حكومة سابقة باتصاله برئيس الجمهورية من إلغاء البغاء الرسمي - وحكى لى أنه اجتمع برئيس أركان الحرب الحالى وهو الحاكم العسكرى للبلاد وتحدث معه ساعة وقال له : تستطيع أن تكون زعيما للبلاد العربية كلها بل للعالم الإسلامى كله إذا هيأت لنفسك الزعامة الإسلامية واحتضنت خدمة الإسلام ،وكان نتيجة هذا الحديث أنه طلب من فضيلة الشيخ أن يقدم إليه مقترحاته فى توجيه البلاد وبرنامجه للاصلاح .

وقال لنائبه أن يسمح له بالحضور والاجتماع فى كل وقت ، وأن يأخذ تقريره ويقدمه ،لكن الحادث الأخير الذي كان فيه العلماء معسكراً واحداً إزاء الحكومة أحدث شيئا من الجفوة وعرقل سيره .

فى غوطة دمشق

وبعد ذلك خرجنا مع الشيخ أحمد أفندى على سيارته إلى الغوطة، وأعجبني أن الشيخ رغم كونه شيخ طريقة وعالم البلد المعروف يقود سيارته . ونزلنا فى ببيلة قريته فى الغوطة فى بيت الشيخ عبد الحكيم خطيب جامع القرية ، وعلمنا أن الغوطة واسعة جدا ، تمتد نحو خمسة عشر كيلو طولا وعرضاً والأنهار تخترقها ورأينا فى البيت الذى نزلنا فيه نهرا يجرى فى البيت ، ماءه بارد جدا توضأنا منه .

ثم خرجنا إلى قرية بلده ونزلنا فى بستان كبير لبعض أصدقاء الشيخ وتفرجنا على أشجار الزيتون والمشمش والجوز والعنب والرمان والتين والتفاح ، ولم أكن رأيت أشجار الزيتون والمشمش من قبل ، ونحن فى هذه الأيام فى أوان المشمش .

تطورات وأحداث فى سورية

وهنا تحسن الإشارة إلى بعض التطورات والأحداث السياسية في سورية حتى نعرف وضع البلاد . إن سورية فى مدة قصيرة لاتزيد على عامين شاهدت ثلاث ثورات عسكرية . الثورة الأولى ثورة حسنى الزعيم ضدحكومة شكرى بك القوتلى ، والثانية ثورة سامى الحناوى ضد حكومة حسنى الزعيم ، والثالثة ثورة الجيش الأخيرة ضدحكومة سامى الحناوى،ولاتزال سورية تحت الحكم العسكري فرغم أن هاشم بك الأتاسى هو رئيس الجمهورية وخالد العظم هو رئيس الوزارة ولكن المسيطر الأعلى هو عقيد الششكلى رئيس أركان الحرب ، وقد سألت الثقات عن رجال الحكومات السابقة وأسباب الثورة ، فقالوا كان شكرى بك القوتلى رجلا متدينا ولكنه كان ضعيفاً، ولم تكن ديلانته متعدية ذات نفوذ فى الدولة ، أما سبب الثورة فهو أنه أراد عزل حسنى الزعيم من قيادة الجيش ، ولكن قبل أن يصدر الأمر بالعزل بليلة قام حسنى الزعيم بالانقلاب، وكان رجلا قوياً صاحب صرامة ، فأمل الناس فيه آمالا كبيرة ورجا بعض الناس أنه الرجل المنتظر الذى ينقذ فلسطين ويحفظ لسورية كرامتها ومكانتها ولكنه تغير واستبد ومال إلى البذخ وانغمس فى الترف وأتهم بممالأة بعض الدول الأجنبية، وقام الجيش بثورة ثانية وكان سامى الحناوى آلة صماء فى يد الجيش ولم يكن صاحب الفكرة فى الثورة ومصدرها وكان رجلا طيبا يحترم الدين ورجاله،يقول الشيخ أحمد كفتارو إنه كان يوم العيد فى بيته بحي الأكراد فإذا بسامى حناوى وهوالحاكم العسكرى على الباب ودخل وجلس نصف ساعة ، وقد قتله أحد أقارب الدكتورمحسن البرازى رئيس الوزارة فى حكومة حسنى الزعيم فى منزله أومنفاه فى بيروت وحدث الانقلاب الثالث ولايزال الحكم الحقيقى فى يد الجيش وهوالذى يعزل وينصب فقد كان الدكتور ناظم القدسى رئيس الوزارة ولكن سياسته لم توافق رئيس أركان

الحرب فحدث التعديل فى الوزارة ، وجاء خالد العظم ، وإن بقاء الجيش فى الحكم وتحكمه فى سياسة البلاد وإدارتها يجعل الأمور غير مستقرة، ويخوف كثيراً على مستقبلها ، وهو سبب أيضا من أسباب اندفاع البلاد إلى التحلل الخلقى .

شعور الناس فى سورية نحو قضية فلسطين

وجدت فى الناس موجة قوية من الاستياء والتألم من قضية فلسطين وضياعها. ورأيت سخطا عاما على الجامعة العربية وعدم الثقة بها وبالحكومة فى شأن فلسطين وقلما يخلو مجلس من ذكر مأساة فلسطين وتقصير الحكومات العربية فى شأنها ، وما أصاب العرب بسبب ذلك من الذل والانكسار، وما لحقهم من الخزى والعار .

الجمعة ٢٤/٩/٧٠ هـ — ٢٩/٦/٥١ م

الجمعة فى الجامع الأموى

صلينا الجمعة فى الجامع الأموى . وكانت الخطبة قيمة تتناول موضوع المحافظة على الأخلاق ومعنى الغيرة وتنظر إلى حادث دوحة الآداب من طرف خفى وألقى الأستاذ محمد المبارك كلمة فى معناها بعد صلاة الجمعة وكانت مثالا للباقة والحزم .

أفطرنا اليوم وتعشينا فى ضيافة السيد عبد الرحمن البانى فى مطعم فاخر ، ورأينا عدداً كبيراً من الصائمين يفطر فى المطعم ولم نر مثله فى بلد، وكان معنا فى الفطور الأستاذ أحمد بك مظهر العظمة ، صديق الأستاذ البانى ، وبعد الفطور خرجنا لزيارة صديقنا الأستاذ محمد كمال الخطيب صاحبنا فى الحج

مقابلة الأستاذ محمد كمال الخطيب

ومررنا فى طريقنا إلى بيته بقبر السلطان نور الدين الشهيد عليه رحمة الله

وزرنا الأستاذ الخطيب وتحدث معنا ساعة .

ذهبنا إلى مركز الإخوان وقد اجتمع الإخوان للتراويح ، وألقيت كلمة فى الحض على قيام الليل وتأثيره فى أعمال النهار وفضله فى قوة الدعاة ونشاطهم .

الأحد ٢٦ /٦/ ٧٠ هـ — ١/٧/ ٥١م

بين دمشق وعمان

توجهنا صباحا فى الساعة التاسعة إلى عمان وجاء الشيخ عبد الوهاب الصلاحى والأستاذ عبد الرحمن البانى والأستاذ أبو عزه والأخ محمود والسيد محمود الحافظ يودعوننا وتوجهت السيارة ومررنا بدرعا (وهي أذرعات المعروفة فى التاريخ) ورمثة والزرقاء حتى وصلنا عمان ظهراً وصلينا الظهر والعصر فى جامع البلد ، وهو مكتظ باللاجئين ووجدنا أحد العلماء يلقى درساً .

من عمان إلى القدس

وركبنا سيارة صغيرة وتوكلنا على الله والسيارة تسير بنا على جدر الجبال والطرق تلتوى وتدور كالحيات ، ومررنا بالقرب من البحر الميت أو بحيرة لوط ويقولون أنها بقربة من قرية سدوم التى كان يسكنها قوم لوط وقد تكونت هذه البحيرة من هذه القرية المعذبة المقلوبة ، وصدق الله العلى العظيم ، (وإنها لبسبيل مقيم ، وإنكم لتمرون عليها مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) (١) والأرض بين عمان

(١) قال الشيخ عبد الوهاب النجار فى كتابه قصص الأنبياء : أعتقد أن البحر الميت المعروف الآن ببحر لوط أو ببحيرة لوط لم يكن موجودا قبل هذا الحادث وإنما حدث من الزلزال الذى جعل عالى البلاد سافلها وصارت أخفض من سطح البحر أربعمائة متر ، وقد جاءتنا الأخبار فى السنتين الماضيتين ١٩٣٠ — ١٩٣١ بأنهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت

والقدس منخفضة فى بعض المواضع حتى لتساوى سطح البحر ومررنا بنهر الأردن الذي قد يسمى بنهر الشريعة وهو الفاصل بين شرق الأردن وفلسطين وكلما دنونا من القدس شعرنا بارتفاع وتغير خفيف فى الطقس حتى دخلنا مع غروب الشمس فى الأرض المقدسة التى نادى الله فيها وحولها .

فى المسجد الأقصى المبارك

ونزلنا عند باب الزهرة وقصدنا زاوية العمود ووضعنا حوائجنا فى حجرة وصلينا المغرب ويممنا المسجد الأقصى المبارك فى دلالة أحد خدم الزاوية والليل ظلام والأنوار ضعيفة لانتبين الآثار جيداً ، ومررنا بالصخرة حتى دخلنا فى المسجد الجنوبى إلى جهته القبلية الذى يسمى الآن المسجد الأقصى ، وإن كان كل ماهو داخل السور هو المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، وعلى كل فقد دخلنا المسجد وصلينا العشاء والتراويح ، وفى الرجوع سمعنا أن سعادة الشيخ محمد صادق المجددى وزير أفغانستان المفوض فى مصر ، مقيم فى بعض حجرات المسجد معتكف فدخلنا عليه وسلمنا ورجعنا إلى محلنا ونحن متعبون .

الأربعاء ٢٧/٩/٧٠هـ — ٢/٧/٥١م

زرنا الشيخ الأنصارى شيخ الزاوية الهندية ثم توجهنا إلى المسجد وظللنا طول النهار فى المسجد وطاب لنا العكوف فيه واستشعرنا سكينة وهدوءاً :

في ضيافة سعادة الشيخ محمد صادق المجددى

ولما انصرفنا عنه لصلاة المغرب إذا بالأخ صبغة الله حفيد سعادة الوزير الأفغانى ينتظرنا ويخبرنا أن سعادة الوزير فى انتظارنا للعشاء ، حضرنا العشاء معه وطلب منا سعادته أن نقيم معه لأن الزاوية بعيدة عن المسجد والوصول إليه-

الليل صعب ، فاعتبرنا هذا من تيسير الله سبحانه وتعالى ، وأقمنا معه في راحة وسعة ، وهنا تعرفنا بجماعة من أهل القدس يزورون الوزير منهم السيد فؤاد الإمام مدير الأوقاف ، وآخر مدير شرطة الحرم ، والسيد المجددى يعتكف فى القدس كل سنة فهو معروف ومحبب إلى الجميع ومحله دائماً عامر بالزوار والأصدقاء

الثلاثاء ٢٨ / ٩ / ٧٠ هـ — ٣/٧/٥١ م

على قبر مولانا محمد على الهندى

بقينا سحابة النهار فى المسجد وهو لا يمل ولا يزهد فيه ، وتجولت فى نواحيه وزرت ضريح زعيم الهند الإسلامى الكبير والمجاهد الشهير مولانا محمد على الهندى رحمه الله وترحمت عليه وتذكرت أيامه وهو قائد الهند المحبوب وملك البلاد الغير متوج وعجبت كيف ولد فى الهند ودفن بالقدس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد غمرنا مولانا محمد صادق المجددي بلطفه وحفاوته .

فى معتكف السيد المجددى

ومعتكفه بعد المغرب ناد زاه زاهر ومجلس عامر لكل صنف من أصناف أهل البلد ، فمنهم خدم المسجد الشريف وحرسه والموظفون الكبار والعلماء ، وسفرته واسعة تجتمع عليها أنواع الطعام وأنواع الضيوف ، وكأننا فى كابل فى ضيافة أفغانية ، وهنا تعرفت بالسيد توفيق الحسيني شيخ الحرم وهو رجل وقور مهذب .

حقائق عن قضية فلسطين

وجرى ذكر مأساة فلسطين وعرفت منه كثيراً من الحقائق المؤلمة ، قال : إن اليهود كانوا لا يطمحون أبداً إلى ما وصلوا إليه بفضل الدول العربية وجامعتها وكانوا

يعدون شبرا واحداً من أرض فلسطين غنيمة كبرى، فإذا بالدول العربية تفسح لهم المجال وتحكمهم في بلاد واسعة وتفتح أرضاهم تخولهم إياها وتخلى بينهم وبينها وأنحى باللائمة على الجامعة العربية التي انتفع بها اليهود أكثر مما انتفع بها المسلمون .

انحطاط عظماء العرب

وذكر أنه حضر حفلة عقدها وزير سورية المفوض في مصر وقد حضرها كبار المسئولين ووزراء الدول العربية قال: وقد أديرت عليهم كئوس الخمر وأنا واقف أنظر والدمع في عيني ، فلم يزالوا ينهلون ويعلون حتى غلبوا على أمرهم وجرت منهم الخمر كل مجرى فحملوا وأركبوا على سياراتهم وأرسلوا كالأموات إلى فنادقهم ، فأي خير يرجى من هؤلاء العرب والمسلمين ؟ ثم ذكر جيوش الدول العربية وفضائحها الخلقية من خمور وفجور وإتيانها بالموبقات التي تغضب الله في حالة المرابطة وفي ساحة القتال، ففهمت بعض أسباب انكسار الجيوش العربية

يوم الأربعاء ٢٩ / ٧ / ٧٠ هـ — ٤/٧/٥١ م

لم يظهر هلال العيد وقد مد الله في الشهر المبارك بيوم .

حديث عن فلسطين أيضا

عرفني سعادة السيد المجددي بالأستاذ أسعد إمام الحسيني سكرتير الهيئة الدينية العلمية وهي كهيئة كبار العلماء في مصر تشرف على شئون المملكة الدينية وهو رجل عالم مثقف ذكر ماشهده بعينه أيام نكبة فلسطين وكيف كانت القنابل تهطل على بيت المقدس ، قال : وقد أخطأت الصخرة وخفت عليها وعلى المسجد

العالم الإسلامى كبحر العروض

فذهبت إلى أحمد حلمي باشا وكان الحاكم العسكرى فى القدس وحكيت له الحال فقال: ما الحيلة قلت تذيع هذه الأخبار الى العالم الإسلامى فان هذه المقدسات إنما هى للعالم الاسلامي ليست لنا فقط . ووافق الباشا على ذلك وكلفنى هذه المهمة فبقيت ساعات متوالية نذيع من اللاسلكية هذه الأحوال وما يهدد البيت المقدس وانتظرنا أن يكون لذلك صدى فى العالم الإسلامى ورد فعل ، ولكن ذلك لم يحرك ساكنا ولم يثر اهتماماً ، قلت: ياسيدى أين العالم الإسلامى أهو كبحر العروض بحر لا ماء .

الانحطاط الخلقى أيضا

وحكى لى الأستاذ أسعد بعض مايدل على الانحطاط الخلقى فى المسلمين قال: غاب أمام المسجد الأقصى مرة فكلفت الخطبة يوم جمعة (أو يوم عيد لاأتذكر) قال نخطبت وذكرت أسباب نكبة فلسطين وقارنت بين الماضى والحاضر فلم أخرج من المسجد والأوقد أنهى الخبر إلى المندوب السامى وتحملت مسئوليته إلى غير ذلك وأخبرنى الأستاذ أسعد أن الهيئة العلمية الإسلامية سوف تعقد اجتماعاً لما يحضرها أعضاؤها في المملكة فى اليوم الخامس من شوال ودعانا إلى الحضور ووعد بأنه سيعرفنا إلى الشيخ محمد الأمين الشنقيطى رئيس المجلس .

شعوري فى المسجد الأقصى

بقيت اليوم فى المسجد أتمشى فى فنائه الواسع ورحابه المترامية وأنظر إلى المناظر المحيطة به ، لست صاحب كشف ولا إدراك فخري ولكن كنت أ... كأن المسجد متوحش يحن إلى أهله وكأنه ينذر بأيام كوالح ، وثارت

وثارت الأحزان فى نفسى وهاج القلب .

المسلمون فى فلسطين

ورأيت المسلمين ـ أهل فلسطين ـ كغرباء وأيتام لا يشعرون بكرامة ولا يثقون بمستقبل ، قلوبهم منكسرة ورؤسهم منكسة ، وكانوا يجتمعون من القرى المجاورة وضواحى القدس فى عدد كبير ، وكان فى صلاة الظهر والعصر عدد كبير من المصلين فى المسجد الأقصى ويجلسون بعد الصلاة يتلون القرآن أو يحضرون الدروس والمواعظ التى تلقى عليهم ، ولم أجلس إلى أحد إلا ووجدته منكسر الخاطر جريح النفس ، يحكي حكايات تدمع العين وتحزن القلب ، وينتقد ملوك العرب وقادة البلاد ، وكأن فلسطين الإسلامية كانها تنشد بلسان الحال :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح؟
أباها على الناس لا يشترونها ومن يشترى ذا علة بصحيح؟

ودرت فى الحلقات والدورس وتلمست هل أرى روحا قوية ، ونفسا متألمة وغوصاً فى الأعماق واهتداء إلى أسباب النكبة الصحيحة ، فلم أجد ذلك إلا أنى رأيت رجلا فى لباس عادى يقول : ألم أكن أحذركم يا إخوانى من هذه الذنوب ومعصية الله وأحذركم من عاقبتها فكنتم تقولون الشيخ صالح ابن الطريقة ؟ وها قد رأيتم بأعينكم ويتكلم فى الذنوب ومعصية الله وكونها ثورة ضد الربوبية وكفراناً للنعمة كلام العارفين . ورأيت الناس كلما قام يخطب التفوا حوله فلا يقومون من مجالسه وكان يظهر أنه ليس من العلماء ، وإذا سأله أحد سؤالا علميا أشار إلى عالم بجنبه فإذا أفاض هذا العالم فى الكلام ، رأيت الناس ينفضون .

أهل القلوب يسيطرون على الناس

وهكذا رأيت دائما أن أهل القلوب يسيطرون على الناس ، ورأيت العلماء لا يؤثرون هذا التأثير .

اليوم ثلاثون من رمضان بحساب أهل سورية وفلسطين . رأينا الهلال وتعشينا مع السيد المجددى ، وجاء كثير من وجهاء المدينة وكبار الموظفين يسلمون عليه ويهنئونه ، وانتهزت الفرصة فألقيت كلمة بمناسبة العيد .

الخميس غرة شوال سنة ٧٠ه — ٥ / ٧ / ٥١ م

صلاة العيد فى المسجد الأقصى

انطلقت المدافع إيذاناً بالعيد وبدأ النـاس يغدون إلى المسجد الأقصى مع الشروق، ووقفت فرقة من الجيش فى ملابسها العسكرية على باب المسجد الأقصى.

صلينا صلاة العيد فى المسجد الأقصى وخطب الإمام خطبة لا بأس بها ودعا الملك عبد الله ، فكانت محاكاة لعيد فى مملكة إسلامية .

عيد شاحب

شعرت في هذا كأنه عيد شاحب وكأن الناس ممثلون فى ملابس العيد ، كأنهم يحاولون أن يفرحوا و يظهروا السرور و يتبادلوا التهانى، والحقائق تأبى ذلك، والآلام تصارع الأفراح فتغلبها ، وقد تجدد حزنى في هذا اليوم فلم أشعر بسرور ولا نشاط ، وعدت إلي حجرة السيد المجددى والناس يأتونه من كل طبقة يهنئون ويسلمون عليه تسليم العيد .

فى ضيافة كريمة

أخذنا السيد المجددى إلى الأستاذ أبى سعيد من أقارب سماحة المفتى الحاج أمين الحسينى حيث تغدينا .

السيد المجددى يحكى قصة الثورة الأفغانية

وقص علينا السيد المجددى قصة الثورة الأفغانية على الملك أمان الله خان ودواعيها وأسبابها ورحلة الملك إلى أوربا ، وتهوره على أثر رجوعه منها إلى سفور النساء وإرسال بعثة منهن إلى تركيا وسفور السيد حرمه وهياج الشعب الأفغانى لذلك ، وإنذار السيد للملك وهو فى طريقه إلى كابل من وقوع مالا تحمد عاقبته ، ونصحه له بأن ترجع الملكة إلى البلاد كما خرجت منها ، وعدم إصغائه لنصحه ودخول الملكة سافرة وامتناع الملك من محادثة المجددى بعد ما كان يزوره فى بيته ويتبرك بما كان يطبخ لأصحاب الزاوية ، ثم اعتقاله له وحصول الثورة وشنق بعض زملاء المجددى ثم إطلاقه لسراحه وطلبه منه أن يخمد الثورة ويفهم حبيب الله واعتذاره من ذلك ، فقد خرج الأمر من يده إلى استيلاء حبيب الله المعروف ببچة سقة، إلى حضور الملك نادر خان من باريس وقمعه للثورة إلى آخر الحكاية . فكانت معلومات مستقاة من مصدرها الصحيح ولا ينبئك مثل خبير .

رجعنا إلى المسجد الأقصى وذهبت أنا الداعى والأخ عبيد الله إلى شيخ فى زاوية من زوايا القدس وكان معنا رسالة من سماحة المفتى الحاج أمين الحسينى فسلمناها إياه فوضعها على الرأس وأثنى على سماحة المفتى ، وجلسنا نتحدث .

ندامة الملك حسين

وفى ما حدثنا به الشيخ أنه ذهب مع سماحة المفتى يعود الملك حسين فى عمان

فى مرضه الذى توفى فيه . قال: دخلت مع سماحة المفتى والملك عبد الله بن حسين وكان الملك مضطجعا على فراش على الأرض والطبيب قائم إلى رجليه فلما رآنا أشار أن أجلسونى قال : فأجلسوه فلما تركوه وقع على الفراش مستلقيا ، ثم قال: ياعبد الله قال : لبيك قال: هـذا ما جنته يدى اعتبر اتعظ . قال : فاغرورقت عيوننا ، أما الملك عبد الله فقد بكى وعلا نشـيجه ، ثم ودعناه . وأردنا أن ننصرف وألح الملك عبد الله بأن نقيم ونتعشى عنده فاعتذر وألح . فامتنع والوقت ليل والدنيا برد ، وكلمته فى ذلك فقال : نتعشى فى بيتنا وذلك خير لنا من ضيافة الملك عبد الله ، ووقع لنا ذلك مرتين فقد ألح الملك عبد الله بتناول الغداء عنده وامتنع المفتى

بين القدس والخليل

رجعنا من عند الشيخ وتوجهنا فى معية السيد المجددى إلى الخليل عليه الصلاة والسلام . وعرفنا فى الطريق أن الخليل لا يبعد من القدس ، ولكن المستعمرة اليهودية بعدت الطريق بينه وبين القدس والخليل ومررنا باللاجئين ورأيناهم فى أسوأ حال وأرثه ، ومررنا ببيت لحم مولد سيدنا عيسى وصيدنا عند الخليل ووقفنا عند منزل الشيخ يوسف طهبوب مفتى الخليل سابقاً وعضو الهيئة العلمية الإسلامية ، وشربنا الشاى .

فى مسجد الخليل عليه السلام

ثم توجهنا إلى حرم الخليل وزرنا سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو القبر الثانى الموثوق به بعد القبر النبوى فى المدينة المنورة

فى منزل الشيخ محمد على الجعبرى

ومن هنا خرجنا إلى منزل الشيخ محمد على الجعبرى رئيس البلدية ونزلنا عنده والمهنئون يأتون إليه أرسالا ويجلسون قليلا ويتبادلون التهاني مع صاحب الدار، ويسلمون على السيد الجددى وينصرفون ويأتى آخرون وهكذا إلى ساعة متأخرة من الليل، وقد اجتمعت مناسبات كثيرة لزيارة الناس، منها العيد ومنها نزول السيد المجددى الذى هو معروف فى الخليل، وله زيارة سنوية ومنها قرب انتخاب البلدية، فكان بيت الشيخ (وهو يسمى بذلك) غاصاً بالزائرين والمهنئين، تأتى جماعة وتروح أخرى، ويدار عليهم الشاى والقهوة والحلويات الأوربية، وتعشينا ونمنا.

الجمعة ٣ / ١٠ / ٧٠ ه — ٦ / ٧ / ١٩٥١ م

تأملاتى فى المسجد

صلينا الفجر في مسجد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومكثنا هناك إلى الإشراق، وطاب لى فى جوار سيدنا إبراهيم أن أقرأ الآيات التى ذكر الله فيها خليله إبراهيم وحكى قصته وحواره لأبيه وقومه وكسره للأصنام ودعوته إلى التوحيد وهجرته إلى الله وأدعيته المستجابة وبناءه للكعبة، وما ذكر الله من أخلاقه وسيرته، وأن أتأمل فيها وأستعرضها من جديد، ووجدت فيها لذة جديدة وأشرت بذلك فى حديثي للناس بعد الجمعة، واقترحت عليهم أن يتأملوا فى هذه الآيات وأن يدرسوها دراسة جديدة فإنهم سيجدون فيها معانى جديدة.

جمع الشيخ الجعبرى للتعرف بنا مجموعة طيبة من علماء البلد، تغدوا معنا فى بيته وتحدثوا بعد الغداء، ولم يزل ينتاب داره رجال من أهل العلم والدين وأهل

البلد ، واستمر ذلك إلى نصف الليل تقريباً .

مشينا فى مدينة الخليل وتفرجنا عليها وهى مدينة جميلة ومصيف من مصائف فلسطين ، فقد قالوا لى إنها ترتفع من سطح البحر أربعة آلاف قدم، وتمتاز مدينة الخليل بخلوها من المسيحيين وقد ثار أهلها سنة . . . . فطهروا البلد من اليهود وقتل من قتل وجلا من جلا ، وفى أهل الخليل شوكة وشهامة يمتازون بها ويفتخرون ، حفظها الله للاسلام .

الأحد ٤/١٠/٧٠ هـ — ٨ / ٧ / ٥١ م

ذهبنا اليوم بعد الإشراق إلى المسجد الأقصى لأكتب ما بقى على من اليوميات ، ومررت فى طريقى إلى المسجد بشيخ معمر ، ومكثت عنده بعض الوقت وتحدثت معه وهو لطيف الحديث شديد البغض للانجليز، يقول : ما من شر فى العالم إلا ومرده إلى الإنجليز ، فإذا سمعت يوما بحرب بين الحيتان فى البحر فاعلم أن الإنجليز هم الذين أثاروا هذه الحرب ، وإذا سمعت بشقاق بين الزوجين فاعلم أن الإنجليز هم السبب .. ولا شك أن أهل فلسطين لهم أن يقولوا ذلك ، فإن الإنجليز هم السبب المباشر فى خراب هذه البلاد المقدسة وجلاء العرب وتشردهم فى الآفاق ، وهم الذين سلطوا على فلسطين هؤلاء الشذاذ من اليهود ، وجروا الويلات والمتاعب إلى أهل فلسطين المسلمين ، ولا شك أن الإنجليز أكبر عامل من عوامل الفساد والخراب والدمار فى العالم كله ، والشيخ يثنى ثناء عاطرا على المفتى السيد أمين الحسينى ويشهد بنزاهته وعفة يده وبطنه ورأيت عامة من قابلناهم فى المسجد الأقصى ومن أهل القدس يذكرون الحاج أمين الحسيني بخير ويحنون إليه وذهبت إلى المسجد الأقصى واشتغلت بالكتابة إلى الظهر .

زيارة آثار المسجد الأقصى

زرنا الشيخ توفيق الحسيني بعد العصر وطاف بنا على الجدران التي تسمى المكى، وأخبرنا أن اليهود قد فقدوا عشرة أحكام من التوراة، ويعتقدون أنها فقدت فى مكان فى المسجد الأقصى وطمرت فيه، ويحرم عليهم لذلك الدخول فى المسجد الأقصى فهم يقفون عند جدار البكاء وهو من السور القديم الباقى ويبكون، ونزلنا مع الشيخ توفيق فى السرداب المعظم حيث البناء الضخم والعمد العالية ويقال إنها إصطبلات سليمان عليه السلام. وتفرجنا على حوالى أسوار المسجد الأقصى العظيمة وأكثرها مقفر من السكان موحش، وقد كانت قبل التقسيم الجائر المشئوم عامرة بالعرب مكتظة بالسكان.

ودخلنا مركز الإخوان المسلمين فى الركن الجنوبى من المسجد، وقد كان إدارة المؤتمر الإسلامى العام وجلسنا مع الإخوان نتحدث.

يوم الاثنين ٥/١٠/٧٠هـ — ٩/٧/٥١م

فى اجتماع الهيئة العلمية الإسلامية

حضرنا فى الساعة التاسعة صباحا فى مركز الأوقاف اجتماعاً للهيئة العلمية الإسلامية، وهو بناء المجلس الإسلامى الأعلى الذى كان يشرف على الحياة الإسلامية كلها فى فلسطين، ويدير الأوقاف والشئون الدينية تحت رياسة الحاج أمين الحسينى، وهو الآن إدارة الأوقاف وفيه تعقد اجتماعات الهيئة، وتلك الأيام نداولها بين الناس، قدمنى الأستاذ أسعد الحسينى إلى رئيس الهيئة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى وهو فى رتبة الوزير فى المملكة العربية الهاشمية ومرافق جلالة الملك عبد الله، وكان وزير المعارف ورئيس القضاة سابقا.

كلمتى فى الاجتماع

تلقانى الشيخ الشنقيطى ببشر وترحيب وأثنى على الهند وعلمائها وجهودهم وروحهم وقدمنى إلى أعضاء الهيئة وطلب منى أن أتحدث إليهم بما يخالج قلبى وبما أراه مفيداً، فتكلمت في موضوع وجوب الاعتناء باللاجئين واتصال العلماء بهم ونشر الدعوة الدينية فيهم وإشعال العاطفة الدينية والعزة الإسلامية فيهم، حتى يقاوموا هذه الأوضاع القاسية ويكافحوا دعوة الشيوعية والمسيحية التى نشطت فيهم باسم غوث اللاجئين وعن طريق المبشرين والدعاة الشيوعيين، ويتحملوا هذه النكبة ويجتازوا هذه المرحلة فى قوة المؤمن وثبات المجاهد، وقلت لهم إن الأوضاع شاذة غير عادية، فلا تقاوم إلا بإيمان قوى ودعوة متحمسة ونشاط وحرص يسمى صاحبه بالمجنون، وذكرت لهم مراحل الدعوة الإسلامية فى الهند وكان خلاصة ماذكرته فى رسالة « الدعوة الإسلامية وتطوراتها » وأجاب الشيخ الشنقيطى جوابا لائقا وشكرنى ووعد بالاهتمام بهذه الناحية .

معلومات عن الهيئة

ويليق هنا أن أعرف الهيئة العلمية الإسلامية كما عرفتها من الأستاذ أسعد الحسينى ، تشكلت هذه الهيئة فى شهر آذار سنة ١٩٥١ ومقاصدها وواجباتها كما بين فى قانونها الأساسى . (١) رفع مستوى العلماء فى المملكة (٢) بث الدعوة إلى الفضيلة ومكارم الأخلاق (٣) تنظيم شئون الوعظ والإرشاد (٤) تحديد مدلول كلمة « العالم » وعلى من تطلق . وميزانيتها لسنة ٥١/٥٢ (٥٨٨٣) ديناراً أردنياً وهى تعاول (٧٠٥٩٦) روبية ، وأعضاؤها أحد عشر رجلا من العلماء، وهم كبار علماء المملكة العربية الهاشمية وسمعت أن للملك عناية خاصة بهذه الهيئة، وقد حضر هذه الجلسة التى كان لى شرف الحضور فيها ثمانية أعضاء .

يوم الثلاثاء ٦/١٠/٧٠ هـ — ١٠/٧/٥١ م

فى عمان

خرجنا بعد العصر إلى مركز الإخوان نزور الأستاذ عبد اللطيف أبى قورة رئيس الإخوان وقد تعرفنا به فى القاهرة فلم نجده ، فخرجنا نتمشى إلى الجامع الكبير وإذا بالسيد المجددى يتقدم للصلاة .

مقابلة السيد المجددى

ولما انتهى من صلاته قابلناه ، وسر كل منا بهذه المقابلة التى لم تكن فى الحساب .

فى منزل الحاج أبو قورة

وكان الأستاذ عبد اللطيف أبو قورة ينتظره على باب المسجد فأخذنا جميعاً إلى بيته على الجبل المطل على عمان حيث تفكهنا وشربنا الشاى ، ونظرنا إلى عمان وهى تتلألأ بالأنوار فكأنها رمانة قد انتشر حبها الأحمر ، وكان المنظر من أجمل مارأينا من المناظر فى الليل ، رجعنا إلى محلنا وقصد السيد المجددى قصر رغدان لمقابلة الملك عبد الله .

طلب من الملك عبد الله

وإذا بعد قليل يتصل الشيخ محمد الأمين الشنقيطى بدكان الحاج قاسم ويخبره تليفونياً بأن جلالة الملك فى انتظار ضيفكم ، فليتوجهوا ساعتهم من غير تأخير دقيقة ، وكنا قد جلسنا على العشاء فقال الحاج ستتعشون مع جلالة الملك ، قلنا إن عشاءكم أحب إلينا من العشاء الملوكي ، وتوجهنا حالا إلى قصر رغدان، وكان

رجال الحرس فى الطريق قد أخبروا بتوجيه الدعوة الملكية إلينا ، فقابلونا فى الطريق وأخبروا السائق « أن سيدنا فى المخيم » ، ووصلنا إلى الخيمة التى فيها الملك مع حاشيته ، فتلقانا الشيخ الشنقيطى فى الطريق ، وتقدمنا فاستقبلنا الملك عبد الله ببشر و بساطة ، وعلمنا أن السيد المجددى ذكرنا له فقال: لماذا لم تأخذوهم معكم ؟ وأرسل إلينا فوراً .

حديث مع الملك

حييته بتحية الإسلام وصافحته وجلست أمامه . وعرفنى السيد المجددى وعرف أسرتى فى الهند، فأنشدت للشريف الرضي مشيراً إلى الاجتماع فى النسب والافتراق فى الملك والنشب :

ما بيننا يوم الفخار تفاوت — أبداً كلانا فى المعالي معرق

إلا « الإمارة » ميزتك ، فإننى — أنا عاطل منها وأنت مطوق

ورأيت أن الملك يحفظ هذه الأبيات ويكمل ما أنشده ، قال الملك للسيد المجددى مشيراً إلى أن سحنتى سحنة الأشراف اليمنيين .

حديثى على المائدة

وتشعب الحديث ثم قام الملك للعشاء وأجلسنى بجنبه ، قلت له على المائدة: ياجلالة الملك ، إن دولة تنفذ الأحكام الإسلامية ، وتنفذ الدين فى السياسة والإدارة ، تستدعى اهتمام العالم كله ، وتكتسب من الاحترام والإجلال مالا تناله أكبر دولة فى العالم، ومهما كانت حدود هذه الدولة ضيقة، ومواردها محدودة ، وأصغى الملك إلى حديثى وأجاب بلباقة وفهم ، ثم قمنا إلى المجلس فواصلت حديثي وقلت :

بين الجباية والهداية

للحكم أساسان الجباية والهداية، والحكومات الإسلامية ينبغى أن تقوم على أساس الهداية؛ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بعث هادياً لا جابياً . وما كان خلاف جدكم سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه مع سيدنا معاوية رضى الله عنه إلا فى هذه النقطة ، فإن سيدنا على كان يريد أن تبقى الخلافة على وضعها الصحيح ولا تصير ملوكية .

جواب الملك

استمع الملك ما قلته ثم ذكر العقبات فى سبيله ، ونواياه الحسنة ، واهتمامه بتوطيد الحكومة وتقوية الجيش ، وذكر الخطوات التقدمية فى المملكة ، وذكر انتقال هذه المملكة من بلد صغير لا يزيد عدد نفوسه على سبعة آلاف إلى مملكة تضم عدداً كبيراً لا نسبة بينهما ، ثم سألنى عن منهاجى فقلت سنسافر غداً ، فقال : يامولانا لا تضنوا علينا بأيام تقيمون هنا ولا أقل من ثلاثة أيام . ثم كلم الشيخ الشنقيطي بما لم أسمعه ، وقدمت إليه نسخة من كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ » وكان بودى قبل أن يظهر الكتاب أن يصل إليه فقدر الله أن أقدمه إليه بيدى فقبل شاكراً ، واستأذنا وانصرفنا ، وكان فى المجلس غير السيد المجددى والشيخ الشنقيطى سعادة فوزى باشاالملقى وسعادة إبراهيم هاشم باشا .

يوم الأربعاء ٣/٨/٧٠ هـ — ٩/٥/٥١ م

حقائق عن فلسطين

جاء صديق فلسطينى وهو تاجر مثقف مؤمن غيور على دينه وأمته ، مطلع

بن الحقائق من الأفراد ، وهو من الذين آنست منهم الغيرة الملتهبة والإيمان القوى والوعى الصحيح، يعرف الملك والأمير طلال معرفة شخصية ومن أصدقاء الأخير ، وشاهد عين لما جرى فى فلسطين من مهازل ومآس ، ولما مثلته الجامعة العربية وملوك العرب والحكومات العربية على مسرح فلسطين من مضحكات مبكيات وعرفت منه حقائق كثيرة . استنبطت من حديثه أن قضية فلسطين كانت مسرحية قد أخرجها الإنجليز وأصدقاؤهم من قبل ولم يكن فيها جد ولا حرب، إنما كانت خطة مدبرة وأمراً مبيتاً ، وكان الممثلون فيها ملوك العرب وقادتهم ، وعلى كل منهم كفل من دم أبناء فلسطين، وأن أبرأ الرجلين من تبعة فلسطين ونكبتها هو الشعب الفلسطينى الحر الذى لم يكن يعرف شيئاً ولا يملك صلحاً ولا حرباً ، وعرفت أن جلوب الإنجليزى لم يكن وكيل مصلحة الإنجليز فحسب ، بل كان وكيل اليهود أيضاً ، وكان فى بعض الأحيان يحتل بلداً باسم الجيش الأردنى ثم يتركه لليهود ، وفى بعض الأحيان يؤخر الجيوش العربية أو يقف دونها حتى يأتى اليهود ويأخذوا المكان . وقال إنه نسخة من رتشارد الملك الإنجليزى يحمل الروح الصليبية ، و إنى أتمنى أن أخاطبه مرة بقولى : يا رتشارد وأهنئه على أداء رسالته الصليبية ونجاحه فى مهمته .

زيارة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى

ذهبنا إلى سماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطى وجلسنا فى منزله الجميل ، الذى هو أشبه بقصور الأمراء وتفكهنا وشربنا الشاي ، ثم ذهبنا ومعه الحاج ناشد

إلى محطة عمان لزيارة الشيخ محمد يوسف عبد الرحمن البرقاوى والشيخ محمد سالك الشنقيطى ولم نجد الأول فى بيته ، فذهبنا إلي الثاني ومررنا فى طريقنا باللاجئين فرأينا أكواخهم وخيامهم جنب القصور الفاخرة التى تزهو بها عمان .

بؤس اللاجئين خطر نذير

وهذا هو الذى يخوف كثيراً ، فإن الله لا يرضى هذا الوضع ، رجال يموتون جوعا ورجال يموتون تخمة ، ورجال لا يؤويهم بيت ويسكنون فى خيام لا تسكنهم من المطر والبرد والحر ، وإزاء ذلك قوم يسكنون في قصور تفضل عن حاجاتهم كثوب فضفاض على جسم قصير ، وقابلنا الشيخ سالك الشنقيطى وجلسنا معه طويلا ثم رجعنا إلى محلنا ، فعرفنا أن الملك أرسل إلينا مراراً واتصل الشيخ محمد الأمين الشنقيطى بالدكان يدعونا لحضور العشاء مع أعضاء بعثة مجلس الشيوخ المصرى ، الذين كانوا ضيوف الملك هذه الليلة ولكنه لم يجدنا ، وأخبره زميل الحاج قاسم أن الضيوف قد خرجوا للتفرج فى البلد .

الخميس ٨ / ١٠ / ٧٠ هـ — ١٢ / ٧ / ٥١ م

زيارة الكلية العلمية الإسلامية

جاءنا الشيخ محمد يوسف عبد الرحمن البرقاوى والحاج عبد اللطيف أبو قوره رئيس الإخوان ومكثنا إلى ما بعد العصر ، ثم خرجنا مع الحاج عبد اللطيف نزور الكلية العلمية الإسلامية ، وقد أسست هذه الكلية بإعانات أهل الخير من الشعب ، والفضل الأكبر فى تأسيسها لصديقنا الحاج عبد اللطيف ، فهو الذى تقدم ببضعة آلاف إعانة للكلية ثم تتابعت الإعانات .

زرنا أقسام هذه الكلية ومكتبتها ومسجدها وقاعتها ، وجلسنا فى إدارة

دير الابتدائية الأستاذ محمود العابدى ، وجرى ذكر نور الدين الشهيد رحمه الله، والسلطان صلاح الدين الأيوبى والحروب الصليبية ، فقال الأستاذ العابدى إن السلطان زحف من مصر إلى الجيوش الصليبية .

انقطاع صلة مصر عن فلسطين براً من أكبر غلطات الجامعة

ومن غلطات الجامعة العربية والحكومات العربية أنها سمحت بقطع صلة مصر عن فلسطين براً ، واحتل اليهود الطريق، فإذا أرادت مصر أن تنصر أهل فلسطين أو أن تتوجه جيوشها ما كان لها ذلك عن طريق البر .

إعداد المحاضرة

كنت أفكر فى إعداد المحاضرة بجامعة سورية التى وعدت بها ، وربما كان لها موضوع مثل « كيف يستعيد العرب مركزهم العالمى ؟ » ولكنى لما سافرت إلى فلسطين وأقمت فى القدس ، ملكت فلسطين فكرى ورأيت أن خطبها جليل وأمرها عظيم ، فاخترت أن أتحدث عن عوامل ضياع فلسطين وأسباب نكبتها ورأيت أن أدرس سيرة صلاح الدين الأيوبى ، وما كان يتصف به من صفات وأخلاق ، وأعرف أسباب انتصاره على الصليبيين ، وأعرف المفارقات بينه وبين المتزعمين بقضية فلسطين اليوم فسألت عن كتب ألفت فى سيرة السلطان هل يوجد منها شىء في مكتبة الكلية فأخبرنى الأستاذ العابدى أن عنده كتاب المحاسن اليوسفية لابن شداد والفتح القسى لابن عماد الكاتب وتفضل فأعارنى هذين الكتابين، وقد وجدت فى كتاب ابن شداد وثائق عظيمة انتفعت بها كثيراً فى محاضرتى التى عنونتها ب« شهادة العلم والتاريخ فى قضية فلسطين» .

فى ضيافة الملك

ذهبنا لصلاة الجمعة إلى الجامع الكبير ورأينا فرقة من الجيش على الباب، فعرفنا أن الملك سيصلى الجمعة فى هذا الجامع ، وما لبثنا أن جاء الملك وصلى فى مقصورته ، و بعد صلاة الجمعة عرفنا أن الملك دعانا للغداء معه فى قصره وكان صديقنا ومضيفنا الحاج قاسم الأموى يصلى السنة و اثنان من الحرس قائمان على رأسه ، فلما سلم ساراه بشىء وهو أن يتوجه بنا إلى القصر ! فإن الملك فى انتظارنا ولم ير الناس إلا أن رجال الحرس قاموا يرقبونه وكلموه بعد الصلاة ،وشاع فى البلد أن الحاج قاسم اعتقل فى المسجد واضطرب أصدقاؤه ، و إذا الأمر بالصد فإنه دعى إلى الغداء مع ضيوفه ، والحاج قاسم لم يكن قد قابل الملك من قبل مع كونه فى العاصمة ، وكان عنده بعض التردد فقوينا عزمه وتوجهنا إلى القصر فلما حضرنا قال الملك عبد الله للحاج قاسم : لماذا أخرت ضيوفنا ؟ فلم يجبه الحاج بشىء وسلم عليه وقبل يد الملك ، ثم جلسنا للغداء واعتذرت للملك عن عدم الحضور ليلة الخميس فلم نعلم بالدعوة إلا بعد الرجوع من الفسحة ، فقال كنت أحب أن تجتمعوا بالشيوخ المصريين .

حديث عن كتاب « ماذا خسر العالم »

وكان الملك قد طالع شيئا من كتاب ماذا خسر العالم فسأل عن الدكتور أحمد أمين فذكرت ما أعلم عنه فانتقده وقال هو غمز غمزة في المقدمة وأساءت هذه المقدمة إلى الكتاب وكان التجرد عنها أولى بالكتاب ، وقال إن الكتاب ليس فى حاجة إلى مقدمة ، قلت :لا ينشط ولا يتحمس لكتابة المقدمة لهذا الكتاب إلا من يعتقد أن الإسلام له الحق وحده أن يسود و يحكم فى العالم وأن الإنسانية لا تسعد

إلا فى ظل حكم الإسلام وقيادته، ومع الأسف كثير من أدبائنا يعتقدون أن الإسلام قد قضى أجله ومثل دوره فى تاريخ العالم والآن ليس له مستقبل ، وهذا النوع من التفكير لا يتفق مع مقاصد هذا الكتاب وروحه .

عن المسجد الأقصى

وتسلسل الحديث وتكلم الملك كلاما يدل على دراسته وتأملاته فى القرآن ثم استرعيت اهتمامه إلى المسجد الأقصى وزيادة العناية به ، وإلى اللاجئين فوعد بذلك ، وذكر بعض أعذاره وما منعه من زيادة الاهتمام بالمسجد الأقصي ، وقال ما رأيتموه من نقص فهو لضيق الوقت وكثرة الأعداء وحسد الأخلاء، وسترون فى الزيارة الثانية إن شاء الله ما يسركم ، وقدمت إليه نسخة من « بين العالم وجزيرة العرب » وشاعر الإسلام « الدكتور محمد إقبال » وودعته .

يوم السبت ١٠ / ١٠ / ٧٠ هـ - ١١ / ٧ / ٥١ م

ركبنا السيارة صباحا من عمان ووصلنا إلى دمشق فى العصر .

الأحد ١١ / ١٠ / ٧٠ هـ - ١٥ / ٧ / ٥١ م

ذهبنا إلى الشيخ أحمد كفتارو وأخذنا منه الرسائل وجلها من المدينة المنورة فيها رسالتان أختي محمد بن رشيد الحسني وزملائه

جاء الشيخ محمد النمر الخطيب الفلسطيني خطيب حيفا سابقاً صاحب تأليف « هدى القرآن » وجلس يتحدث ، وذهبنا إلى الشيخ محمد بهجت البيطار وكان مجلسه كعادته نزهة الخواطر وبهجة المسامع ، يجمع بين طرائف أدبية وفوائد تاريخية ومعلومات فى التفسير والحديث .

مقابلة الشيخ مصطفى السباعى

سمعنا أن الأستاذ سعيد رمضان فى فندق أمية فذهبنا نزوره ووجدناه محفوفا بالشباب وأبناء الجامعة ، تقابلنا كالإخوان يتلاقون بعد فراق، وجاء الشيخ مصطفى السباعى ، فرأيته لأول مرة وقابل بحرارة ومحبة ، وذكر اطلاعه على بعض المحاضرات للداعى فى رحلته إلى باكستان أهداها إليه بعض إخواننا فى الباكستان ثم اطلاعه أخيراً على كتاب ماذا خسر العالم وتشوقه إلى صاحبه، وذكر كل منا اتصاله الروحى والفكرى بصاحبه والتقاء الأفكار .

يوم الاثنين ١٢ / ١٠/ ٧٠ هـ — ١٦/ ٧/ ٥١ م

اغتيال رياض الصلح بك وأمره فى سورية

نقلت الصحف اليوم نبأ اغتيال رياض الصلح بك رئيس الوزارة اللبنانية مراراً، وقد وقع اغتياله فى مطار عمان وهو عازم على الرجوع إلى بلده ، وقد كان هذا النبأ والحديث عنه حديث النوادى والمجالس، ومن الناس من يثنى عليه ثناءاً عاطراً ويعده من قادة العرب الأفذاذ ، ومنهم من يعتبره المسئول الأول عن الهدنة بين العرب واليهود ، والسوريون يأخذون عليه إضافة ثلاث أقضية سورية منها طرابلس الشام إلى لبنان المسيحية ، لأنه اشترط لدخول لبنان فى جامعة الدول العربية تخلى سورية عن هذه القضية وتنازلها عنها للبنان، وأقنع جميل مردم بك رئيس وزراء سورية يومئذ بلباقته المعروفة ودهائه السياسي ، وعلى كل فقد كان الفقيد رحمه الله من طراز زعماء العرب ورؤساء الحكومات العربية الذين نشأوا فى مدرسة السياسة الغربية ، وليس هذا الاغتيال الذى ينكره كل عاقل إلا رمزاً للاستياء

السائد والتذمر العميق فى الشعب من الأوضاع فى هذه البلاد وعدم رضائه عن زعمائه وقادته .

حديث الأستاذ محمد المبارك

تغدينا اليوم عند الأستاذ أبو عزة أمين الغفرى ، وشرفنا فى العصر الشيخ بركات أحمد مفتى حوران ، وقد حدثه عنى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، وشرف الأستاذ محمد المبارك نائب دمشق ، وجلس مجلساً طيباً واستعرض التطور السياسي والدينى فى هذه البلاد ، وكان حديثه منيراً مفيداً استقيت منه معلومات كثيرة وأخذت فكرة مجملة عن وضعية البلاد السياسية والدينية .

الثلاثا ١٣ / ١٠ / ٧٠ هـ — ١٧ / ٧ / ٥١م

زيارة الشيخ حسن حبنكة

أفطرنا عند الأخ الكريم السيد محمود الحافظ وزرنا في معيته فى الميدان الشيخ حسن حبنكة من كبار علماء دمشق والأساتذة المربين، والميدان معروف فى دمشق بكونه مركزاً دينياً علمياً وحمى وحصناً للآداب الإسلامية والتقاليد الشرقية ،وأكثر علماء دمشق من الميدان أو انتقلوا منه في مدة قريبة ولا يزال فيه مثل الشيخ بهجة البيطار والشيخ حسن الحبنكة والشيخ زين العابدين والشيخ مكى الكتانى وغيرهم .

حديث عن المدارس الدينية وتطوراتها

ذكرنا للشيخ حسن تجار بنا فى الدعوة وضمها إلى دراسة المدرسة وخروج الطلبة مع أساتذتهم إلى الأرياف لنشر الدعوة والمبادىء الدينية فى الشعب، وما أفاد ذلك من انبعاث الروح الدينية فى الطلبة وعزمهم على الدعوة والاتصال بالشعب والتأليف بين المعلمين والتلاميذ وتفاهمهم بعضهم ببعض ، وقد فقد ذلك من مدارسنا من زمان، وأصبح التعليم حتى فى المدارس الدينية حركة صناعية وعملا ميكانيكياً لا روح فيه ولا ضمير ، ولا عاطفة فيه ولاشعور ولااتصالا روحياً بين الأساتذة والتلاميذ ، ولكن هذه الرحلات والاجتماع على الدعوة فى غير جو المدرسة يعيد هذه العلاقة الروحية ويفيد الطلبة في ناحية والجمهور فى ناحية أخرى

وقد أصغى الشيخ إلى هذا الحديث وكان يطالع الشبه بين تطور المدارس فى الهند وتطورها في الشام، ثم قال لقد كنا — قبل أن تتطور المدارس وتتجدد أو بلفظ أصح تصبح عصرية — أشبه بأسرة وأفراد بيت واحد يعيش بعضهم مع بعض ويخدم بعضهم بعضاً ، وكنا لا نزور بيوتنا إلا بعد أيام ، وكان معظم أوقاتنا ينقضي بين الطلبة ، وكنا نخرج إلى الخارج فنطبخ الطعام بأنفسنا ونقضى وقتاً فى حرية وصفاء، ولكن بعد ذلك دخلت على مدارسنا التنظيمات المصرية وأصبحنا أساتذة وتلاميذ ، ونشأت الحواجز وأحدثت أنظمة وقواعد ، ففقدنا ذلك الروح .

تأثير الدعوة الدينية فى الشعب

ثم ذكر الشيخ تأثير الدعوة فى الشعب وتأثير الشخصية القوية المخلصة في الجمهور فذكر الشيخ على الدقر عليه رحمة الله ونفوذه فى الشعب ، وإقبال الناس على الدين بشكل أفزع الفرنسيين، وظنوا أن هنالك مؤامرة سياسية وأن هذه

النهضة الدينية لما مابعدها ، فكانوا يستفسرون الناس : ماذا بعد تربية اللحى والاهتمام بالسنن والتمسك بالآداب ؟ لا بد أن وراءها تجمعاً واستعداداً للثورة ، وهكذا ، وذكر الشيخ بعض تجارب الخاصة فى نشر الدعوة وخطاب الشعب ، و إثارة شعوره الدينى وما نال فى ذلك من نجاح وسلامة طبع الشعب السورى وسرعة تأثره بالدعوة الدينية

عقد لنا الأستاذ محمد النمر الخطيب سهرة في بيته حضرها عدد من الفلسطينيين المثقفين و بعض علماء البلد .

الاربعاء ١٤ / ١٠ / ٧٠ هـ — ١٨ / ٧ / ٥١ م

بقيت اليوم مشغولا بإعداد محاضرة «شهادة العلم والتاريخ فى قضية فلسطين» التى أريد أن ألقيها يوم الاثنين القابل فى الجامعة السورية ، وقد شغلتنى هذه المحاضرة منذ رجعت إلى دمشق ، وستشغلنى إلى الساعة التى ألقيها شأنى فى كل المحاضرات فإنها تكون دائماً قطعة نفسى وعصارة فكرى ، أرضت الناس أو لم ترضهم .

حديث مع الأستاذ محمد على الحومانى

جاء اليوم بعد العصر الشاعر السورى المعروف الأستاذ محمد على الحومانى يسأل عن هذا الفقير ، وقد شرف قبل هذا ليجتمع بى ، وقد حدثه محبنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار بما جعله يرغب فى مقابلتى وإنى دائماً أشعر بالخجل و بضعف نفسي وفقر علمى إذا جاء أحد أهل العلم والأدب يزورنى بما سمع عنى أو قرأ لى ، جلس الأستاذ الحومانى يتحدث و ينشد شعره ، و يذكر تجاربه و يدلى بمعلوماته عن الحكومات العربية والشعوب العربية ، وهو مطلع على جوانب الضعف فيها ناقد لها ، متألم للتحلل الخلقى والفقر الروحى وطغيان المادية والأثرة على القيادة

بالفضل فى إبراز الفكرة الإسلامية الصريحة وإيقاظ الشعور الدينى وبالجهاد والبطولة فى ميدان فلسطين ، وكلامه يؤيد ماسمعت من قبل وتحققته من عدم محاربة الجيوش العربية وتخليها عن المدن الفلسطينية العربية وانسحابها عنها ، ونقل الأستاذ الحومانى قول قائد مصرى كان فى فلسطين : إن الجيش المصرى كان دائما يتلقى أوامر من القيادة العليا فى مصر بالانسحاب لا إلى النقطة الخلفية بل إلى ورائها ، قال : وكنا دائماً معهم حتى لا يتهوروا ولا يلقوا أنفسهم حيث لاصدر .

مقابلات جديدة

خرجنا بعد المغرب مع الأستاذ الحومانى والأستاذ القلقيلى إلى منزل الشيخ بهجة البيطار ، وكان قد دعا بعض النواب ونقيب الصحفيين وجماعة من أهل الفضل للتعارف والاجتماع ، وقابلنا هناك الشيخ محمد على ظبيان وهو العالم الشامى الذى ذكره الأستاذ الكبير الشيخ شبلى النعمانى فى رحلته ، وقد اجتمع به فى استنبول ، تحدثنا مع الأساتذة وتفكهنا وشربنا القهوة ورجعنا .

يوم الخميس ١٥/ ١٠/ ٧٠ هـ — ١٩ /٧/ ٥١ م

عناصر محاضرتى عن فلسطين

بقيت اليوم مشغولا بإعداد المحاضرة وقد استعرت من مكتبة الشيخ بهجة البيطار مجلدات من تاريخ الكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير ، هذا إلى ماعندى من نقول ومقتبسات من كتاب ابن شداد ، وقد بنيت محاضرتى هذه على أهم عوامل ضياع فلسطين : العامل الأول منها فقدان الدوافع النفسية إلى الاستماتة والتفانى فى سبيل المبدأ والعقيدة ، وهنا أريد أن أحكى كيف أوجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم الإيمان والحنين إلى الشهادة والجنة فى نفوس المسلمين صغارهم وكبارهم ، وكيف ضعف هذا الإيمان الذى كان أكبر قوة وأعظم ثروة عند العرب ، وكيف أثرت فيهم الحضارات والمادة ، وكيف ضيعوا هذا المفتاح للحياة وأفلسوا فى رأس مالهم ، والعامل الثانى طغيان العقل على العاطفة وفقدان روح المغامرة والإسراف فى التفكير والحذر من العواقب ، وهنا أريد أن أتحدث عن قوة العاطفة وروح المغامرة التى تستمد قوتها من الإيمان وفضلها فى تاريخ العرب ، وأذكر المغامرات العظيمة التى عادت على العرب بالفتوح الرائعة والانتصار الباهر ، وعلى الإنسانية بالسعادة ، وعلى الحضارة بالازدهار ، وكونت هذه المملكة الإسلامية العظيمة وأقامت هذه المدنية الزاهية المباركة حتى نعم فى ظلها المسلمون والعالم ، وأذكر كيف فقد العرب الجرأة والاقتحام وسرعة التنفيذ والمخاطرة بالنفس فى سبيل العقيدة والشرف ، وكيف أسرفوا فى التفكير واعتمدوا على غيرهم وفقدوا الثقة بأنفسهم والاعتماد على الله حتى أضاعوا بلادهم ومقدساتهم وهانوا على الأمم كلها حتى المشردة الذليلة منها ، والعامل الثالث هو عدم وجود شخصية فى الشعوب العربية والحكومات العربية كلها تملك فلسطين وقضيتها عليها مشاعرها وتفكيرها وتصبح همها الشاغل فلا تفكر إلا فيها ولا تعيش إلا لأجلها ولا تجاهد إلا فى سبيلها ، وهنا أريد أن أعرض أمثالا ونماذج من التاريخ الإسلامى ومن سيرة سيدنا أبى بكر والسلطان صلاح الدين الأيوبى وأبين كيف استولت عليهما قضايا الإسلام والدفاع عن الدين حتى كان كل منهما لفرط اهتمامه ووجده كالوالدة الثكلى فقدت وحيدها .

الأستاذ تيسير ظبيان

شرفنا قبل العشاء الأستاذ تيسير ظبيان مدير معهد العلوم الشرعية في عمان ،

وكنت فى صغرى قرأت مجموعة أدبية لمقالات بعض الكتاب العصريين اسمها « الفردوس » وتأثرت بها وحاولت أن أقلد أسلوبها وأنسج على منوالها، ولما سمعت بالأستاذ تيسير ظبيان بادر ذهنى إلى هذا الكتاب، وتذكرت أنه كان للأستاذ تيسير ظبيان، وسألته عنه فقال نعم إنه من مؤلفاته المبكرة ووعد بإرسال نسخة منها من عمان، ولم يكن اهتمامى بهذا الكتاب إلا كأثر من آثار الصبا، وآثار الصبا حبيبة إلى النفس .

يوم الجمعة ١٠/١٦/٧٠ هـ — ٥١/٧/٢ م

نبأ اغتيال الملك عبد الله

صلينا الجمعة فى مجلس الدقاق خلف الشيخ بهجة البيطار، وذهبنا بعد العصر إلى جامع الشيخ محى الدين، وحضرنا درس الشيخ أحمد كفتارو وكان الاجتماع كبيرا، وهنا فوجئنا بنبأ اغتيال الملك عبد الله ابن الحسين ملك المملكة الهاشمية الأردنية وقد سمعه بعض أصحاب الشيخ أحمد من الإذاعة، وقد كنا فى الجمعة الماضية فى ضيافته وعلى مائدته فسبحان الحى الذى يميت ولا يموت وكل شىء هالك إلا وجهه، وإن مقتله عبرة كبيرة وعظة بالغة، وقد بلغ بمملكته التى كانت تضم بضعة آلاف نفس إلى مملكة ذات شأن وكانت له آمال كبيرة وأحلام كثيرة وبينما هو فى آماله وتصميماته إذ اختطفته يد المنية، وقد قضى حياة أثارت نقدا كبيرا، وعجز كثير من الناس عن فهم أهدافه الحقيقية وتبرير مواقفه فى القضية العربية، ومن المصائب أن الحزن عليه حائر فى الصدور والدمع حائر فى المآقى، وعلى كل فقد كانت شهادته خيرا له، أما البلاد فلا تعرف هل كان الحادث خيرا لها أم شراً لها، ونخشى أن تزداد الأحوال بعده اضطرابا حتى يتذكره الناس ويترحمون عليه، ونخشى على القدس من التدويل ومعناه الحكم الصهيونى، ونخشى أن يصيد الإنجليز فى الماء العكر فإن الإنجليز أمة لم تعرف معنى الوفاء والمبادىء ،

وعلى كل فرحم الله الراحل وسامحه ، ورحم الله أهل فلسطين وحفظ لهم ما بقي لهم .

يوم السبت ١٧ / ١٠ / ٧٠ هـ — ٢١ / ٧ / ٥١ م

أصدقاء كرام

أفطرنا عند الشيخ أحمد كفتارو وظللت مشتغلا بالمحاضرة ، وتغدينا عند الأخ العزيز الأستاذ عبد الرحمن الباني وهناك فاجأنا الأستاذ عمر بهاء الأميرى وزير سورية المفوض فى الباكستان ، جاء مع الأستاذ أمين المصري عضو لجنة التعليم والتربية فى وزارة المعارف السورية ، قال الأستاذ الأميرى إنه كان مدعوا عند أحد الأصدقاء فلما سمع بحضورى فى بيت الأستاذ الباني اعتذر إلي الصديق وحضر هنا حرصاً على الاجتماع بى ، وسررت بإخلاصه وعدم تقيده بالشكليات ، وسر به المضيف جداً فإنه من إخوانه الأعزة .

مع الأستاذ أديب خان

ومن بيت الأستاذ الباني قصدنا دار الأستاذ أديب خان وجلسنا عنده ساعة أطلعنى فيها على كتابه الذى أثبت فيه أن استعمار الإنجليز للبلاد وحروبهم كانت لأجل المحافظة على الهند التى كانت درة تاجهم الإمبراطورى ، وأعجبت بأسلوب هذا الكتاب الأدبى وعبارته البليغة ومتانة الاستدلال ، والأستاذ أديب خان نشأ فى أفغانستان وفى سورية ويجمع بين ثقافتيهما وأدب اللغتين الفارسية والعربية .

يوم الأحد ١٨ / ١٠ / ٧٠ هـ — ٢٢ / ٧ / ٥١ م

زيارة الجمعية الغراء والنادى العربى

شرفنا الشيخ محمد على ظبيان والشيخ مصطفى السباعى بزيارتهما وزرنا

الجمعية الغراء واجتمعنا برئيسها الشيخ أحمد الدقر ، وزرنا النادى العربى وجلسنا حيناً إلى أعضائه نتحدث عن صلات الهند الدينية والثقافية بالعرب ومساهمة أبنائها وعلمائها فى العلوم العربية ومكتبتها، وقلت لهم إن هذا الاتصال الروحى الوثيق وصداقة ملايين من المسلمين للعرب لا يستهان بقيمها بل يترجح على الانحياز لحفنة من المسيحيين الذين يعيشون فى البلاد العربية، إذن فالجامعة الإسلامية التى تقوم على صداقة ملايين من البشر يتصلون روحيا ودينيا وثقافيا أولى بالاعتناء من القومية العربية التى تقوم على وحدة اللغة والوطن فقط، وقد لوحت إلى هذه النقطة لأنى سمعت أن النادى العربى متأثر بمبادىء حزب البعث العربى ورجاله .

فى جمعية التمدن الإسلامى

دعانا اليوم صديقنا الأستاذ محمد كمال الخطيب إلى جمعية التمدن الإسلامى لنتعارف مع أعضائها ورجالها العاملين، وحضر هناك الشيخ بهجة البيطار ومحمد ابن الخطيب وأحمد مظهر العظمة وبعض القضاة المحترمين ، وقد منى الأستاذ محمد كمال الخطيب وطلب منى كلمة ألقيها بهذه المناسبة، فتحدثت عن مسئولية العرب فى داخل بلادهم وفى خارجها ، فأما فى الداخل فتجديد الإيمان بالرسالة الإسلامية والفكرة الإسلامية إيمانا يشبه إيمان المهتدين الجدد فى متانته وقوته وحماسته . وتكلم الحاضرون فى وسائل هذا التجديد وأساليبه وذكروا تجاربهم ، وكذلك نشر الدعوة الدينية فى داخل البلاد واقترحت على أعضاء الجمعية الاهتمام بهذه الناحية والاتصال بالشعب الذى هو فى حاجة إلى التوجيه الدينى وعدم الاقتصار على الإنتاج العلمى وخطاب الطبقة المثقفة أما المسئولية الخارجية فدعوة الأمم إلى الإسلام .

يوم الاثنين ١٩/١٠/٧٠ هـ — ٢٣/٧/٥١ م

محاضرتى فى الجامعة السورية

كان اليوم موعد إلقاء المحاضرة فى الجامعة السورية ، ذهبنا بعد صلاة العصر إليها وجلسنا قليلا فى غرفة الأستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة، ومن غريب المصادفات أن الأستاذ قسطنطين زريق بحث أيضاً عن أسباب فشل العرب وانهزامهم فى معركة فلسطين السياسية فى رسالته « معنى النكبة » وقد أطلعنى عليها الأخ عبد الرحمن البانى فى الوقت الأخير ، وطبيعى أن يكون هنا لك اختلاف فى أسلوب التفكير ومنهجه، فهو يوصى العرب فى هذه الرسالة بالتطور الكامل والتجرد عن الأفكار القديمة وفصل الدين عن الحياة ، ولكننا نلتقي على أن العرب فى حاجة إلى الإيمان وبحثت فى معنى الإيمان ، جلسنا قليلا فى غرفته نتحدث معه عن مركز اللغة العربية وآدابها فى الهند واعتناء المسلمين فى تلك الديار بهذه اللغة وخدمتها وتحدث الشيخ محمد بهجة البيطار عن فضل علماء الهند فى تعلم اللغة العربية و إتقانها وعطفهم على الجامعة الإسلامية وتمسكهم بالإسلام ، وكان الأستاذ قسطنطين يخاف أن يكون المستمعون قليلين جداً لسبب الإجازة الصيفية وشدة الحر فى هذه الأيام فمهد لذلك واعتذر إذا كان من يحضر قليلا ، وخرجنا إلى مدرج الجامعة فوجدنا اجتماعاً كبيراً وما لبث المدرج أن غص بالحاضرين على سعته ، وكان من بينهم الدكتور معروف الدواليبي رئيس المجلس النيابى والأستاذ عمر بهاء الأميرى والأستاذ قسطنطين زريق رئيس الجامعة والأستاذ يوسف العش سكرتير الجامعة ، ومن النواب الأستاذ عبد الوهاب حومد [١] والأستاذ محمد المبارك والدكتور مصطفى السباعى ، ومن أساتذة الجامعة ورجال المعارف الدكتور أمجد الطرابلسى أستاذ كلية الآداب ، والأستاذ سعيد الأفغانى أستاذ كلية الآداب والشيخ

(١) وزير المعارف فى حكومة السيد حسن الحكيم .

بهجـــــة البيطار من أساتذة الجامعة والأستاذ عمر المصرى مدير مدرسة دير ياسين لتعليم أبناء اللاجئين والأستاذ أحمد مظهر العظمة عضو لجنة التربية والتعليم فى وزارة المعارف ومن أركان جمعية التمدن الإسلامي ومجلتها ، والأستاذ أمين المصرى عضو لجنة التربية والتعليم ، والأستاذ محمد كمال الخطيب من أعضاء جمعية التمدن الإسلامى ، ومن العلماء الشيخ أحمد كفتارو والشيخ مكى الكتانى والشيخ أحمد الدقر رئيس الجمعية الغراء ، والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق من أعضاء الجمعية الغراء وخطبائها والشيخ محمد على ظبيان من علماء دمشق وغيرهم ، تقدم الشيخ محمد بهجة البيطار فقدم المحاضر إلى المستمعين ، ثم ألقيت المحاضرة وعلق عليها الشيخ مصطفى السباعى بكلمة بليغة وأيد ما جاء فيها من آراء وملاحظات ، ورجا أن يقيض الله لفلسطين من يتبنى قضيتها ويتحرر لها ويسهر عليها كالرجل الذى يمرض وحيده ، وانفض المجلس ، وكانت الحفلة ناجحة والحمد لله .

الثلاثاء ٢٠/١٠/٧٠ هـ — ٢٤/٧/٥١ م

فى ضيافة الشيخ محمد على ظبيان

حديث عن شيوخ دمشق

كان حديث المجلس في الإفطار عن محدث الشام الجليل السيد بدر الدين الحسنى والشيخ عبد الحكيم الأفغانى وعن أساليب الدعوة إلى الله وحكمتها ، ومما ذكره الشيخ عبد الوهاب الصلاحى بهذه المناسبة أن الشيخ بدر الدين الحسنى رحمه الله أرسل إلى مومسات دمشق فى يوم من أيام رمضان يقول : هذا شهر مبارك يستجاب فيه الدعاء وتنزل الرحمة فيسألكن بدر الدين أن تغتسلن وتصلين ركعتين لله تعالى وتدعون للمسلمين ولبدر الدين عسى أن يتوب

الله عليه ، وقد كان هذا الأسلوب مؤثراً جداً فقد تابت بهذه الطريقة أكثر من عشر من المومسات وحسن حالهن ، ومما ذكره الشيخ بهجة البيطار أن والد السيد بدر الدين الحسنى سمع مرة أن خمارة فتحت بجنب مسجد فجاء إلى السيد عبد القادر الجزائرى ورجاه فى أن يمنعها فاعتذر بأنه لا حول له ولا طول، فقام أمامه وقال: أصلى ركعتين على هذا الميت الله أكبر ، وصار يصلى عليه فقال ما هذا ؟ قال: صلاة الجنازة لأنك ميت لا تستطيع أن تمنع خمارة فى جنب مسجد، فاعتذر واشترى هذا الدكان ووقفه .

وقد زرنا فى طريقنا إلى بيت الشيخ محمد علي ظبيان قبر سيدنا زيد بن ثابت وسيدنا زيد بن أرقم ولا نعرف مقدار صحة هذه النسبة .

شرفنا الشيخ مصطفى السباعى ووضع برنامج السفر إلى حلب فى طريقنا إلى تركيا وزيارة حمص وحماة .

محاضرتي فى الجمعية الغراء

اجتمع العلماء ورؤساء الجمعيات الدينية فى الجمعية الغراء فى جامع جنكيز وحضر عدد كبير من أهل العلم ورجال المدارس ، وحاضرت فى موضوع الدعوة ووجوب نشرها فى الجماهير وحاجة المدارس إلى ذلك ؛ وذكرت تجارب معلم فى هذه السبيل ، وبينت الأخطار التى تهدد المدارس الدينية ومستقبلها لو اقتصرت على التدريس فقط وانطوت على نفسها ولم تتصل بالشعب ولم توقظ فيه الشعور الدينى ، وذكرت لهم منهاج الدعوة الذى اتخذناه فى مدرستنا دار العلوم وفى بلدنا لكهنو وما أثمر هذا المنهاج وما عاد على المدرسة وعلى البلد من ذلك من فوائد .

الاربعاء ٢١/١٠/٧٠ هـ — ٢٥/٧/٥١ م

أخبار شرق الأردن

نقلت الصحف ما كنا نخشاه فى شرق الأردن وفى القدس ، فقد اضطربت الأحوال وانتهز « كلاب » الفرصة فبطش بالفلسطينيين الأبرياء وشفى نفسه من أهل القدس ، وحشر كثيرا منهم إلى السجن بتهمة المؤامرة، وأصبح القدس تحت رحمة الجيش الأردنى ، واستنسر البغاث فى أرض المسلمين بفضل الإنجليز وصنائعهم ، والحكومات العربية وجامعتها متفرجة منعزلة لا تحرك ساكنا ولا تمنع معتديا، ولم يرفع أحد صوته فى حماية أهل القدس العزل الا المفتى أمين الحسينى .

حديث مع الأستاذ محمد عزه دروزه عن قضية فلسطين

ذهبنا لزيارة الأستاذ محمد عزة دروزة صاحب كتاب « عصر النبى عليه السلام وبيئته قبل البعثة » وكنت قد قرأت هـذا الكتاب سنة ١٩٤٧ م فى مكة وأفدت منه فى كتابى « ماذا خسر العالم »وجرى الحديث عن فلسطين، والأستاذ فلسطينى يعمل لقضية فلسطين من زمان وله فى ذلك مؤلفات، فأطلعنا على بعض الحقائق وهى تؤيد ما عرفناه من قبل من مصادر كثيرة من ضعف الحكومات العربية وتخاذلها وعدم كفاءة القادة العرب ، وقال الأستاذ إن الحكومات العربية لم تكن جادة فى هذه القضية ولم تكن مصممة على متابعة الحرب ، وقد قيل لها في مرحلة من مراحل القضية أن تحشد قوتها وتقضى على

إسرائيل كلياً ، وقد كان ذلك ممكناً ، ولكنها قالت : إننا دخلنا الحرب على أمل أن بريطانيا وأمريكا ستدخلان فى الموضوع وتسويان القضية ، لذلك لم تظهر الدول العربية الجد والصرامة ولم تستمت فى سبيل الدفاع عن فلسطين ، فعاشت إسرائيل وأصبحت الأمر الواقع ، ولم تتدخل بريطانيا ولا أمريكا ، بل ساعدتا إسرائيل . وغنى عن البيان أن ليس من طبيعة الحرب الاتكال على الغير ، ولا تستطيع أمة أو دولة أن تحارب العدو اعتماداً على تدخل ثالث ، فالحرب دائما غير مقيدة وغير مشروعة ؛ ولا يمكن أن تكسب إلا بالشجاعة والصرامة وبعزم القضاء على العدو ، ويمكن أن يقال للدول العربية :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

الخميس ٢٢ / ١٠ / ٧٠ هـ — ٢٦/٧/٥١ م

في مضايا

أخذنا اليوم الأخ عبد الرحمن البانى إلى مضايا المصيف الذى يصطاف فيه مع أسرته ، وهو مصيف جميل هادىء ، وقد مررنا فى طريقنا إلى مضايا بعدة مصائف ومناظر طبيعية جميلة ومررنا بنبع نهر بردى ، ولا شك أن سورية بصفة عامة ودمشق بصفة خاصة غنية جدا فى المناظر ، وقد حباها الله شيئاً كثيرا من جمال الطبيعة وفتنة المنظر وعذوبة المياه ورقة الهواء ، وقضينا النهار في مضايا .

ذكرى مؤتمر بلودان

ورأينا بلودان المصيف السورى الشهير من بعيد قلت للسيد البانى : كأن هذا الاسم يمر بأذنى من قبل قال : نعم هناك انعقد مؤتمر فلسطين الشهير بمؤتمر بلودان وقد حضره وزراء الدول العربية وقادتها وشربوا واستهتروا وكان كل ذلك باسم التفكير فى مسألة فلسطين وانفضوا ولم يقضوا شيئا ، وأعلن بعضهم أننا قد وصلنا إلى نتائج سوف تهز العالم ولكنها لم تظهر ولم تحدث اهتزازاً ما .

حديثى

عن انطباعات الرحلة ونتائجها وعن علل الشعوب الإسلامية

كان لي اليوم حديث . لخصت للمستمعين انطباعات هذه الرحلة والنتائج التي توصلت إليها ، لخصتها فى نقطتين الأولى أن الطبقة التى تمتلك زمام البلاد جيل لم يسغ الإسلام إساغة كاملة ولم يهضمه هضما صحيحا بحكم نشأته وثقافته ، ولا يؤمن بالإسلام كدين وحياة إيمانه بمبادىء الحضارة الغربية وقيمتها ، ولا يخلص له إخلاصه لفوائده وأغراضه ، وأن عقلية كثير من أفراده عقلية متعفنة لا تصدق أن الإسلام يسود ويحكم وأن سعادة البشرية منوطة به .

ثانيا الشعوب العربية الإسلامية فى جميع هذه البلاد ضعيفة فى الوعى أو فاقدة للوعى ، لا تفهم المبادىء والمسائل الأولية فى الحياة ، ولا تميز بين الصديق والعدو

والناصح والغاش ولاتبغض العدو ولاتحب الصديق . إنها كالسائمة تساق بالعصى وكقطعان الغنم تندفع من غير تفكير ، ومادامت هذه الشعوب يعوزها الوعي فهي عرضة للدعايات وأفرادها أتباع كل ناعق بخلاف الشعوب الأوربية فهي على علاتها الكثيرة وعيوبها الجمة ذات وعي في الشعور ، تعرف العدو من الصديق فلا يستطيع غير مخلص أن يستغلها زمنا طويلا أو يخدر أعصابها و يرجع إلى كرسي الحكم بعدما جنى على مصالح الأمة ولم يحقق آمالها . هذه هي الشعوب التي استغنت عن بطل الحرب الأولى المستر لويد جورج ، وبطل الحرب الثانية المستر تشرشل فلم يستطع أحدهما أن يتولى رئاسة الوزارة ولم يكن انتصار الأخير في الحرب شافعاله وموجبا لرجوعه إلى القيادة و كذلك بطل « فردن مسيو بيتان » أقصى من الحكم وحكم عليه [illegible] الامة لأجل التسليم للألمان ، أما نحن فالمتملك لزمام الحكم يبيع بلاده ويخون أمته في أقدس ماعندها وأثمن ماعندها و يحتكر الحكم تارة أو يعود إليه مراراً والأمة لا تحاسبه ولا تعاقبه لأن الضمير الاجتماعي غير واع وغير مستيقظ فليفعل الملوك مايشاءون و يتصرف الوزراء وممثلو الأمة كما يشاءون فحكمهم مضمون وشرفهم مأمون .

يوم الجمعة ٢٣ / ١٠ / ٧٠ هـ - ٢٧ / ٧ / ٥١ م

خطبة الجمعة في جامع الجامعة السورية

طلب مني طلبة الجامعة السورية إلقاء خطبة الجمعة في جامع الجامعة واعتذرت كثيراً لأن خطبة الجمعة ثقيلة على جداً ، وذلك من بعض خصائصي ، مع أني إمام الحي في بلدي وعريق في منصب الإمامة فأبي وجدي كانا يصليان

بالناس وأخي الأكبر كذلك والحمد لله ، ولكنني لا أزال أشعر بجلال الموقف ودقته ، ولكنهم لم يقبلوا مني عذراً ، فقبلت دعوتهم متهيباً ، افتتحت الخطبة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه » وشرحت هذا الحديث وقلت يا شباب الجامعة ، ما أسعد الطالب الذي أخبر بالامتحان قبل الامتحان ، وما أشقى الطالب الذي أخبر بأسئلة الامتحان قبل أوانه ثم ضيع الفرصة ولم يستعد ولم يحضر الجواب ، وهذه هي الأسئلة التي سوف نواجهها وتواجهونها قد أخبرنا بها الرسول الكريم الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ، لأنه يعرف أن الدنيا دار الاستعداد والجهاد والآخرة دار الجزاء والحصاد ، ثم أفضت في شرح جزء « وعن شبابه فيم أبلاه » وذكرت فيهم بعض الصحابة وأولي العزم من بعدهم معنى الشباب وموضوعه وانتفاعهم بفرصة الشباب فحكيت لهم حديث سيدنا مصعب بن عمير وسيدنا عمر ابن عبد العزيز من بعده كيف انتقلا من حياة التنعم والتأنق في المطعم والملبس إلى حياة التقشف والزهد وشظف العيش وخشونة الملبس والمطعم واستشعرا لذة الإيمان ، وذاقا حلاوة التضحية والإيثار واستهانا باللذات الحسية التي يشاركنا فيها الدواب والأنعام .

مع الشيخ مصطفى السباعي في مصيف « الأشرفية »

أخذنا الشيخ السباعي اليوم إلى مصيف « الأشرفية » الذي يصطاف فيه ورافقنا الأستاذ محمد المبارك ، وقد أقام الأستاذ السباعي عريشاً على النهر وهو محل ظريف طاب لنا الجلوس فيه والحديث مع الأستاذين السباعي والمبارك .

تحول الحماسة الدينية من الشيوخ إلى الشباب

رجعنا من الأشرفية وذهبنا مع الأخ البانى إلى بيته لنجتمع مع وأبناء الجامعة، ونتحدث إليهم بصفات الداعى وتربية النفوس، ورأينا هناك منظراً يثير الاعتبار ويدل دلالة واضحة على تحول عظيم، كان النقاش محتدماً فى مسألة نصب التماثيل للعظماء بمناسبة نصب تمثال ليوسف العظمة وزير دفاع سورية الذى قتل فى ميسلون: وموضع العبرة أن شيخاً متعمما من العلماء كان يدافع عن فكرة نصب التماثيل، وكان أكبر دليله والمبرر لنصب التماثيل أننا إذا رفضنا هذا التمثال المهدى إلينا من إخواننا السوريين في البرازيل هزأت بنا الأمم المتمدنة، وقالت إن الأمة السورية أمة متأخرة غير متمدنة وهذا عار كبير، وكان الشباب طلبة الجامعة الذين يخشى عليهم بحكم ثقافتهم الجامعية أن ينتصروا لفكرة التماثيل ويدافعوا عنها، قد ملكتهم الثورة، وكانوا متحمسين جداً فى الرد على هذه الفكرة، وكان بعضهم من شدة الغضب لا يملك نفسه فيضغط عليه زملاؤه احتراماً للشيخ ولحرية الرأى، وكان الشباب من غير شك أصح فهماً للاسلام وأكثر حماسة له وأبعد من مركب النقص فى هذا العالم، واستنتجت من هذا أن رجال الدين قد تركوا مقامهم وأصيبوا بدهشة الحضارة والأفكار الغربية، ولعل الزعامة الإسلامية اتجهت إلى الشباب الذين نشأوا فى أحضان هذه الحضارة المادية والثقافة العصرية، ولعل أبناء آزر والناشئين فى بيوت الأصنام يمثلون سيرة إبراهيم عليه السلام.

يوم السبت ٢٤/١٠/٧٠ هـ — ٢٨/٧/٥١ م

زيارة الأستاذ محمد كرد على

ثم توجهنا لزيارة العالم الكبير مؤرخ سورية وأديبها الأستاذ محمد كرد على،

اجتمعنا به فى منزله فاحتفى بنا وقابلنا ببشر وحفاوة لم يقابلنا بها إلا أفراد قلائل من الأدباء والكتاب ، قلت له: قد قرأت لكم أول ماقرأت فصلا من كتاب « حاضر الأندلس وغابرها » وأثرفى كثيراً وعلقت بذاكرتى بعض تراكيبه الجميلة وعباراته الرشيقة ، قال : سمعت أن هذا الكتاب ترجم فى الهند ، قلت قد ترجمه أحد زملائنا وهو الأستاذ عبد السلام الندوى ، قال : زرت الأندلس ، وصادف وصولى هناك يوم خروج العرب منها ، والبلاد تحتفل كل سنة بهذا اليوم ، وتكدرت جداً بهذه المصادفة و بقيت طول اليوم منكسف البال ، ثم أثنى على روح علماء الهند العلمية وحركة العلم والتأليف فى هذه البلاد وقال: هل تعلمون أن للهند فضلا ونصيباً فى أعمال السيد ابن عابدين العلمية ، وذلك لأن والده كان تاجرا وكانت له صلات قوية بالهند وكان يجلب كتبا يشترون الهند لولده وكان السيد يطالعها ، إذن فللهند يد فى تكوين ثقافته ودراسته الفقهية .

أهدى الينا الأستاذ محمد كرد على كتابه « كنوز الأجداد » الذى هو من أحب مؤلفاته إليه ، وزرنا المجمع العلمى واجتمعنا بالأستاذ خليل مردم بك للمرة الثانية وأهدى إلينا ديوان على بن الجهم الذى خدمه وعلق عليه وقام بتصحيحه.

زيارة قبر شيخ الإسلام وتلميذه

توجهنا إلى الجامعة السورية وقابلنا رئيسها الأستاذ قسطنطين زريق ، وكان المقصود زيارة قبر شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية وقبره عند كلية الطب ، وكانت هذه مقابر الصوفية المعروفة فى كتب التراجم ، فكم يقول المرادى فى سلك الدرر والمحبى فى خلاصة الأثر « ودفن فى مقابر الصوفية » وكانت هاهنا قبور ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق وابن الصلاح صاحب المقدمة وابن كثير صاحب التاريخ والتفسير ، ودرست هذه القبور فى ليلة واحدة أغار عليها رجال الجامعة وكاد قبر

ابن تيمية يدرس معها ، ولكن تدخل الرئيس شكرى القوتلى وهو صديق الملك ابن السعود وأمر بإبقاء قبر شيخ الإسلام، وفي الرجوع زرنا قبر الحافظ ابن القيم رحمة الله عليه فى الميدان التحتانى جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خير مايجزى المجددين لهذا الدين النافين عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

الأحد ٢٥/١٠/٧٠ هـ — ٢٩/٧/٥١ م

حديث للشيخ كامل القصاب عن ملوك العرب

اليوم يوم السفر إلى حمص بحماة فحلب ومنها إلى تركيا، وجلس الشيخ كامل القصاب وذكر اتصالاته بملوك العرب ودراساته لهم ولحكوماتهم وكيف خابت آماله فيهم، وهو يعتقد بعد تجارب قاسية ومحاولات كثيرة لإقناعهم بضرورة نصر الدين والنهوض للاسلام والمسلمين،أنه لاخير منهم ولاهم لهم إلا بطونهم وشهواتهم وكان الشيخ حزينا منكسر الخاطر مما شاهد من أحوال المسلمين وعاصر الحوادث الجسام ونكبات الإسلام ولكنه قوى الإيمان متحمس للدين ، وكان متأسفاً على أنه لم يعرف وجودنا فى دمشق ولم نتقابل إلا فى الوقت الأخير وأفضى إلينا بحقائق كثيرة وبث إلينا همومه وأحزانه .

من دمشق إلى حمص

شرفنا الشيخ مصطفى السباعى وجماعة من الأصدقاء وركبنا سيارة لحمص وقدسبق الأستاذ السباعى حمص بتوجهنا، وقد قطعنا المسافة بين دمشق وحمص وأنا أستعرض تاريخ فتوح الشام وأتمثل جنود المجاهدين من الصحابة وغيرهم يقطعون هذه المسافة مشاة ، وركبنا ـ ولكن على ظهور الخيل ـ هذه المسافة التى قطعوها

رجالا وفرسانا نقطعها على سيارة سريعة مريحة فاخرصنعت فى أمريكا فكم بين أمس واليوم ، وكم بين رجال الماضي والحاضر .

وصلنا إلى حمص الساعة الرابعة واستقبلنا الأستاذ نصوح السباعى شقيق صديقنا الكريم الشيخ مصطفى السباعى والأستاذ عبد المجيد الطرابلسى ، و بعد صلاة العصر أخذونا إلى منتزه نهر العاصي حيث صلينا المغرب وتعشيناعلى شاطىء النهر ، وشعرت هنا بتغير الطقس وزيادة البرودة .

محاضرتى

ورجعنا إلى المركز وقد تقرر إلقاء محاضرة بعد العشاء وبعد كلمة ترحيب وتعريف حماسية من الأستاذ عبد المجيد قمت وذكرت صلتى بحمص وأنها حبيبة إلى النفس منذ الصغر، وقد كانت العادة فى أسرتنا أن السيدات كن يجتمعن كل يوم خصوصاً فى أيام حادثة أواجتماع وكن يتلون كتاب فتوح الشام ، وكان أحد أقاربنا وهو السيد عبد الرازق قد نظم فتوح الشـــــام للواقدى فى شعر أردو فى خمس وعشرين ألف بيت، وصار هذا الكتاب ملحمة إسلامية منظومةوهو فى غاية التأثير والانسجام وإذاشرت هذه المنظومة تحركت القلوب وفاضت العيون وبهذا الكتاب عرفت سيدنا خالد الله رضي الله عنهم وعرفت كبار المجاهدين والغزاة من الصحابة رضى الله عنهم وأخبار بطولتهم ومغامرتهم وحنينهم إلى الشهادة واستهانتهم بهذه الحياة الفانية وخالط حبهم شغاف القلب وأصبح طبيعة وعقيدة فى وقت واحد .

تاريخ فتوح الشام وتأثيره فى حياة المسلمين فى الهند

قلت : وهذا التاريخ الذى صنع فى بلادكم ياأهل الشام ، ويأهل حمص

بوجه خاص، هو الذى أبى على المسلمين فى الهند أن يندمجوا في الكثرة المحيطة بهم وأن يخلدوا إلى الحياة التى لا يرضاها الإسلام ، وهو التاريخ الذى لم يزل ولا يزال مصدر القوة والحياة والثورة على الباطل ، وله فضل كبير فى إشعال العاطفة الدينية وبقائها واستمرارها فى هذا الشعب المسلم ، فلا شىء أدعى إلى العجب والحزن من أن نرى أهل حمص مشغولين عن هذا التاريخ المجيد ذاهلين عن رسالته و إلهامه مستهينين برجاله وأبطاله .

العالم الإسلامى فى حاجة إلى سيف من سيوف الله

قلت : إن العالم الإسلامى حى اليوم ولكنه لا يملك سيفا من سيوف الله ، وهذا مصدر شقائه و بلائه ، وفى أرضكم دفن هذا السيف . ياأهل حمص فهل لكم أن تغنوا العالم الإسلامى وتعيروه هذا السيف المفقود ؟ ثم ذكرت لهم أن العالم الإسلامى قد أصبح صورة مجردة عن الحقيقة وهذا التجرد من الروح والحقيقة هو الذى جنى عليه وجر إليه البلاء وجرأ عليه الأعداء ، ولا غوث للعالم الإسلامى ولا تغيير لما أصابه من الوهن والخزى حتى يتحلى بالحقيقة ويسمو بالروح الإسلامية الصحيحة ، وأفضت فى شرح هذه النقطة وضربت الأمثال من الحياة اليومية .

الاثنين ٢٦ / ١٠ / ٧٠ هـ — ٣٠ / ٧ / ٥١ م

على قبر سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه

ذهبنا اليوم فى الصباح لزيارة سيدنا خالد بن الوليد ، دخلنا الجامع المنسوب إليه ووقفنا أمام قبره نستحضر تاريخه وجهاده و بطولته وما خصه الله به من الشجاعة الخارقة والقوة المرهوبة المرعبة والإخلاص والإيثار وقد ثارت

هذه الوقفة معانى وأحاسيس فى النفس وجددت ذكريات تاريخية وأثارت الإجلال والحب والتقدير لهذا المجاهد الجليل الذى سماه الرسول صلى الله عليه وسلم سيف الله .

زيارة صديق مخلص

زرنا المعهد العلمى وهو مدرسة دينية فى ناحية من نواحى جامع سيدنا خالد ثم قصدنا صديقنا المخلص الشيخ عبد العزيز عيون السود أمين الفتوى فى حمص ، وقد توثقت بيننا الصداقة فى حج العام الماضى ودعانا إلى زيارة حمص . .

زيارة مفتى حمص

ذهبنا مع الشيخ عبد العزيز لزيارة سماحة المفتى محمد توفيق أبا الحسن الأتاسى وهو مفتى حمص الأكبر وابن عم رئيس الجمهورية هاشم بك الأتاسى وبيت أتاسى معروف فى سورية بالعلم والدين ، وسماحة المفتى متقدم فى السن منور الشيبة فيه سيما الصالحين والعلماء العاملين دمث الخلق يشبه كثيراً كبار علماء بلادنا

صلينا الظهر فى جامع نور الدين الشهيد وهو جامع البلد وزرنا مكتبة الإخوان المسلمين ، وصلينا العصر فى المسجد المنسوب إلى سيدنا دحية الكلبى .

كان بعض الفلسطينيين قابلونا فى الطريق وذكروا إعجابهم بالكلمة التى ألقيت البارحة وأنها جددت فيهم الإيمان وطلبوا منى أن أحضر الليلة اجتماعاً

يعقدونه فى بعض منازلهم ويدعون إليه إخوانهم وبعض رجال البلد فقبلت دعوتهم وحضرت هذا الاجتماع بعد صلاة العشاء فوجدته اجتماعاً حافلا بأعيان البلد وكبار الموظفين وتحدثت إليهم حديثاً دينياً أصغوا إليه فى حسن إنصات وإقبال

الثلاثاء ٢٧ / ١٠ / ٧٠ هـ — / ٣١ / ٧ / ٥١ م

على قبر سيدنا عمر بن عبد العزيز

شرفنا علماء البلد وسماحة المفتى والشيخ عبد العزيز عيون السود وغيرهما، وذهبت معهم أزور قبر سيدنا عمر بن عبد العزيز فى دير سمعان وهى ضاحية من ضواحي حمص والقبر على ربوة حولها مزارع من الكرم . الممت عند قبر خامس الخلفاء الراشدين ومجدد عظيم من مجددى الإسلام واستعرضت تاريخه الحافل بخوارق الزهد والورع وقوة العزيمة وتطبيق منهاج الخلافة الراشدة ، وترحمت عليه واستمطرت شآبيب الرحمة والرضوان على هذا الفتى الشهم وتمنيت للاسلام فى هذا العصر وللانسانية المعذبة والأمم المنكوبة حاكماً مثله :

هيهات أن يأتى الزمان بمثله   إن الزمان بمثله لبخيل

ثم توجهنا إلى حماة حيث وصلنا عند صلاة العصر .

البيت الكيلانى

وسألت عن البيت الكيلانى فقد عرفنا فى بلدنا لكهنؤ أحد رجال هذا البيت وهو السيد على الكيلانى كان يزور الهند وكان له أتباع فى

لكهنؤ وغيرها فعرفونا بشاب شريف اسمه السيد نزار الكيلانى وعلمت أنه ابن أخي السيد، وذكروا لنا الشيخ محمد مرتضى الكيلانى نقيب السادة الأشراف واقترح علينا الأستاذ عبد العزيز الساعاتي زيارة السيد فملئت حبا وكرامة، وزرت السيد رغم السخونة التى كنت أشعر بها ، وجلست عنده قليلا ثم حضرت الاجتماع فى مركز الإخوان وكان اجتماعا حافلا بكثير من العلماء والاساتذة

كلمتى فى الاجتماع

خطبت فى هذا الاجتماع وذكرت كيف فرض تاريخ الجهاد الإسلامى الذي بسورية منه النصيب الأكبر على المسلمين فى الهند أن يجاهدوا فى سبيل الإسلام وأن يدافعوا عن دينهم وكيف أثار فيهم الروح الدينية وأثارت فيهم الغيرة الإسلامية فكان هذا النضال وهذا الصراع الذى ينوهون به كثيرا وقد كره خطيب الإخوان من وحى هذا التاريخ .

مسؤولية أهل سورية

وهنالك تقع التبعة الكبرى على أهل سورية أنفسهم ، ويجب عليهم أن يتلقوا هذا الدرس من تاريخهم ،فإذا كان أهل سورية يسهل عليهم الاندفاع إلى المبادىء القومية والتشبع بالنعرة العربية فأهل الهند أولى بالاندماج فى الكثرة التى تحيط بهم وترحب بعودتهم وتضمن لهم الكرامة والتمتع بالحقوق المدنية والاعتزاز بالقومية الهندية والوطنية، فإن الشيء الوحيد الذى كان يأبى عليهم أن يفعلوا ذلك هو العقيدة الإسلامية التى دعاهم إليها أسلافكم أيها العرب وهذا التاريخ الذى صنع فى سورية وغيرها فإذا هان على إخواننا السوريين أن يتخلوا عن هذا التاريخ وأن يتجردوا عن هذه العقيدة فذلك على غيرهم ممن

لا يمتون إليه بصلة نسبية أهين ، ويجب إذن ان يؤدوا إلينا ديات هؤلاء القتلى والجرحى وهذه الضحايا والدماء الزكية التى أريقت فى سبيل الإسلام ، وقد أردت أن أحرك فيهم الغيرة وأضرب على الوتر الحساس ، وقد رأيت الأثر باديا فى وجوههم ، وقد كانت الكلمة شديدة ولاذعة وقد تعمدت ذلك لأنى سئمت الهتاف بالباكستان والإشادة بذكرها من غير تفكير فى مسئولية العرب ومركزهم وواجبهم .

الأربعاء ٢٨ /١٠/ ٧٠ هـ — ١ /٨ /٥١م

نواعير .

دعانا البارحة الشيخ محمد أفندى الكيلانى إلى الفطور فحضرنا ومررنا فى طريقنا بالنواعير التى تمتاز بها حماة، وهى عجلات ضخمة ترفع الماء من البرك إلى سطوح مختلفة فى الارتفاع وقد ركبت فيها كؤس تمتلىء بالماء وتدور العجلات دورتها والكئوس تفرغ ماءها، وهكذا يصل الماء إلى كل سطح من سطوح البلد وينشأ من دورة العجلات صوت مستمر يدوى فى الفضاء وهو فى الليل أشد يزعج نوم الغرباء ، ولكن أهل البلد تعودوه ونظام النواعير نظام قديم للسقى يرجع تاريخه إلى عهد الرومان

مررنا ببيوت أثرية عتيقة للبيت الكيلانى الذى انتقل بعض رجاله من بغداد إلى حماة ولعل ذلك فى عهد أبى الفداء حتى وصلنا إلى مقر مضيفنا نقيب الأشراف الحالى وأفطرنا .

آثار حماة التاريخية

خرجنا لزيارة حماة ومشاهدة آثارها التاريخية فزرنا جامع أبى الفداء ويسمى جامع الحياة لأن عمده فيها تخاطيط تشبه الحيات ، وهو الآن مسكن للاجئين الفلسطينيين تسكن فيها أسرهم وعوائلهم كما تسكن العائلات في البيوت وتولد الأولاد فيها ، وقد رأينا فى دمشق كذلك مساجد أصبحت مساكن للاجئين وذلك بأمر الحكومة .

أبو الفداء الحموى

ولم نعرف إلى الآن مبررا لهذا العمل مع وجود قصور ومساكن تفضل عن حاجات أصحابها ، وزرنا قبر أبى الفداء صاحب التاريخ المشهور باسمه وهو من أفذاذ ملوك المسلمين الذين جمعوا بين إدارة الملك والاشتغال العلمى ، وهو فضلا عن كونه ملكا من الملوك عالم جليل ومؤلف واسع الاطلاع ، وفى عصره ازدهرت حماة و بلغت أوجها وكانت إمارة مستقلة ودولة منفصلة .

فى ثانوية ابن رشد

وزرنا كذلك جامع الملك المظفر وهو جامع فخم وكان كنيسة حولت مسجداً ، وزرنا ثانوية ابن رشد وهو بناء عصرى واجتمعنا ببعض أساتذتها ، وكانت أيام الإجازة الصيفية وقد حضر بعضهم اجتماع البارحة وأبدى تأثره بالكلمة التى ألقيت فيه .

قصر آل العظم

زرنا قصر آل العظم الذى نحن نازلون فى أحد أجنحته فوجدناه قصراً

فخماً يمثل الحياة الارستقراطية التي يحياها الأمراء والحكام في العصر التركي ، وكيف كانت أموال الفقراء الفلاحين تصرف على كماليات الأغنياء ، وقد وجدنا في هذا القصر كل ما يحتاج إليه صاحب القصر وما لا يحتاج إليه ولكنه يخاف أن يحتاج إليه ولا يجده ، والآن فيه مدرسة وناد ومكتبة .

الخميس ٢٩/١٠/٧٠ هـ — ٢/٨/١٩٥١ م

زيارة القلعـــــة

تفرجنا اليوم مع الأخ عبد الغني على القلعة الخيرية وآثارها ، وسمعت أن شركة أجنبية عملت فيها عملية الحفر واستخرجت منها آثاراً ذات قيمة ، وقد اتفقت معها الحكومة السورية على أن الآثار سيكون النصف منها للحكومة والنصف للشركة ، ولكن الحكومة غبنت في هذه المعاملة بعدم السهر والمراقبة الكافية ونقلت آثار غنية إلى بلاد أجنبية ، ونزلنا من القلعة إلى البلد ومررنا بحي يسكنه المسيحيون وزرنا ثانوية أبي الفداء ، وقضينا بعض الوقت في مكتبة الأستاذ الحلاق وصلينا المغرب في جامع قريب منه وهو جامع ظريف عامر وتمشينا على شارع من أزهى شوارع البلد قدام فندق أبي الفداء ، ومشينا مع النهر مسافة وزرنا مركز البلدية وقصر الحكومة ، ومناظر حماة من غير شك مناظر بديعة في الليل .

الجمعة ٣٠/١٠/٧٠ هـ — ٣/٨/١٩٥١ م

أفطرنا وركبنا سيارة صغيرة وتوجهنا إلى حلب الشهباء ، وكنت قد عزمت على زيارة معرة النعمان ، ولكن الوقت لم يسمح بالإقامة فيها فاكتفيت بالزيارة العجلى ، وهي من أقل حقوق شيخ المعرة وقد عشت في شعره وأدبه زمناً غير قصير ، فقد درست سقط الزند دراسة متقنة وكدت أحفظ هذا الديوان بظهر الغيب

في معرة النعمان

دخلنا في معرة النعمان وأنا أتمثل بأبيات أبي العلاء نفسه، وأقول هذه معرة النعمان التي يقول فيها ابنها البار :

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما رماني إليه الدهر منذ ليالي
فهل منك من ماء المعرة قطرة تغيث بها ظمآن ليس بسالي

على قبر أبي العلاء

وقفت السيارة عند ضريح أبي العلاء، نزلنا ودخلنا البناء الذي يقوم على قبره. وأنا أتفقد البيت الذي قرأت أنه أوصي بنفسه أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبي على وما جنيت على أحد

ولكنى لم أجده منقوشاً على قبره، ولكنى رأيته مكتوبا بخط القلم على ورقة علقها بعض الظرفاء على الجدار، وعند قبر أبي العلاء مكتبة أسستها الحكومة تذكاراً لحكيم المعرة وفيلسوف العرب، ولكنى لاحظت ولم أدقق — أنها لا تستوعب جميع مؤلفات الشاعر وآثاره العلمية وما كتب عنه وألف فيه مع أن هذا ما ينتظر من مكتبة تقام على قبره.

في عاصمة سيف الدولة

وصلنا حلب عاصمة سيف الدولة في القديم ومنتدى المتنبي وأبي فراس الحمداني والشعراء في الدولة الحمدانية، وقد قامت فيها دولة الآداب والشعر، ونفقت فيها سوق العربية، وهي التي يقول عنها أبو بكر الخوارزمي : « ما فتق قلبي وشحذ فهمي، وصقل ذهني وأرهف حد لساني وبلغ بي هذا المبلغ إلا تلك الطرائف الشامية

والاطائف الحلبية التي علقت بحفظي وامتزجت بأجزاء نفسي وغصن الشباب رطيب »

وهي الآن مقارنة لدمشق ومضارعتها في العمران وعدد السكان وفخامة البنيان وأكبر بلد صناعي في سورية (التي تشمل لبنان وفلسطين وشرق الأردن) كلها

الأستاذ مصطفى الزرقا

وكان اليوم موعد محاضرتي ، وكان الموضوع « كيف يستعيد العرب مركزهم العالمي » وكان المركز قد أعلن بمحاضرتين أولاهما لي والثانية للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا أستاذ الحقوق في كلية الحقوق بدمشق ، كان الأستاذ قد مثل سورية مع زميله الأستاذ الكبير الدكتور الشيخ معروف الدواليبي في مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي الذي انعقد في تموز سنة ١٩٥١ في باريس، وقد أحسنا تمثيل الشريعة الإسلامية وسورية المسلمة وكان حديثه اليوم حول هذا الأسبوع، وكنت حريصا على مقابلته في دمشق ، ولم تقسم لي هذه المقابلة وهذا التعارف إلا في حلب وطن الشيخ الزرقا، وكان من حسن المصادفة أننا اجتمعنا على المحاضرة فقدم الأستاذ عمر الكركوكي وألقى كلمة يرحب فيها بخطيبي الليلة ويعرفهما إلى الحاضرين وكانت الحفلة مشهودة .

كلمتي في حفلة حلب

وبعد كلمة السيد الكركوكي ألقيت محاضرتي وقد ارتجلتها، وكان الأولى أن تكون مكتوبة معدة من قبل فالموضوع علمي وجدي ولكني لم أجد بسبب انحراف صحتي واستمرار السفر فرصة لكتابتها .

أسباب انتصار العرب على العالم المعاصر فى الماضى

وعلى كل فقد تكلمت فى الموضوع وذكرت أسباب انتصار العرب على العالم المعاصر فى القرن الأول، ومن أهمها تجردهم عن الأنانية القومية والأثرة الاجتماعية ، وعن كل نزعة جنسية أو وطنية ، و إخلاصهم للعقيدة العامة للبشر التى تساوى بين الأسود والأحمر ، وتجمع بين أهل المدر والوبر وسيد قرشي وعبد حبشى ، وحرصهم على سعادة البشرية من غير نظر إلى الإجناس والشعوب والبلاد والأوطان ، وإيمانهم بأنهم ماخرجوا لمصالحهم الشخصية أو القومية بل خرجوا لصالح العالم ، وأنهم لم ينبعثوا وإنما بعثوا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ؛ ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وأن الدافع ليس الرحمة بنفوسهم والرثاء لما هم فيه من ضنك عيش وضيق موارد بل الرحمة بالناس والرثاء لما هم فيه من ضيق الحياة المادية وأسر الهوى والشهوات وجور الأديان والحكومات . « لنخرج من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » وذلك التجرد والإخلاص هما اللذان أخضعا لهم العالم المحارب حتى ذاب وتبخر أمامهما كل عناء وجمود .

كيف يعود العرب إلى مركزهم العالمى ؟

وإذا أراد العرب أن يعودوا إلى مركزهم العالمى فلا بد أن يرجعوا إلي هذه النفسية الإسلامية، ويرجعوا إلى ذلك التجرد والإخلاص والرحمة بالإنسانية المعذبة والبشرية المنكودة التي يتوزعها شياطين القوميات والوطنيات ومردة الأغراض والشهوات ، أما القومية العربية التى يلهج بها كثير من زعماء العرب ورجالهم فهى كسائر القوميات التى هى قوالب حديدية لاسعة فيها ولا مروءة، ولا سماحة فيها ولا رحمة ، ولا يمكن أن تكون راية عالمية يلتف حولها جميع

الناس أو مبدأ يؤمن به الأفراد والشعوب على اختلاف أجناسها ووطنيتها ، فهي دائماً خط انفصال لا اتصال وسبب فرقة لا ألفة، ولا يطمع العرب في الزعامة الروحية والمركز العالمي مع النعرة القومية إنما هو الدين الذي بوأهم مكان القيادة العالمية، وهو يستطيع وحده أن يردهم إلى مركزهم السابق .

الاعتراف بفضل التشريع الإسلامى فى أسبوع الفقه الإسلامى

وتلانى الأستاذ الزرقا فأشاد بكلمتي ونوه بها، وما كان ذلك إلا تشجيعاً منه وكرما عربيا و إلا فأنا كنت أشعر وقد انتهت أنى قد قصرت كثيراً فى الوفاء لهذا الموضوع الجليل ؛ ثم وصف الأستاذ أسبوع الفقه الإسلامى الذى كان له أطيب الأثر فى إحياء الاهتمام بثروة الفقه الإسلامى الضخمة ، وقد تجلى فى هذا الأسبوع وبحوثه ومناقشاته فضل التشريع الإسلامى ، وأنه مصدر غنى للتشريع وفيه فض للمشاكل التى يعانيها العالم و يعجز عن حلها التشريع المدنى ، وقد اعترف بذلك المؤتمر في القرار الذي اتخذه، ونص القرار كما ترجمه الأستاذ الزرقا من الفرنسية إلى العربية: « بالنظر إلى المنفعة العلمية الحاصلة من الموضوعات التى عولجت في أسبوع الفقه الإسلامى ، والمناقشات التى دارت حولها ظهر منها بوضوح أن مبادىء الفقه الإسلامى وقواعده هي ذات قيمة لا تقبل الجدل ، وأن المذاهب الاقتصادية المختلفة في ضمن هذا النظام التشريعى العظيم قد أوجدت ثروة فى المبادىء الحقوقيـة والفن الفقهي الممتاز تثبت أن الفقه الإسلامى يمكن أن يستجيب لجميع ما تطلبه حاجات الحياة الحديثة من تشريع ملائم لها » .

والأستاذ مصطفي الزرقا من كبار المثقفين الإسلاميين قد تخرج فى كلية

الشريعة بحلب ودرس اللغة الفرنسية وهو الآن معلم فى الجامعة السورية ، ويمتاز باتقان العلوم الدينية والفقهية على طريق العلماء الدينيين وطلبة العلم المتقدين وجمع الثقافة العصرية والاطلاع على ما تجدد فى هـذا العصر من مسائل ومباحث وتلك ميزة الدكتور معروف الدواليبي، ولا شك أن هذا الطراز من المثقفين لايزال نادرا وهو من أعظم حاجات هذا العصر .

يوم الأحد ٧٠/١١/٢ هـ — ٥١/٨/٥ م

في مكتبة حلب

زرنا اليـوم دار الـكتب الوطنيـة وهى مكتبة لا تزال فى دور التكوين ولا شك أنها نواة مكتبة عظيمة ،وهى تابعة للمجمع العلمى فى دمشق، وقد جال بنا مديرها فى جميع أقسامها وهى مرتبة على الطريقة الحديثة

فى معهد العلوم الشرعية

زرنا المحكمة الشرعية وجلسنا مع القاضى الممتاز الأستاذ عبدالوهاب التونجى ساعة ، ثم توجهنا إلى معهد العلوم الشرعية ، وجلسنا فى مكتب مديره الشيخ عطاء الله الصابونى ، وتـكلمت فى موضوع ضم الدعوة الشعبية إلى التعليم المدرسي ، وقضينا بعض الوقت فى مكتب الأستاذ عبد القادر السبسبي .

الاثنين ٧٠/١١/٢٣ هـ — ٥١/٨/٦م

زيارة قرية حارم

أفطرنا عند الأستاذ عبد الفتاح أبو غده ، ثم قصدنا مع صديقنا الأستـاذ

السبسبي قرية حارم ومررنا بحدود تركيا وكانت في طريقنا إلى اليمين بحيث إذا سقطت السيارة - لا قدر الله - سقطت في مملكة تركيا ، وسورية إلى الشمال ، وقضينا شيئاً من الوقت في هذه القرية التي هي من مصايف حلب .

زيارة قلعة حلب

زرنا اليوم قلعة حلب في معية الأستاذ عمر السكركوكي ، وهي قلعة قديمة رومية قد جددها السلطان المظفر وغيره من سلاطين الدول الإسلامية ، وزرنا فيها السرداب الذي كان يحبس فيه الأشقياء والأماكن الأثرية الأخرى ، ثم زرنا جامع فردوس.

اندرست آثار سيف الدولة

حرصت على زيارة شيء من آثار سيف الدولة ، ولكن لم أجد منها شيئاً فقد درست مع الزمان ، ولم يكن ابن خلدون قاسياً في قوله ولا مبالغاً : إن آثار العرب وأبنيتهم يسرع إليها الخراب .

الثلاثاء ٤ / ١١ / ٧٠ ه‍ - ٧٠ / ٨ / ٥١ م

العدول عن فكرة السفر إلى تركيا

عدلنا عن فكرة السفر إلى تركيا وقد جئنا إلى حلب لأجل هذا السفر، ولكن نظراً إلى قصر المدة التي نستطيع أن نقضيها في تركيا وقرب الحج ألغينا السفر إلى هذه البلاد الحبيبة وأرجأناه إلى وقت أوسع ، فإن تركيا لا تكفي لزيارتها والاتصال برجالاتها ومراكزها العلمية والدينية مدة أسبوعين ، إنما تحتاج هذه الزيارة والتعارف إلى أكثر من شهر ، وعزمنا على الرجوع إلى دمشق في

طريقنا إلى المدينة على منورها ألف صلاة وسلام ، فسبحان الذى ازددنا معرفة به بفسخ العزائم ، وكم كانت حسرتنا لما رأينا طيار تركيا يسافر من حلب إلى استنبول وقلنا له : معك موعد آخر إن شاء الله

من حلب إلى دمشق

خرجنا من حلب فى الساعة التاسعة والنصف صباحا وتغدينا فى حمص وقضينا دقائق فى تيكة .

الأربعاء ٨ / ١١ / ٧٠ هـ — ٨ / ٨ / ٥١ .

صح عزمنا على السفر إلى المدينة المنورة فأتممنا الإجراءات اللازمة ، وتعين السفر يوم الأحد بإحدى الطائرات السعودية .

السبت ٨ / ١١ / ٧٠ هـ — ١١ / ٨ / ٥١ م

مع الأستاذ أمين المصرى

شرفنا اليوم فى الصباح الأستاذ أمين المصرى عضو لجنة التعليم والتربية فى وزارة المعارف ، وقد اختير من المفوضية السورية فى الباكستان لدرس مشروع نشر اللغة العربية فى الباكستان والقيام بمهمته .

رأى فى منهاج نشر اللغة العربية فى الأقطار غير العربية

وقد استشارنى فى الموضوع فذكرت له تجارب معلم قد عالج هذا الموضوع وذكرت له أن المهمة تتلخص وتتركز عندى فى نقطتين أولاهما إيجاد منهج دراسى يسهل تعلم اللغة العربية و يسلم من المشاكل والعقد التى تشتمل عليها مناهج

الدراسة القديمة المقيمة فى تلك البلاد ، والثانية تخريج معلمين أكفاء أصحاب مقدرة فنية وإخلاص وحرص وأمانة ، وعلى نجاحه فى هاتين النقطتين يتوقف تحقق هذا المشروع العظيم الذى تبنته سورية والأقطار العربية ، وقد وافق على ذلك الأستاذ وأبدى استعداده لتحقيق هاتين الغايتين ، وأهديت إليه سلسلة قصص النبيين للأطفال والقراءة الراشدة كأنموذج لمنهاج دراسى للغة العربية فى الهند والباكستان .

زيارة مدرسة دير ياسين

زرنا مدرسة دير ياسين وهى مدرسة لأبناء اللاجئين الفلسطينيين ، ودير ياسين هى المدينة الفلسطينية التى وقعت فيها المجزرة الكبرى فقد ذبح فيها العرب ذبح النعاج ، والمدرسة يديرها الأستاذ عمر المصرى ، وقد زرنا الفصول وجلسنا فى أقسام المدرسة وفرعها .

نظرة شاملة على سورية

وقبل أن نودع سورية ـ لا وداعا كوداع هرقل ، بل وداع مسلم له إلى بلاده رحلات وجولات وزيارات ورجعات ـ يحسن بنا أن نلقى نظرة شاملة على هذه البلاد ونذكر بعض المعلومات عنها

المساحة وإحصاء النفوس

مساحة سورية بعد ما انفصل ـ بالأصح بعد ما فصل ـ عنها لبنان وفلسطين وشرق الأردن ، أى مساحة الجمهورية السورية لوحدها (٣٣٧ و ١٨١) كم

ونفوسها (٠٠٠ و ٤٣ و ٣٠٠) نسمة كما أذيع في مطلع سنة ١٩٤٨ ويقدر في سنة ١٩٥١ أكثر من ٥٠٠ و ٠٠٠ و ٣ نسمة المسلمون يشكلون (٠٠٠ و ٥٤٥ و ٢) نسمة أى ٨٥٪ من السكان، والسنيون هم الأغلبية ويشكلون ٥ و ٨٢٪ من المسلمين والشيعة لا يزيدون عن ٥ و ١٨٪ والدروز يزيدون عن ٨٧ ألفا أى ٥ و ٣٪ وهناك فرقة متطرفة هي اليزيدية يبلغ عدد أتباعها إلى ٢٧٠٠ فرد والمسيحيون يؤلفون ٥ و ١٥٪ من سكان سورية أي (٤٦٠ ألفا).

تقسيم سورية إداريا

تقسم سورية إداريا إلى محافظات، وتنقسم المحافظات إلى أقضية والأقضية إلى نواح ويتبع النواحي القرى، وفي سورية تسع محافظات وهي دمشق وحلب وحوران وحمص وحماة والفرات والجزيرة واللاذقية وجبل الدروز، و ٣٦ قضاء و ٩٢ ناحية ويتبعها ٢٧٠٣ قرية.

نسبة المتعلمين والحالة الاقتصادية

تمتاز سورية من بين الأقطار العربية عدا لبنان[1] بارتفاع نسبة المتعلمين منهم خمس وأربعون في المائة ٤٥٪، وبوجود الطبقة الوسطى في عدد أكبر من عددها في مصر والحجاز، والفلاح السوري في الغالب يملك من الأرض ما يعيش به، ولا يبلغ ما بلغ الفلاح المصري أو الفلاح الهندي من الفقر المدقع، لذلك تستطيع سورية إذا ازداد التوزيع الاقتصادي تحسناً وكان ولاة الأمور مخلصين عقلاء استطاعوا أن يحافظوا على نظام معتدل وسط بين الرأسمالية الغاشمة والشيوعية المتطرفة.

---

(١) نسبة المتعلمين في لبنان تقدر بحوالى ٨٠٪

نظام التعليم

أما نظام التعليم المتبع الآن في سورية - فأريد - بحكم مهنتي السابقة (التعليم) ولأهمية الموضوع أن أفيض في شرحه .

ينقسم التعليم في سورية إلى ثلاث مراحل أساسية :

(أ) الابتدائي .

(ب) الثانوي وما إليه .

(ج) الجامعي

والتعليم قبل الابتدائي (أعني رياض الأطفال) ليس رسمياً ولا أساسياً، وإنما هناك رياض أطفال يرسل من شاء إليها ولده

١ - التعليم الابتدائي مجاني وإجباري مدته خمس سنوات تنتهي بالحصول على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية ، والغاية منه إعطاء المعلومات التامة الضرورية في العلوم الأساسية ، وهو تمهيد لما بعده في الوقت نفسه .

يقبل في السنة الأولى من الدراسة الابتدائية من كان عمره ٧ سنوات وهو منتشر بشكل واسع ، لا يوجد في هذه المرحلة تنوع فضلاً عن التخصص ، إلا ما ينص عليه المنهج من وجوب مراعاة البيئة في تطبيق المنهج والدروس في التعليم الابتدائي ماعدا القراءة والكتابة التي تتم في السنة الأولى هي :

١ - الدين والتهذيب   ٢ - الحساب والهندسة

٣ — التاريخ والجغرافيا ٤ — الأشياء : معلومات مبسطة عن العلوم الطبيعية والظواهر المحيطة بنا ٥ — اللغة العربية (إملاء ، قواعد اللغة العربية ، قراءة ، محفوظات ، مفردات ، ومحادثة ، إنشاء)

٦ — التربية الوطنية (الأخلاق والمعلومات المدنية) فى الصف الأخير الخامس .

المرحلة الثانية : التعليم الثانوى وما إليه .

في هذه المرحلة يوجد أنواع من التعليم تبدأ كلها بعد الحصول على الشهادة الابتدائية ، ونستطيع أن نقسمه إلى مرحلتين جزئيتين :

(ا) المرحلة المتوسطة مدتها أربع سنوات .

(ب) المرحلة العالية مدتها سنتان .

فالجميع ست سنوات.

المرحلة المتوسطة يوجد منها أنواع هي :

١ — الدراسة المتوسطة العامة ٢ — الدراسة المتوسطة التجارية

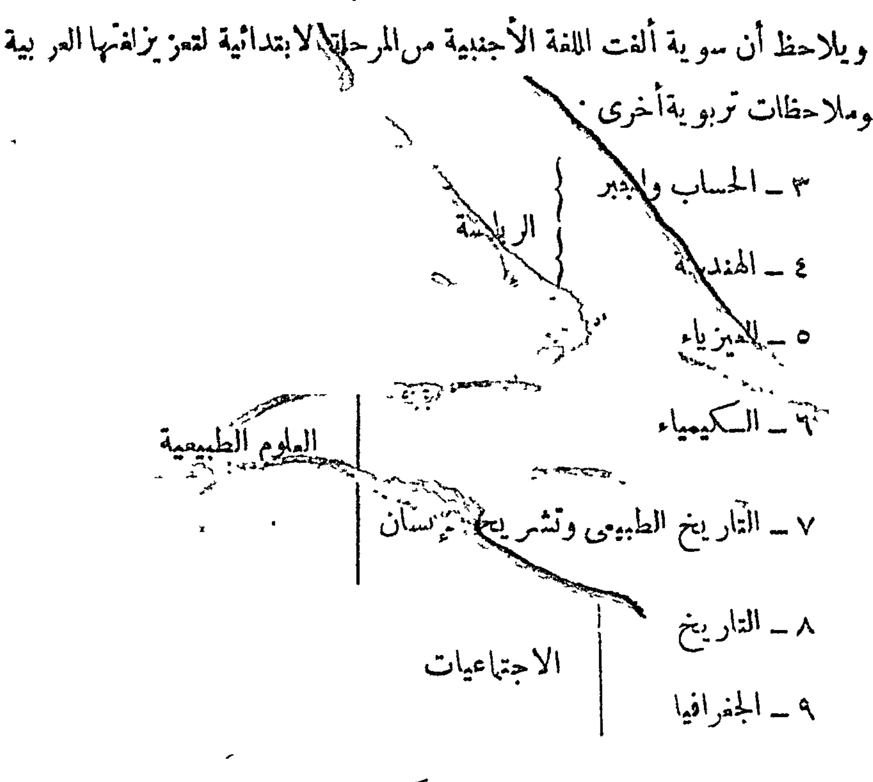
٣ — الدراسة المتوسطة الصناعية ٤ — » » الزراعية

وتنتهى كل دراسة بامتحان عام يحصل من اجتازه بنجاح على شهادة الدراسة المتوسطة العامة التجارية ، وهكذا ، واسمها « شهادة الكفاءة العامة التجارية الصناعية الزراعية » حسب النوع الذى تخرج به .

المواد التى تدرس هى — عدا الديانة : —

١ — اللغة العربية ٢ — اللغة الإنجليزية أو الفرنسية (حسب اختيار الطالب)

ويلاحظ أن سورية ألغت اللغة الأجنبية من المرحلة الابتدائية لتعزيز لغتها العربية وملاحظات تربوية أخرى .



١٠ ـ التربية الوطنية (فى صف الكفاءة)

الغاية من الدراسة المتوسطة هي :

١ ـ إما إعداد الطالب لمهنة من المهن (الكفاءة الصناعية ، الزراعية ، التجارية) .

٢ ـ أو الحصول على الثقافة العامة تمهيدا لمتابعة دراسات ثقافية أعلى وأوسع كما فى الثقافة العامة .

المرحلة العالية (وهى الجزء الثانى من الدراسة الثانوية) وهى أعلى من

سابقتها ، مدتها سنتان تنتهي بالحصول على شهادة الدراسة الثانوية فى العلوم والآداب ، أوفى الزراعة ، يتخرج من هذه المرحلة من حصل على شهادة الكفاءة وهنا إعداد للجامعة عن طريق التعليم الثانوى العام (الكلية العلوم أو كلية الآداب أوالهندسة أوالحقوق وهكذا) .

والمواد التى تدرس هى كالسابقة وأوسع وأرفع مستوى بطبيعة الحال .

التعليم الجامعى

الجامعة السورية فيها عدة كليات مدة الدراسة فى كل هى ثلاث سنوات تنتهي بالحصول على إجازة فى العلوم التى درسها الطالب فى الكلية (ليساس فى الحقوق مثلا أوفى الآداب أوفى العلوم) . . . الخ .وفى بعض الكليات كالحقوق صف اختصاصى فى علم واحد من العلوم التى درسها فى الكلية مع تقديم أطروحة (رسالة بحث) كليات الجامعة السورية هى :

١ ـ كلية الحقوق ٢ ـ كلية الطب بفروعها ٣ ـ كلية العلوم

٤ ـ كلية الهندسة ٥ ـ كلية الآداب .

وفي كل كلية فرع خاص يهيء الطلاب ليكونوا أساتذة فى التعليم الثانوى يدرسون فى هذا الفرع (إلى جانب دراستهم فى الجامعة) مايتعلق بالتربية والتدريس واسم هذا النوع دار المعلمين العليـــا ، فيستطيع الطالب مع دراسته الجامعية أن يتابع الدروس فى هذا المعهد .

ملخص

رياض الأطفال (قبل السابعة)

الدراسة الابتدائية (مدتها خمس سنوات) تنتهي بشهادة إتمام التحصيل الابتدائي (سرتفيكا)

الدراسة المتوسطة (الثانوي) مدتها أربع سنوات تنتهي بشهادة الكفاءة (البروفه)

الدراسة العالية (من الثانوي) ومدتها [illegible] تنتهي بشهادة الدراسة الثانوية (البكالوريا)

الدراسة الجامعية تنتهي بالحصول على إجازة ليسانس:

كلية الحقوق	مدتها ثلاث سنوات
كلية الآداب	
كلية الطب وفروعها	
كلية الهندسة	
كلية العلوم	

ثم يأتي صف اختصاص في بعض الصفوف (١)

---

(١) نشكر لهذه المعلومات الأخ العزيز الأستاذ السيد عبد الرحمن الباني أستاذ معهد التربية في دمشق .

الديانات والأحزاب في سورية

إن سورية بجانب ما حباها الله من جمال الطبيعة واعتدال المناخ وخصب الأرض وذكاء الشعب والأهمية الاستراتيجية لها مشكلتان عظيمتان الأولى كثرة الديانات، وتطرف العقائد، ولعل من أقوى أسباب انتشار هذه الديانات والفرق الدينية المتطرفة فى بلاد الشام طبيعة البلاد ... وجود معاقل للجماعات المضطهدة والديانات ... فرت من ... المسلمين، فدائما تلتجىء ... الثائرة وأصحاب الآراء ... إلى ... الجبال ... المسالك، لذلك ازدهرت هذه الديانات في الشام أكثر مما ازدهرت فى مصر، ثم كان مما أغرى هذه الفرق ورجالها بالنزوح إلى الشام واتخاذها مقراً لهم هو جمال الإقليم وما هو عليه من الفتنة والاستهواء وسلامة صدر الشعب وسذاجته، فإن كون الشام ممرا للفاتحين القادمين من الشمال جعله ميدانا للحضارات والديانات، والنزعات وجعل الشعب يخضع لكل وافد جديد ويتأثر بكل طريف وتليد، لذلك وجدت الباطنية والدرزية والبهائية وغيرها من الفرق والديانات مضطربا واسعا فى هذه البلاد الجميلة.

والمشكلة الثانية وهى أعظم من الأولى وأكثر منها تعقدا وأقوى منها سلطانا على النفوس ومجارى الأمور فى سورية كثرة الأحزاب والمذاهب السياسية التى تتوزع سورية ... تنازع القيادة والزعامة، ويخشى على سورية واستقلالها ووحدتها من هذه الأحزاب المتنافسة والمذاهب المتصارعة أكثر مما يخشى عليها من الديانات والفرق الدينية التى فقدت شيئا كثيراً من سلطانها الروحى ونفوذها السياسى.